تآزر الأضداد في الرواية العراقية
1965 – 1990

رسالة تقدمت بها

كرنفال أيوب محسن

الى

مجلس كلية الآداب جامعة بغداد

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذ الدكتور

جميل نصيف جاسم

1425هـ **2004 م**

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وقل أعملوا فسيرى الله عملكم

ورسوله والمؤمنون ﴾

صدق الله العظيم

التوبة / الآية 105

الإهداء

الى

من وضع أول كتاب بين يدي الصغيرتين وانا ما ازال طفلة بعد ...

الى

من غادرنا مبكرا تاركا الى جانب كتبه ونظارته سعادات صغيره زرعها في قلوبنا، واحلاما وامنيات لم تتحقق .....

الى

من بكته العيون والقلوب ..... وتفجعت برحيله النفوس .....
اليك ياوالدي والى روحك الطاهرة أهدي ثمرة جهدي المتواضع التي طالما كنت تنتظرها معي .

المحتويات

المحتـــــويات	رقم الصفحة
1. **المقدمة**	3-1
2. **التمهيد**	17-4
3.**الفصل الاول** -حركة الافعال الخارجية (العلاقات الضدية الخارجية) **أولا**- المؤثرات الاجتماعية والأخلاقية **ثانيا**- المؤثرات السياسية . **ثالثا**- المؤثرات الفكرية . **رابعا**- المؤثرات الطبيعية .	63-18 36-26 47-37 58-48 63-59
4. **الفصل الثاني** - حركة الأفعال الداخلية (العلاقات الضدية الداخلية) **أولا** – الاغتراب . **ثانيا** – الإحباط . **ثالثا** – التأزم . **رابعا** – الحصار النفسي . 5. **الفصل الثالث** -جدلية العلاقات الضدية الخارجية والعلاقات الضدية الداخلية .	97-64 78-69 84-79 89 -84 97-90 144-98

أولا– العلاقة الضدية الخارجية سبب للعلاقة الضدية الداخلية. **ثانيا**– العلاقة الضدية الداخلية سبب العلاقة الضدية الخارجية. **ثالثا** – تآزر العلاقتين الضديتين الخارجية والداخلية في البناء الروائي .	116–106 130–117 144–131
6. **الخاتمة والنتائج**	148 –145
7. **قائمة المصادر والمراجع**	160–149
8. **ملخص باللغة الإنكليزية**	1-4

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

رغبة في طرح صياغة جديدة لمفهوم الصراع وقع الاختيار على موضوع (العلاقات الضدية) ليكون موضوع دراستي لمرحلة الماجستير ومن أجل توضيح مسار الصراعات وتحديدها وابراز مؤثراتها في الرواية العراقية ، ومدى تمثلها لهذه الصراعات وتجسيدها بصور متطورة وجديدة هي صور (العلاقات الضدية) ، خاصة بعدما أكتنف الرواية العالمية من تعدد لهذه الصور واحتواء لمضامينها بشكل اكبر واوسع مما نجده في نتاجنا الروائي – العراقي – .

ويبدو أن وجود الظاهرة في أدبنا الروائي قد منح فرصة للرواية العراقية – وللروائي بشكل خاص – أن تبرز مضامين الأبداع فيها ، وأن يسنح لها مجال إظهار عناصرها الفنية خاصة رغم عمرها القصير .

والواقع أن البحث في موضوع (العلاقات الضدية) يعتمد جانبين : جانب يتعلق (بالثنائيات الضدية) داخل المشهد الروائي يتمثل بالتقابل الذي يطرحه الروائي بين البيئات المتضادة او الشخصيات المتناقضة او ابراز عناصر السلب والإيجاب ، وهذا الجانب قد أجلنا البحث فيه الى فرصة اخرى نرجو ان تسنح لبحث علمي أخر .، اما الجانب الاخر وهو موضوع البحث فيتعلق بالصراع المباشر وغير المباشر ، ويبدو أنه موضوع يتميز بالحداثة لم يبدأ مجال البحث فيه بعد ، مما أضاف عقبه ليست بالهينة تضاف الى عقبات طريق البحث ، ولكن من جهة أخرى كانت له خاصية التفرد والتميز كونه يضع الخطوات الأولى لموضوع العلاقات الضدية .

يتضمن البحث ثلاثة فصول فضلا ، عن التمهيد ، والخاتمة والنتائج وقائمة المصادر والمراجع ، مع خلاصة باللغة الانكليزية ، التمهيد فيه تناول

لوجود العلاقات الضدية قبل عام 1965 ومن ثم الأنتقالة التي حددت للرواية العراقية عناصرها الفنية والمتمثلة برواية (النخلة والجيران) وما جاء بعدها من نتاج روائي مع الإشارة بشكل خاص الى رواية الحرب وهيأت وجود العلاقات الضدية فيها ، اما **الفصل الأول** فحددت فيه اهم المؤثرات المباشرة التي تولد (العلاقات الضدية الخارجية) مع بيان حركة الفعل الخارجي ، **والفصل الثاني** تناولت فيه اهم المؤثرات التي تولد العلاقات الضدية الداخلية واغلبها مؤثرات او اسباب نفسية اما **الفصل الثالث** فأظهرت فيه تآزر العلاقتين الضديتين في أبراز صورة الحدث وأخيرا أوردت اهم النتائج التي توصلت اليها ، ونظرا لطول المدة التي تناولتها للدراسة وهي (25) سنة كانت أختيارات الروايات أنتقائية أي تناولت الرواية التي لمست فيها نضجا للعلاقات الضدية مع أعتماد اغلب الروايات للروائي كي تسند وجهة النظر، اما المنهج الذي أعتمدته فكان المنهج النفسي كونه من أنسب المناهج لهذا النوع من الدراسة التي تتطلب التحليل والتفسير فضلا عن أرتباط العلاقات الضدية الداخلية مباشرة بالدواخل النفسية مع مراعاتي الابتعاد عن الإيغال في اعتماد مصادر علم النفس بصورة مباشرة كي لا يتخذ الموضوع اطار مواضيع علم النفس البحته خاصة في العلاقات الضدية الداخلية على الرغم من أن مؤثرات توليدها هي مؤثرات نفسية خالصة .

كما اعتمدت بعض النماذج الروائية العالمية لغرض الأشارة الى وجود الظاهرة فيها لأن الرواية العالمية عموما سبقت الرواية العراقية في اكتمال المدى الفني لها .

أن هذا البحث هو خطوة متواضعة جدا تفسح المجال للغير كي يقدم معلومات وحقائق اكثر نجاحا في هذا الموضوع . ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن نشير الى الكمال في هذا البحث لأن حقائق العمل الروائي – والأدبي عامة – احتمالية دوما ولأن هناك ظواهر جديدة تعطي المجال للبحث فيها .

اتمنى من الله ان اكون قد توصلت الى شيء جديد ممكن ان يخدم في مجال البحث ، كما أود أن اقدم شكري العميق للدكتور الجليل جميل نصيف جاسم لتشجيعه ومساندته لي وصبره علي ، عسى الله ان يوفقه ، كما اشكر كل من قدم لي المساعدة ولو بكلمة والله ولي التوفيق .

الباحثة

تمهيد :

لعل في أرتباط الأدب بالحياة ما يبرر أحتواءه على الظواهر الحياتية وأنسحابها عليه حتى أضحى الأدب صورة للحياة تعبر عنها وتظهر كل عناصرها وما تكتنفها من ظواهر متعددة أثرت بشكل أو بأخر في حياة الإنسان .

لذا كان من البديهي أن يصبح الأدب وعاء لمختلف جزيئات الحياة وظواهرها ومنها الصراعات الحياتية التي أضحت جزءا مهما بل أساسا في العمل الأدبي – بعامة والروائي بخاصة الذي أبرز صورة هذا الفعل الحياتي وهو يترك بصماته على العمل الروائي على هيئة علاقات ضدية تربط بين عنصرين وتعطي صورة عن أبعاد الصراع الأجتماعي والعاطفي والسياسي والديني وغيرها من مجالات الصراع الحياتي .

ويبدو أن وصول العمل الروائي الى وجود هذه الظاهرة فيه يعد نوعا مهما من التجريب الذي أخذ يجتاح الرواية الحديثة إذ لم تسجل ظاهرة العلاقات الضدية وجودا واسعا في الاعمال الروائية الأولى التي كان يعوزها المدى الفني المكتمل ربما لأهدافها الأصلاحية وتركيزها على تلك الأهداف بالدرجة الأساس في الصراعات مباشرة في أغلب هذه الأعمال ولم تتجسد بالعلاقات الضدية وأن سجلت في بعض الأحيان وجودا للعلاقات الضدية الخارجية المباشرة . " وبأزدياد المعرفة من جانب والأحساس الطاغي للفنان بمشاكله ومشاكل مجتمعه وواقعه أخذ الروائي يميل الى تلك المساحة المهمومة"[1] ليستعرض فيها تلك الصراعات الخفية ويكثفها ويجعل القارئ يعيش فيها ويشعر بوجودها لذا أصبح للصراعات تجسيد داخل العمل الروائي – كما هو داخل الحياة – أتخذ حدودا تمثلت في تولدها على شكل حلقات صراعية او بالاحرى علاقات متضادة تجمع بين قطبين ،تجسد نوعي الصراع الخارجي والداخلي ، ولعل في اتجاه الرواية الحديثة نحو العوالم الداخلية وأبراز صورة الصراع فيها أبرز الصراع الخارجي

([1]) ينظر عصر الرواية ، مقال في النوع الأدبي ، الدكتور محسن جاسم الموسوي ، منشورات مكتبة التحرير ، مطبعة الديواني ، بغداد ، 1986 ، ص 22.

ورسم حدوده عندها تحددت ملامح العلاقة الضدية الخارجية الى جانب العلاقة الضدية الداخلية ، والواقع أن العمل الروائي قد كون رؤية هذين النوعين من الصراع بمختلف مراحله الا ان التفاوت كان في التعبير عن الصراع واشكاله، فمن خلال مجموعة من الأنماط والمواقف والتضادات يطرح لنا العمل الروائي دوائر الصراع مجسدة بالعلاقات الضدية التي تطرح بدورها ذلك الصراع الأزلي بين الأنسان والأنسان ، والانسان والبيئة في شبكة من التضادات تحكم أحداث العمل الروائي تتوزع الى صراعات مختلفة تخلق الحركة والفاعلية ، فأصبحت الرواية تكتنف " الذاكرة وتنويعات العودة الى الوراء ، وأحلام اليقظة والومضات المتجاوزة للزمن التأريخي .... للخلاص من ذلك التسلسل التعاقبي الذي فقد معناه "[1] وهذه المتضمنات بحد ذاتها تتألف أصولها من الصراعات بمختلف أنواعها ولا يقف تعامل هذه الصراعات مع الزمن او المجتمع إذ أن العلوم الحديثة أسهمت بشكل كبير في خلق أنواع للصراعات وأشكالها مما أتاح مجالا للروائي في تعددية الصراع وتنويع النظرة وأستفادته من مختلف التجارب مما حول العمل الروائي الى صورة حية للتعبير عن الواقع المحسوس داخليا وخارجيا عندها لوحت الرواية بأمكانية تقبلها للتطور والتجدد والتصوير المتنوع وطرح وجهات النظر والتجارب الحياتية ، تقول د. مكارم الغمري :- (فالرواية تسمح – على خلاف الأنواع النثرية الاخرى – في الادب بالتصوير المشع للعالم الداخلي للشخصية وايضا لحياتها الخارجية وبيئتها ومعيشتها ، ولأن الرواية تستطيع أن تمزج بين مختلف وجهات النظر ووسائل التصوير المتنوعة من جهة ، وبين تصوير الجوانب السامية والعادية للحياة من جهة أخرى أصبحت لذلك أكثر اشكال الفن الادبي تصويرا للمراحل التأريخية الانسانية والتطورات الاخلاقية والفكرية بها)[2].

والرواية لم تصل الى هذا الدور الا بعد سلسلة من الحقب التي مرت بها فبعد أن كانت عبارة عن مدونات تتألف من وصف الشخصيات الشهيرة وتصوير الجانب

([1]) عصر الرواية، الموسوي ، ص 31، 32.

([2]) الرواية الروسية في القرن التاسع عشر . د. مكارم الغمري ، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ، 1981،ص 12.

العملي التأريخي لهذه الشخصيات وصلت الى مرحلة تصوير الحياة الخاصة والعالم الداخلي واسلوب المعيشة [1]، هذه الأنتقالات التي أنتقلتها الرواية كان القاسم المشترك فيها هو الصراع الظاهرة الأزلية التي تحكم الحياة التي أخذت تتطور بتطور ووعي النظرة الى الحياة وأنماطها المختلفة .

فأصبحت الرواية ترصد عالم الأمكنة والأزمنة والأحداث في حركتها وتغيرها ورسمت خطوط تشكيل الأحداث بمعطيات مختلفة أبرزت العالمين الخارجي ، المرئي ، الظاهري للشخصية والحدث والمكان ، والداخلي الخفي للشخصية وللحدث، وصار بأمكان العالمين أن يلتقيا او ينفصلا بواسطة حركة أفعالهما ، فالعالم الخارجي يغير او يؤثر في العالم الداخلي هذا التغيير يعود مرة اخرى فيؤثر ويغير جزءا من العالم الخارجي وهكذا تصبح العلاقة الجدلية ما بين واقع الانسان (الخارج) وبين مفهومه أو تصوره (الداخل) ، في حركة مستمرة من الأخذ والعطاء[2].

والواقع أن هذا الانقلاب في أسلوب البناء الروائي[3] كان لصالح العمل الروائي لأنه وضع الرواية ضمن الآداب الأنسانية المحضة التي تهدف الى واقع الانسان ، ويبدو أن الرواية العربية قد أستوعبت هذا التطور ومثلته خير تمثيل لأن الواقع الأنساني واحد بكل ما فيه من تأثيرات ، فضلا عن أن البيئة العربية بيئة خصبة بالصراعات والتضادات نظرا للظروف القاسية التي عاشها الانسان العربي تمثلت في الأحتلال الأجنبي من جهة والتخلف والجهل من جهة أخرى لذا عانت الشخصية في الرواية العربية من عالمها الخارجي لينفعل عالمها الداخلي إثر ما عاشته على الرغم من أن الرواية العربية لم تسر في الطريق الذي قطعته الرواية في الغرب وأن تقاطع الطريقان أحيانا. فضلا عن ان الرواية العالمية قد سبقت الرواية عندنا بالتطور والنمو

([1]) ينظر المصدر نفسه ،ص 13.

([2]) ينظر في الإيقاع الروائي ، نحو منهج جديد في دراسة البنية الروائية ، الدكتور أحمد الزعبي دار الأمل ، 1986، ص 8،9 .

([3]) يمكن عقد مقارنة بين روايات تيار الوعي الداخلي وبين غيرها للوقوف على حدود هذا التطور وظهور ملامح جديدة للرواية وتتمثل بتأثير العالم الخارجي على العالم الداخلي وبالعكس .

الا أن الرواية العربية أستطاعت ان تواكب هذا التطور لنجد بين أيدينا اعمال روائية عربية [1] بمستوى عالي الجودة ، معبرة عن واقع الأنسان العربي . واذا ما بحثنا في الأعمال الروائية العراقية فيمكن القول ان الرواية العراقية قد أستجابت لحساسية أبلغ الظروف والمواقف التي عاصرتها وكانت متفاعلة مع البيئة والواقع الذي تأثر به الروائي العراقي فقد أقترب الأدب العراقي من واقع الهموم الأنسانية ورصد حركة التأريخ ومعالجته السلبية والايجابية للظواهر الحضارية والسياسية .

ومن المعروف ان عمر الرواية في العراق قصير حيث بدأت أنطلاقتها الأولى بقصص محمود احمد السيد (1921) اذا ما أغفلنا الرواية الأيقاظية لسليمان فيضي (1919) التي ينقصها الكثير من العناصر الفنية للعمل الروائي – فقد (تأثر محمود أحمد السيد بما كان سائدا من روايات عربية مؤلفة واجنبية مترجمة أو ملخصة)[2]. لذا كان الطابع السائد في أعمال(السيد) هو تلك الصراعات الأجتماعية التي تميزت بالبيئة الخارجية مسرحا لها لذا من النادر أن نلمس في أعمال (السيد)[3] وجودا للعلاقات الضدية الداخلية او الصراعات النفسية التي تشكل هذا النوع من علاقات التضاد ، فالمدى الفني لها يقف عند حدود الصراع الخارجي فقط ولعل هذا يعود الى النقص في العناصر الفنية للرواية لأنها أعمال شكلت نقطة بداية ومن البديهي ان يعوزها المدى الفني الكامل قياسا الى ما كان سائدا من روايات عالمية تسير نحو النمو والتطور حثيثا وعلى الرغم من " الجهود التي بذلت آنذاك لاستيعاب

([1]) الأعمال الروائية العربية التي واكبت نمو وتطور الرواية العالمية كثيرة ولكن يكفي ان نشير الى ثلاثية نجيب محفوظ التي تعد قمة في تمثيل الصراعات والتضادات بنوعيها الخارجي والداخلي عبر شبكة من العلاقات الضدية .

([2]) التجربة الروائية في العراق في نصف قرن ، متابعة تأريخية وتحليل موجز لأبرز المحاولات الروائية من 1919 الى 1965،د. نجم عبدالله كاظم، الموسوعة الصغيرة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1986 ، ص 24 .

([3]) ينظر الأعمال الكاملة لمحمود أحمد السيد ، اعداد وتقديم علي جواد الطاهر ، عبدالاله أحمد بغداد، دار الحرية للطباعة ، 1978.

الفنون القصصية ومنها فن الرواية "[1]الا أن المحاولات القصصية التي جاءت بعد أعمال السيد والتي تمثلت في أعمال ذو النون أيوب وعبدالحق فاضل وغيرهما[2] والتي جهدت في الوصول الى مدى فني يواكب نمو الرواية وتطورها ، لم تستفد من أعمال السيد لبعدها الفني عن متطلبات عصرهم الأنيه . يقول ياسين النصير في كتاب قصص عراقية معاصرة (... كانت كتابات ذو النون أيوب ، وجعفر الخليلي وأنور شاؤول وغيرهم من كتاب ما بين الحربين يمثلون القاعدة التأريخية التي أستقى منها كتاب الخمسينات مادتهم ،على الرغم من ان كتابات محمود أحمد السيد التي سبقت ذلك تعتبرمعينا فكريا وفنيا ، لكن كتاب الخمسينات لم يستفيدوا منه لبعده فنيا عن متطلباتهم)[3].

وهذه اشارة الى المدى الفني غير المكتمل لدى محمود أحمد السيد ، ويبدو أن اعمال من جاء بعده على الرغم من كونها أعمالا مثلت القاعدة التاريخية للعمل الروائي العراقي أيضا فقد بقيت على المستوى نفسه من نقص العناصر الفنية وعدم اكتمالها ، فكانت أشبه بالدعوات الأصلاحية التي تهدف الى النهوض من مكامن الجهل والسبات الذي كانت تعيش فيه الشعوب العربية ، ولعل موضوع العلاقات الضدية مرتبط أساسا بالعناصر الفنية التي تكون العمل الروائي بوصفها ظاهرة تمثل في الاساس عنصرا فنيا مهما في البناء الروائي الذي يقوم في الاساس على التبادل الضدي بين الصراعات وتشابك تلك الصراعات وعمق هذه العلاقات بينها وبين الشخصيات ، حيث ظلت أغلب النتاجات [4] في الحقبة التي أعقبت حقبة أعمال السيد على الصيغة التقليدية نفسها او الصورة الخالية من عناصر الصراع الدرامي حيث أقتصرت الأفكار

([1]) ينظر ، التجربة الروائية في العراق ، نجم عبدالله كاظم ص 43.

([2]) ينظر على سبيل المثال لا الحصر ، رواية اليد والارض والماء لذنون ، أيوب ومجنونان لعبدالحق فاضل وغيرها من الأعمال الروائية في تلك الحقبة .

([3]) قصص عراقية معاصرة ، دراسة ونقد فاضل ثامر وياسين النصير ، مطبعة دار السلام بغداد 1971،ص 7.

([4]) أن من يطلع على أعمال عبدالملك نوري وجعفر الخليلي وعبدالحق فاضل وأنور شاؤل ، وذنون أيوب يستنتج أن الصراعات فيها موظفه بطريقة تقليدية ومباشرة .

والموضوعات على الجانب الأصلاحي ومعاناة المجتمعات وعرضها بسطحية واضحة وظاهرة ، حددتها العلاقات الضدية الخارجية فحسب التي كانت أكثر شيوعا في هذه الأعمال . ثم بقيت على حالها من تمثيل للصراعات الخارجية وهي في هذا تجنح نحو المجتمع ككل ولم تصل الى الفرد ذاته ومشاكله وردة فعله بل كان من أبرز غاياتها مشاكل المجتمع عموما لذا لم تسجل وجودا للعلاقات الضدية الداخلية وانما أنمازت بالصراعات الخارجية المباشرة التي حددت وجود العلاقات الضدية الخارجية في أغلبها فالصراع على الأرض في (اليد والارض والماء) لأيوب ، هو عبارة عن علاقات ضدية خارجية كذلك التضاد الذي ربط بين صفية وصادق في (مجنونان) لعبدالحق فاضل ، كان تضادا خارجيا محضا ولم يسجل للتضاد والصراع الداخلي وجود ولعل هذا يعود الى أن متطلبات الحياة لم تكن على درجة من التطور على النحو الذي شهدته السنوات اللاحقة . لقد بقيت سمة التقليدية سمة الأعمال الروائية الأولى نتيجة الظروف السياسية والاقتصادية والأجتماعية المتقلبة لذا كان مألوفا ان نجد أي عمل روائي في تلك المرحلة عبارة (عن منولوج بسيط تتداخل فيه الشخصيات)[1]، كذلك الشخصيات المألوفة التي تعيش هذه الظروف الصعبة كالفلاح والكاسب والمثقف الذي يعاني ، لذا فقد جاء البناء الروائي بعامة خاليا من أبرز العناصر الفنية وهو حركة الصراع الداخلي والخارجي ونشاطهما ودورهما في أذكاء الصراع العام مما حدا بالرواية (والقصة) في تلك الحقبة الى الأبتعاد فنيا عن مشاكل الرواية العربية الحديثة (والقصة العربية الحديثة)[2]، وبعيد عن المبالغة القونل أن توظيف الصراع واشكاله ومستواه هو الذي حدد فنية الأعمال الروائية من غيرها ، على الرغم من أن الصراع بحد ذاته هو محور العمل الروائي الا ان اختلاف مستويات توظيفه هو الذي حدد شكل الرواية الحديثة وفنيتها قياسا الى البدايات الأولى للرواية العراقية ، على الرغم من أن كتاب الرواية الاوائل كانوا على وعي تام بأنهم يقدمون

([1]) قضايا القصة العراقية المعاصرة ، عباس عبد جاسم ، منشورات وزارة الثقافة والأعلام ، دار الرشيد للنشر ، 1986ص13.

([2]) ينظر / التجربة الروائية في العراق في نصف قرن / نجم عبدالله كاظم ، ص 10 .

شكلا أدبيا يختلف عما كان سائدا من مقامات الا ان الاخطاء الفنية سلبت ما كان سيرفع بهذه الأعمال الى مكانة قريبة من فن الرواية ، فالضعف في رسم الشخصيات وأغفال دواخلها وشيوع الصدفة وضعف الترابط بين الأحداث كان سائدا بشكل كبير وهذا يقود الى حقيقة ضعف هذه الأعمال بوجود ظاهرة العلاقات الضدية اذا ما عددنا ان هذه الظاهرة هي نوع من التجريب[1] الذي يطرأ على العمل الروائي ويبدو أرتباط وجود ظاهرة العلاقات الضدية بالتجريب واضحا إذ أن وجود هذه الظاهرة – بنوعيها – كفيل بالأرتقاء بالعمل الروائي الى مكانه تسمح بتقييمه بفنية عالية ويبدو ان هذا كان بعيدا عن الأعمال الروائية العراقية في فترة ما بين الحربين العالميتين وما بعدها حتى مطلع الستينات فالعاطفة المسرفة والمغامرة والأفتعال كان سمة هذه الأعمال ، يقول الدكتور نجم عبدالله كاظم عن رواية (جلال خالد) للسيد " لم يستطع السيد خلق صراع حقيقي يصعد من خلاله الأحداث بتنام وزاد من ذلك تسطح الشخصيات التي أفتقدت الحياة الضرورية للشخصية القصصية والروائية"[2] وفي هذا اشارة غير مباشرة الى ضعف هذه الرواية بوجود ظاهرة العلاقات الضدية إذ أن (الصراع الحقيقي) الذي اراده هو الصراع المتجسد بالعلاقات الضدية بنوعيها ويقول عن (الدكتور ابراهيم) لذنون أيوب (... كان أيوب كثيرا ما يركز في بعض الفصول بشكل كبير على الموضوع الذي يريد أن يقدمه للقارئ فيتناسى الجوانب الفنية)[3]، فظاهرة العلاقات الضدية بنوعيها تشكل جانبا كبيرا من المستوى الفني لأتصالها المباشر بالصراع الذي هو اساس العمل الروائي ، لذا فأن الضعف فيه يوقع العمل الروائي في مأخذ تؤثر في مستواه وقيمته . ولعل من أسباب هذا الضعف أن العمل الروائي بحاجة الى (حالة من الأستقرار السياسي والأجتماعي والى النمو الأجتماعي والحضاري)[4] وهذا مالم

([1]) التجريب وكمال العناصر الفنية في الرواية هما وجهان لعملة واحدة إذ يعني التجريب التجدد والتطور الذي يضع العمل الروائي امام الأمتحان والأختبار في مسايرة التطور في هذا الفن .

([2]) التجربة الروائية في العراق في نصف قرن /نجم عبدالله كاظم ص 40.

([3]) التجربة الروائية في العراق في نصف قرن، نجم عبدالله كاظم ص53.

([4]) المصدر نفسه ص67.

يتحقق للرواية العراقية في تلك الحقبة فالأوضاع الأقتصادية والأجتماعية والسياسية السيئة حالت دون ذلك ، فمال المثقف العراقي – الروائي بشكل خاص – الى تبني الأصلاحات الأجتماعية والدعوة اليها مما حدا بالروائي الى التقليل من اهتمامه بالعناصر الفنية المكتملة خاصة فيما يتعلق بتوظيف الصراعات بمختلف مستوياتها ، فلم نلمس دواخل الشخصيات وصراعاتها النفسية مثلا عدا ما يخبرنا عنه الروائي بنفسه ، فضلا عن التقليدية في الصراعات الخارجية ، يقول مؤيد الطلال " فهذه الأعمال كانت تفتقر الى مقومات فكرية وتكنيكية عديدة بحكم قلة تجاربها وأهتمامها بالقضايا والوسائل الحسية المباشرة وبذلك غاب عن قسم كبير منها المنظور الايديولوجي الواضح والمنهج النقدي العلمي والرؤية الشمولية للحياة والمجتمع والانسان كما غابت في أحيان كثيرة الصنعة الفنية المحكمة "[1] ، هذا الرأي يدعم وجهة النظر في أن ضعف رواية هذه الحقبة فنيا نتيجة أنعدام الرؤى الفكرية والفلسفية وأغفال دواخل النفس والعالم الداخلي . اما في حقبة الستينات وبالتحديد بدايتها فقد شهدت محاولات لايمكن الاستهانة بها لنقل الرواية العراقية الى حالة التطور والنمو فظهرت أعمال فرمان والتكرلي ، وموفق خضر التي أخذت تتجه نحو الأهتمام بالذات الأنسانية وسبر اغوار النفس من خلال توظيف الصراعات المتضادة بمستويات مختلفة والتوفيق بين الصورة والعنصر الفني الذي أزداد بأزدياد تعقيدات الحياة التي ادت الى هذا التطور الذي عزز وحدد أركان الرواية العراقية التي أنتقلت بها رواية النخلة والجيران) الى مرحلة جديدة ومهمة في مسيرة الرواية العراقية حين أقتربت الرواية العراقية فيها من مرحلة أحتواء الصورة الفنية والأركان والعناصر التي تشكل العمل الروائي . عندما صدرت (النخلة والجيران) عام 1965 لغائب طعمة فرمان حققت الرواية العراقية عندها مرحلة النضج الفني [2]الذي أخذ يحسب لها خاصة بعد الأصدارات التي توالت بعد (النخلة والجيران)، يقول الدكتور شجاع مسلم العاني " في عام 1966 صدرت (

([1]) الواقعية الاجتماعية النقدية في القصة العراقية ، مؤيد الطلال ،ص98.

([2]) ينظر ، الرواية العراقية والحدث التأريخي ، باسم عبدالحميد حمودي ، مقالة ، مجلة الاقلام العدد 4 نيسان ، 1985 ص8.

رواية النخلة والجيران) التي عدها الكثير من النقاد أول عمل قصصي يرتفع الى مستوى الرواية كما عد كاتبها (غائب طعمة فرمان ، الأب الشرعي) لمثل هذه الرواية في العراق"[1]. فقد ضمن فرمان الاحداث الدرامية فيها بشكل معين حملها كثيرا من ذرى الصراع المتضاد – بنوعيه – الداخلي والخارجي حين نلمس صراع سليمة الخبازة الداخلي وهي تنتظر (مصطفى الدلال) ، الى جانب ما تعيش من صراع خارجي ضد محيطها كذلك صراع (حسين) الداخلي إثر هجر (تماظر) له ايضا ينطوي تحت قائمة التوظيف للحدثين الداخلي والخارجي في علاقات ضدية نقلت الرواية العراقية الى مرحلة أخرى ، ولعل الحكم على رواية النخلة والجيران) بهذا المنظار لا يلغي السمات الفنية الناضجة لبعض الأعمال الروائية العراقية [2] التي صدرت في بداية الستينات مثل أعمال فؤاد التكرلي وشاكر خصباك وموفق خضر وغيرهم من رواد هذه الحقبة وعليه لا نجانب الصواب اذا قررنا أن رواية (النخلة والجيران) هي الحد الفاصل بين مرحلة البداية والنشوء وبين مرحلة النضج الفني ، الأ أنها قدمت شيئا جديدا غير مألوف تكاملت فيها اغلب العناصر الفنية من حبكة وفكرة وصراع وسرد وبيئة ، ولعل أسباب هذا التطور يعود الى التأثر الفكري والفني بالتيارات العالمية ، وهنا تظهر حقيقة لابد من الاشارة اليها هي أن ظاهرة العلاقات الضدية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعامل الفكري والسياسي والاجتماعي والاقتصادي لذا فأن أي تأثير في تكوين هذه الظاهرة يسير بأطراد مع هذه العوامل ، يقول عباس عبد جاسم في كتابه قضايا القصة العراقية المعاصرة " أبتدأت مرحلة جديدة تشكل في وجودها معادلة معقدة من التجديد والمعاصرة ، والقصة في هذه المرحلة أنبثقت في ظروف موضوعية متخلخلة ، حيث أن القاص العراقي خضع لتأثيرات سياسية وأجتماعية متوترة ، مما انعكس هذا التأثير بوضوح على نتاجه القصصي بأشكال مختلفة من

([1]) البناء الفني في الرواية العربية ،د. شجاع مسلم العاني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1994 ،ص 91.

([2]) يمكن الرجوع الى هذه الأعمال للوقوف على التطور الذي طرأ على النتاج العراقي الذي يعود لأسباب فكرية وسياسية واقتصادية .

أنفعالات ذاتية وأزمات فكرية "[1] فقد تشكلت ملامح النضج الفني نتيجة هذه العوامل فأصبحت حرية الروائي اكبر في نتاجاته كما أصبح للعمق النفسي مساحة اكبر فاقت مساحاته في النتاجات السابقة وأصبح الروائي يخضع الشخصيات لخططه الروائية ومنها ظاهرة العلاقات الضدية إذ هي تشمل توظيف الصراع المحور

الأساس في العمل الروائي، هذه الخطة دعمتها المتغيرات الحياتية وتأثر الشخصيات فيها مع أستعياب الروائي لمفهومي الزمان والمكان اللذين يشكلان الوعاء المكتنف للصراع إذ على الروائي أن يضع أفكاره وتعبيراته على خلفية مناسبة من الزمان والمكان . ويبدو أن الرواية العراقية عبرت عن ذلك بمضامين ورؤئ متعددة ابرزها الكاتب العراقي إذ سجلت الأعمال الروائية التي جاءت بعد النخلة والجيران مستوى عاليا من التقنية والفنية والعمق النفسي والامر الذي ساعد على وجود ظاهرة العلاقات الضدية في النتاج الروائي العراقي. حيث أصبحنا نشعر بحركة مستمرة الى ما لانهاية من التأثير والتأثر والأخذ والعطاء حين يتغير العالم الخارجي فينفعل العالم الداخلي فيتأثر ويثور ليبرز ردود الأفعال المختلفة. كما أصبح من المألوف الكشف عن عمق العلاقة بين الشخصيات والأشياء ورصد الصراعات في هذه العلاقات. كل ذلك تجسد عبر العلاقات الضدية فتوالت أعمال[2] غائب طعمه فرمان وهي تسجل هذه التقنية في بنائها. الا ان هناك من تجاوزها في توظيف العلاقات الضدية بمستوى عال مثل أعمال التكرلي ويوسف الصائغ وأسماعيل فهد أسماعيل وعبدالرزاق المطلبي وعائد خصباك وغيرهم [3].

فظهرت العلاقات الضدية وقد تجسدت في أعمال هؤلاء نتيجة التأثيرات الفكرية والفلسفية والاتجاهات التقدمية التي تفاعلوا معها وحاولوا استيعابها ، فضلا عن

([1]) قضايا القصة العراقية المعاصرة ، عباس عبد جاسم ، ص 15.

([2]) صدرت بعد النخلة والجيران لفرمان: المخاض (1974) ، والقربان (1975) وظلال على النافذة (1979) والآم السيد معروف 1982، والمركب (1989) .

([3]) أن ذكر هذه الأسماء على سبيل المثال لا الحصر إذ شهدت حقبة منتصف الستينات وما بعدها وصولا الى يومنا هذا ظهور أسماء في عالم الكتابة الروائية لها دورها في مسيرة الرواية العراقية .

الظروف السياسية والأقتصادية والأجتماعية . والواقع أن مستوى توظيف هذه الظاهرة كان مستوى عالي الجودة اسهم في تحديد ملامح الرواية العراقية الجديدة التي أخذت تخطوا حثيثا لمسايرة الركب العالمي. وتمثل الصراعات الضدية بمختلف اشكالها ، ودخولها مرحلة التجريب الذي كان ناضجا وحقيقيا وواقعيا بتجسيد العلاقات الضدية للصراعات والتضادات ، خاصة في اعمال التكرلي وأسماعيل فهد ويوسف الصائغ ، فقد طوروا اشكال الصراعات ووظفوها بأتجاهات متعددة وبأبعاد ورؤئ مختلفة ونقلوا صورة الواقع بحيوية وسبروا أعماق النفس الأنسانية الى الحد الذي جعل القارئ يقترب كثيرا من الشخصيات ودواخلها ، بطريقة السرد التي " تنتمي الى حد كبير الى السرد في الرواية الكلاسيكية الى أنه يدشن عهدا جديدا في السرد في الرواية العراقية "[1]، والذي لعبت فيه العلاقات الضدية – بنوعيها – دورا اساسيا في تطوره على أعتبار أنها طريقة من طرائق سرد الصراعات وإظهارها ، ولا نبتعد عن الصواب اذا ما سلمنا أن التجريب في الرواية العراقية كان الأسهام الأكبر فيه للعلاقات الضدية والتي نبعت بالأساس من جدلية الصراع الأجتماعي الذي أذكاه التقدم الحضاري والتطورات الحثيثة في مختلف الأتجاهات ، فأصبحت الحركة الدائرية للصراعات تستقطب أهتمام الروائيين العراقيين فقدموا صورة عنها اذكوها بالعلاقات المتضادة داخل شبكة صراعية كونت البناء العام للعمل الروائي .

أن النتاج الروائي العراقي منذ تقديم الصورة الفنية الأولى له متمثلة (بالنخلة والجيران) وحتى يومنا هذا مثل الصراعات الحياتية وبمستويات توظيف متفاوته عبرت عن أنفتاح الروائي العراقي على النتاجات العالمية والثقافات الأجنبية حين أسهمت بعض الثيمات المستعارة في اسناد الصورة التي اراد الروائي أن يعبر عنها،خاصة أن التضاد وصور العلاقات الضدية قد اكتنفته النتاجات العالمية قبل وقت طويل قبل وصول الرواية عندنا الى صورتها اليوم التي حققت أضافة نوعية الى الرواية العراقية أضفت قيمة ومستوى عال في تجسيد الصراعات ، فالتعامل مع الحدث كان بفاعلية

([1]) البناء الفني في الرواية العربية في العراق ، شجاع مسلم العاني ، ص 94.

كبيرة ومؤثرة ويبدو أن وصولها الى هذا المستوى يدخلها في رحلة الأنعتاق من دورة الرواية العالمية التقليدية والتجريبية خاصة بعدما (اخذت تتعامل مع القضايا الحيوية بجد تتفاوت أساليبه)[1]. أن الرواية العراقية قد أستوعبت ظاهرة العلاقات الضدية – كما أستوعبت غيرها من الظواهر بعد أن وصلت الى مرحلة من النضج الفني اكتنف توظيف الصراعات بمستويات متعددة وتنويع الرؤى والنظرات ، وحتى في بدايتها المتمثلة بأعمال السيد وجدت هذه الفنيات (بصورة جنينية)[2] كما يقول الدكتور شجاع مسلم العاني متمثلة بالصراعات الخارجية ، لذا فقد عشنا في العالم الخارجي وصراعاته الى جانب انفعالات العالم الداخلي والنفس الأنسانية عبر استيعاب الروائي العراقي لمتغيرات جمة ومنها حالة الحرب التي عاشها الروائي العراقي وهي الحرب العراقية الايرانية التي استمرت ثمان سنوات شهدت غزارة في الانتاج الروائي الحربي الذي كان من المفروض ان يشكل انعطافه في تاريخ الرواية العراقية ، عندما اتخذت الرواية العراقية مجالا اخر وغطت موضوعا مغايرا للحياة المدنية حين أرتبط هذه النتاج بواقع الحال الذي يجب ان يعبر عنه ويغطيه وتماشيا مع حالة الحرب هذه أخذت الأعمال الروائية العراقية تظهر وتصدر بأطراد كبير إذ يكفي أن تشير الى أن سنوات الحرب الثلاث الأولى قد صدرت فيها ست عشرة[3] رواية ، وهو عدد كبير نسبيا أثر فيه الواقع العام لأجواء الحرب التي تتطلب جهودا تعبوية في مختلف المجالات ومنها المجال الدعائي الذي يعد الفن الروائي جزءا منه الا أن هذه الصلة التي ربطت بين الفن الروائي العراقي وحالة الحرب في تلك الحقبة أخذت لها حيزا او مجالا خاصا بها أنفردت به عن أتجاه الرواية العراقية عموما لأن هذا النوع من الروايات لم يأخذ بعين

([1]) ينظر ، الرواية العربية ، النشأة والتحول ،محسن جاسم الموسوي ، منشورات مكتبة التحرير ، بغداد ،ط1 ، 1986 ،ص175.

([2]) البناء الفني في الرواية العربية في العراق ، شجاع مسلم العاني ،ص205.

([3]) على سبيل المثال لا الحصر رواية (الرقص على أكتاف الموت) ورواية (جبل الثلج ، جبل النار) لعادل عبدالجبار ، ورواية (مكابدات عبدالله العاشق) لعبد الخالق الركابي و(صخب البحر)لعلي خيون وغيرها من الأعمال الروائية التي ظهرت في هذه الحقبة .

الأعتبار تماما طبيعة التطورات الجارية في البنية الأجتماعية أولا وفي الأدب عموما لذا فلم نلمس أي تميز او تطور او نمو في هذه الروايات لانها بقيت على الوتيرة نفسها من التقليدية يقول الدكتور عمر الطالب :0 (لو أمعنا النظر في روايات الحرب العراقية الايرانية لوجدناها متشابهة من حيث البناء والموضوع والمباشرة)[1].وهي بهذا تقع في حيز يخصها ولم تسجل تطورا او نموا يعطي انطباعات متعددة عن حالة الحرب على الرغم من أن رواية الحرب تغطي مجالا واسعا من الخبرة البشرية [2] الا أنه لم نجد له صدى في رواية الحرب عندنا ، فكل التفاصيل رسمت ابعاد حدث خاص بالمعركة فقط لم تخرج عن حيز القتال والهجوم والاستشهاد مع بعض الارتدادات الى الماضي عن طريق الشخصيات ، ففكرة الحرب بحد ذاتها لا تتجاوز الفكرة الجوهرية التي تتسع ضمن احداث الغزو والاحتلال والقتال والدفاع الى جانب الصبغة التسجيلية والوثائقية [3] مؤثرة بذلك على طبيعة الشكل الفني للعمل الروائي ، فالصراع الذي عالجته رواية الحرب ، عندنا صراع محيط المعركة التقليدي ، لذا لم تسجل ظاهرة العلاقات الضدية حضورا متميزا يحسب لها – رواية الحرب – وهو ما كان متوقعا خاصة في بداية النتاجات التي كانت تواجه اشكالية التجادل العميق وسبر اغوار النفس ولأن الروائيين العراقيين في تلك الحقبة استوعبوا من الحرب دويها الاعلامي فقط فكانت الاعمال فردية التناول احادية الموضوع فتورط اغلب الروائيين في احداث المعركة الميدانية و توظيف الصراع بوتيرة واحدة لذا كان وجود العلاقات الضدية وجودا محدودا لم يخرج عن أطار الاستشهاد او الهجوم المفاجئ او الوقوع في الاسر و هذه الثيمات قد تكون علاقات ضدية الا أن تكرارها يضعف من قيمة و

([1]) الرواية العراقية ، دراسات نقدية ، الدكتور عمر الطالب ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، 1999،ص 7 .

([2]) اذ1 يكفي أن نطلع على رواية (الحرب والسلام) لتولستوي فهي تشكل قمة بين روايات الحرب من خلال تناولها حياة الحرب وتداعياتها .

([3]) ينظر، رواية المعركة وافاق البناء الفني ، قيس كاظم الجنابي ، دراسة ، مجلة الطليعة الأدبية ، العدد الخامس ، 1986،ص51.

مستوى هذه العلاقات ألا أن هذا لم يلغ وجود العلاقات الضدية في بعض من روايات الحرب و توظيفها بتقنية غير أنها شكلت مساحة ضئيلة قياسا الى الكم الهائل من روايات الحرب عندنا، و لعل في أرتباط العلاقات الضدية المجسدة للصراعات بالبناء العام للرواية ما يبرر القول بأن ضعف وجودها هو ضعف للعمل الروائي بأكمله.

أن الرواية العراقية أستطاعت أن تجسد الصراعات و توظفها بتقنية عالية محققة الصدق الفني و الواقعية المقنعة على الرغم من عمرها القصير و لعل هذا يعود الى البيئة الخصبة التي أذكت هذه الصراعات وأغنتها فضلا عن مقدرة الروائي نفسه على التوظيف الصحيح لها.

الفصل الأول

حركة الأفعال الخارجية
(العلاقات الضدية الخارجية)

تمضي الرواية متنامية في علاقة وثيقة مع المجتمع حين عكست القيم الاجتماعية بمختلف صورها ، ولاسيما بعد أن أخذت هذه القيم تشكل أطارات معتقدية أتجه إليها الأفراد وأوغلوا في الاتجاه اليها بازدياد تأثيرها وجذبها عندها أخذت العلاقة بين الفرد ومحيطة الخارجي تهتز فأخذت الرواية على عاتقها إمكانية طرح تلك التغيرات والتأثيرات وأسبابها ومدى فاعليتها وتقديمها برؤى متعددة تبعا لفلسفة الروائي ونظرته للأشياء ، ويبدو أن التعبير الأخر عن التأثيرات والتغيرات هو(الصراع) الذي أخذت الرواية حصتها منه حين أظهرت حالات الأصطراع الدائم بين الأفراد وجسدته بأنماط متجددة تبعا لتجدد الصراعات وتطورها في المجتمع لذا فقد قامت الرواية على تجسيد هذه الحقائق والمواقف وما يحدث فيها من تعارض وصراعات . يقول كارلوس فونتنسن : (إن الرواية ولدت في حقيقة مفادها أنها لا يفهم أحدنا الأخر)[1] ، هذه الحقيقة تقودنا الى ما يترتب على عدم فهم بعضنا البعض وقيام التعارض والتضاد ، وهو ما يشكل الأساس الذي يقوم عليه بناء الرواية ، فضلا عن فلسفة الروائي الخاصة ، والظروف التي يحيط بها شخصياته هذه الظروف التي تبدو وكأنها واقع فعلي ممكن حدوثه وكلما ازدادت الظروف الحياتية تعقيدا ، زاد تمثل الروائي للواقع الذي أصبح ضاجا بالحركة والتعارض والارتباك والاضطراب حتى أصبحت علاقة الفرد ومجموعة الأفراد بمجتمع متهرئ من الصور المألوفة وأخذنا نطلع على حالات التعارض والتناقض وردود الأفعال المضادة وصور الصراعات المختلفة نتيجة الهوة التي أخذت تتسع بين الأفراد والمجتمع أو الأفراد والسلطة أو الأفراد فيما بينهم ، وازداد تعرض الفرد للصعوبات، بازدياد تطلعاته ، وازداد كبت الحريات والمعالجات الخاطئة لمختلف جوانب الحياة ، وأستفحل التناقض والتعارض بين جزئيات الحياة ومفرداتها [2]، كل هذه المؤثرات ، جعلت الفرد يمارس نوعا من الحركة الضدية أو ردة فعل تنفيسا عن

([1]) كارلوس فونتنس ، نقلا عن دراسة مترجمة ، باختين والزمان السردي الحديث ، سيستي بيرتن ، ت محمد درويش ، مجلة الأقلام ، العدد (6) ، 1999 ، ص44.

([2]) ينظر خصوصية الرواية العربية ، إبراهيم فتحي ، مقالة مجلة الأقلام ، العدد الثاني ، نيسان، آيار ،1998ص13.

التوترات [1] والصراعات التي ازدادت حدة وتعقيدا في المجتمعات الحديثة الأمر الذي جعل من العلاقات الضدية ظاهرة شائعة في الحياة اليومية للناس .

ان العلاقة الضدية عبارة عن ربط بين قطبين متضادين بسبب مؤثرات مختلفة يسوقها الروائي للقارئ ويضعها إلى جانب أدوات الوصف والتحليل والحوار ويدعمها بالمسارات النفسية لكي يقدم تجربة حقيقية كفيلة بأن تشعرنا بأحساسات مختلفة تطلعنا على رؤى جديدة . فالتقابل والتعارض الذي يخلقه الروائي بين الشخصيات والمجتمع او بين الشخصيات فيما بينها أو بينها وبين البيئة ، تتيح له الخروج من مأزق (التكرار الممل في المتابعة الزمنية لرصد حياة الشخص المعني في السيرة الذاتية)[2] ، لذا فأن الروائي لابد أن يلجأ الى عدد من الأساليب التي تمنح الرؤية الذاتية تماسكا محكما . يقول الدكتور محسن جاسم الموسوي في كتابه عصر الرواية (وأذا كان (الشخوص المتضادون) و(الأهواء المتعارضة) يجتمعون في تكوين بؤر للرؤية ، فأن هذه البؤر هي تمتلك تناغما حياتيا وليس الشخوص أنفسهم [3]). وهذا يعني أن التعارض والتضاد هو أسلوب يتيح للروائي أن يخلق تنوعا في عمله الروائي شبيها بالتنوع الذي نجده في الحياة ، عندها تتحقق واقعية العمل الروائي حين يأخذ أجزاء وصورا ومواقف حياتية يقدمها بالواقعية نفسها التي نجد هذه الصور والمواقف عليها في الحياة .

ويبدو فضلا عن ذلك أن التضاد والتعارض يحقق التفاعل المطلوب بين القارئ والعمل الروائي من خلال الشد الحاصل في المواقف الذي لا يأتي بصورة مباشرة بل يسير في ضمن أحداث الرواية الى الحد الذي يمكن ان يحس ويلمس عبر شبكة من الصراعات والأهواء المتعارضة التي تتيح لنا الإطلاع على لحظات التأزم في حياة الأفراد المتصارعين والتعرف على ردود الأفعال الظاهرية والداخلية من خلال حركات

([1]) ينظر ، الواقعية والرواية المعاصرة ، ريموند وليمز ، مقالة ، ت فاضل ثامر ، مجلة الثقافة الأجنبية، العدد (4) ،1992، ص 26.

([2]) ينظر ، عصر الرواية ، مقال في النوع الأدبي ، محسن جاسم الموسوي ،ص165.

([3]) المصدر نفسه ، ص 166.

الأحداث المتغيرة من الخارج إلى الداخل وبالعكس وهذا يعطي الفرصة لرؤية حقيقية للشخوص فضلا عن الارتقاء بالحدث خارج التفصيل الاعتيادي وأعطائه أبعادا أخرى يغطي حالة التوتر التي يتطلبها العمل الروائي .

وميزة الرواية أنها تمتلك قدرا من المرونة يتيح لها أن تستوعب مختلف الصور ، يذكي ذلك مقدرة الروائي على التواصل وخلق التوترات من خلال التضاد، ويبدو أن الصراعات والتضاد والتعارض داخل العمل الروائي تتخذ هيئة لاتكون ظاهرة بقدر ماهي محسوسة من خلال الأحداث وهي هيئة العلاقات الضدية، التي تجسد الصراع في العمل الروائي كما جسدته في الواقع ، ويبدو أن تكوين (العلاقات الضدية) داخل الأحداث في العمل الروائي ضروري لخلق الوحدة فيه التي تتأتى عن طريق شبكة العلاقات الضدية التي تكونها حركة الأحداث بنوعيها الخارجية والداخلية الى جانب الروابط المنطقية التي تربط بينها ، فالعلاقة الضدية عبارة عن ربط بين قطبين تقوم بينهما علاقة تضاد أو تعارض تتخذ شكل شد وصراع مباشر أو صراع ذهني وهذا مظهر من مظاهر الصراعات التي تكتنف أحداث العمل الروائي ، ويبدو أن هذه الظاهرة تبدو مهيمنة الى جانب الأدوات الفنية الأخرى التي بحوزة الروائي، يقول الدكتور شجاع مسلم العاني في كتابه البناء الفني في الرواية العربية في العراق " (ومع أن الأدوات الفنية التي بحوزة الروائي ، تتضافر جميعا في بناء الرواية ، إلا أن الوظيفة التي تؤديها كل أداة واختلافها عن الوظيفة التي تؤديها غيرها من الأدوات ، قد يجعل إحدى هذه الأدوات هي المهيمنة، في بناء رواية ما)[1].

وهذا يدفعنا للقول أن العلاقات الضدية واحدة من الأساليب أو الأدوات الفنية المهيمنة على البناء الروائي لأن مضمون الرواية الفريد هو طبيعة الحياة الشخصية والعلاقة التي تربط الشخصية بالعالم والحركة الشاملة للأحداث والشخصيات وهذا كله لا يتم التعبير عنه بوضوح الا عن طريق (العلاقات الضدية) التي تشكل أساسا من أساس البناء الروائي .

([1]) البناء الفني في الرواية العربية في العراق / شجاع مسلم العاني ،ص19 .

أن الأسباب مختلفة وكثيرة في تكوين العلاقات الضدية في البناء الروائي ، ويكون دور الروائي فيها هو إعطاؤها درجة من الواقعية والإقناع ، وإدخالها في شبكة من العلاقات الضدية الأخرى سواء بدعمها بالصراعات الثانوية ، أو جعلها تسير الى جانب علاقة ضدية أخرى ليعطي الانطباع عن جدة موقف الصراع، وواقعية المشهد الذي يحدث فيه التضاد .

ولابد من التفريق بين أنواع العلاقات الضدية ، أو بالأحرى نوعي العلاقة الضدية بحسب طابعها وتأثيرها وأسباب نشوئها ، فقد تتخذ العلاقة الضدية (هيئة خارجية) ، أو (هيئة داخلية) بحسب الصراع الذي تجسده والتأثير الذي تحدثه ، فالهيئة الخارجية لها تتمثل بالصراعات الخارجية المباشرة والتي تتوضح من خلال وجود قطبين يتضادان بشكل خارجي وواضح ومباشر ، فضلا عن وجود البيئة الخارجية التي يتحرك فيها الفعل المجسد للصراع الخارجي ، والأسباب والمؤثرات التي تلعب دورا في تكوين الصراعات الخارجية (العلاقات الضدية الخارجية) .

ولابد من الإشارة الى أن (العلاقات الضدية الخارجية) تتميز بكونها علاقة مرئية وظاهرية ، فالروائي يصف لنا أغلب هذه العلاقات وتشابكها وما يطرأ عليها من تعارض وتطور وتنافر بمنظار مكبر وواسع[1] حيث يتسنى للقارئ أن يتابع هذه الحركة دون جهد كبير في التحليل والتعليل ومع وضوح لأغلب الأسباب والمؤثرات التي تؤدي الى تكوينه ، وهي توظف الفعل الخارجي وسيلة للإعلان عن نفسها في تصوير الصراع الخارجي المباشر ، فمن الممكن أن يصور الروائي لنا مشهد مقتل أو جرح أحدهم ، وهذا واضح قد يكون جرحه بسبب مشاجرة أو حرب أو أي سبب أخر بديهي لأمكانية حدوث الجرح ، اما ما يعانيه الجريح وصراعه الداخلي – وهو بحث أخر – فلا تظهره لنا العلاقة الخارجية ولا الفعل الخارجي[2]، فأرتباط الشخصيات

([1]) ينظر : الرواية العربية المعاصرة ، من المغامرة الى التأسيس ، ما جد أسد ، الموسوعة الصغيرة ، دار الشؤون الثقافة العامة ، 1988،ص 33.

([2]) ينظر الرواية العربية المعاصرة ، ماجد اسد ،ص 33.

بعلاقات التضاد الخارجي تحددها حركة الفعل الخارجي نفسه ودوره في إغناء صورة التضاد .

فالشخصية تعيش في صراعاتها عالمين وتعبر عنها بهذين العالمين : (عالم داخلي) ، (عالم خارجي) ، فالعالم الداخلي يضج بحركة الأفعال داخليا (الصراع النفسي) ، والعالم الخارجي مشبع بالأفعال والحركات الخارجية (صراع خارجي مباشر)، وليس شرطا ان يوظف الروائي العالمين معا ، على الرغم من أن أرتباط العالم الداخلي بالعالم الخارجي للشخصية ارتباط النتيجة بالسبب ، إذ غالبا ما تكون (الحركة الداخلية) هي رد فعل (للمؤثر الخارجي) ، فالحدث الخارجي :
مقتل الفتاة أمام عيني (حميدة) بطل رواية (المستنقعات الضوئية)[1] لإسماعيل فهد إسماعيل ودخوله السجن إثر ذلك سبب الصراع النفسي الداخلي الذي عاشه ، لأن العلاقة (الضدية الخارجية) سببت العلاقة (الضدية الداخلية)، حدد ذلك حركة الأفعال الخارجية أولا ، حادث القتل ، حادث دخول السجن ، حادث الطلاق ، حادث زواج مطلقته من صديقه ، هذه الأصطدامات الخارجية والصراعات جعلت من البطل يعيش تضادا مع نفسه .

فقد يركز الروائي في نتاجه على الحركة الخارجية، تضاد خارجي كما في روايات (عبدالخالق الركابي) ، حيث يطغى الحدث الخارجي على مجمل الصراعات التي تكتنفها رواياته ، ولا أثر للصراع الداخلي[2] الا نادرا .

([1]) المستنقعات الضوئية ، إسماعيل فهد إسماعيل ، دار العودة ، بيروت ، ط3 ، 1979،ص28،ص68 .

([2]) لا أثر للصراعات الداخلية لأبطال الركابي في رواياته باستثناء رواية نافذة بسعة الحلم حيث نجد البطل حازم يعيش صراعا داخليا بسبب استشهاد صديقه اولا ، وأصابته وبتر ساقيه ثانيا، مما جعله يعيش حالة من التأزم ، ينظر ، نافذة بسعة الحلم ، عبدالخالق الركابي ، دار الحرية للطباعة 1977،ص 24، ص160 اما باقي نتاجات الركابي فقد تميزت بتراكم الاحداث والصراعات وتسارعها والاكتفاء بوجود قطبي الصراع ظاهريا عنصر مقابل عنصر ينظر ، مكابدات عبدالله العاشق ، عبدالخالق الركابي ، دار الرشيد للنشر ، 1982 ،ص 49 ، وينظر

وقد يركز الروائي على (الصراع الداخلي) كما في رواية (الرجع البعيد)[1] لفؤاد التكرلي ، ورواية (خمسة أصوات)[2] لغائب طعمة فرمان ، وقد نجد صورتي الحدث الداخلي والخارجي كما في روايات إسماعيل فهد إسماعيل[3].

فالصراعات عن ردود الأفعال النفسية الداخلية ، عن الصراعات الداخلية الممثلة بتضارب المشاعر والأحاسيس الداخلية ، والفورات العاطفية والحركات الانفعالية في أعماق نفس هذه الشخصية الروائية او تلك .

ولغرض توضيح العلاقة الضدية الخارجية لابد من الوقوف على "أسباب ومؤثرات نشوئها وتكوينها في العمل الروائي فضلا عن أسباب نشوء العلاقات الضدية الداخلية ، فالعلاقة الضدية – بنوعيها – تحددها أسباب ومؤثرات لنشوئها تصب في اتجاهات مختلفة وتتفاوت درجة تأثيرها في توليد العلاقة الضدية بحسب فعالية المؤثر ، ومدى ارتباطه بحياة الفرد أو الشخصية ، ومدى تأثيره في الشخصية فضلا عن تعدد هذه الأسباب وتنوعها .

من يفتح باب الطلسم ، عبدالخالق الركابي ، دار الرشيد للنشر ، 1982ص243 ، وينظر ثلاثية الراووق، عبدالخالق الركابي ، دار الشؤون الثقافية ، 1986، ص 144 ، وينظر قبل أن يحلق الباشق ، عبدالخالق الركابي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، 1990 ص 134 وينظر سابع ايام الخلق ، عبدالخالق الركابي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، 1994 ، ص 250 .

([1]) الرجع البعيد ، فؤاد التكرلي ، دار ابن رشد للطباعة ، بيروت ، 1980 ، حيث تعبر هذه الرواية عن قمة الصراع النفسي من خلال أبطالها المحبطون .

([2]) خمسة أصوات ،غائب طعمة فرمان ،دار الآداب ، بيروت ،ط1967 ص5، كتب فرمان في إهداء هذه الرواية (الى أصدقائي في صراعهم مع أنفسهم ومع الآخرين) وهذا تعبير عن المنحى الذي اتخذته الرواية) .

([3]) ينظر المستنقعات الضوئية ، إسماعيل فهد إسماعيل ، دار العودة ، بيروت ، 1979 وينظر كانت السماء زرقاء ، إسماعيل فهد إسماعيل ، دار العودة ، بيروت ، 1978 وينظر الحبل ، إسماعيل ، دار العودة ، بيروت ، 1978.

وينظر ، خطوة في الحلم ، إسماعيل فهد إسماعيل ، دار العودة ، بيروت ، ط1 ، 1980

وينظر الضفاف الأخرى ، إسماعيل فهد إسماعيل ، دار العودة – بيروت 1973.

والمؤثرات التي تنتج عنها العلاقات الضدية الخارجية كثيرة ، أهمها :

- مؤثرات اجتماعية واخلاقية ، ومؤثرات سياسية ، مؤثرات فكرية ومؤثرات طبيعية .

اولا : المؤثرات الاجتماعية والأخلاقية :

تتميز الرواية بكونها أدبا إنسانيا، وهذا مدعاة لأن تكون غايتها واقع الإنسان وبيئته ومجتمعه وما يرتبط به ، وأحد هذه الارتباطات الأخلاق والعادات السائدة

فـي المجتمـع ولاسـيما المجتمـع العربـي الـذي تحكمـه الاعتبـارات الأخلاقيـة أولا وأخيـرا، وبمـا أن غايـة الروائـي أن يعمـق الإحسـاس بالحيـاة[1] وإدراكهـا ، مـن خـلال الظـروف المعقدة التـي يجعل شخصـياته تعيش فيها ، كـان لابد أن يكـون المـؤثر الأخلاقـي أحـد الوسـائل التـي تسـاعد علـى تجسـيد العلاقـات الضـدية ، فـالمؤثر الأخلاقـي سـبب مباشـر فـي تكـوين العلاقـة الضـدية الخـارجيـة المباشـرة حيث نجد أن الشخصية تتصـرف بتضـاد نتيجـة قصـور أخلاقـي أو أن تتعـرض للسقوط أو تمارسه ، أو أن تمارس الشخصية الإجحاف بحق المقربين كالوالدين او الزوجة مثلا .

ففـي روايـة (خمسـة أصـوات)[2]، لغائـب طعمـة فرمـان ، تطالعنـا شخصـية (حميـد) إحـدى الشخصـيات الخمسـة الرئيسـة ، عـانى مـن حياتـه الزوجيـة كثيـرا بسـبب عـدم الانسـجام والتفـاهم بينـه وبـين زوجتـه ، (حميـد) موظـف فـي البنـك ومثقـف، متـزوج مـن امرأة بسيطة ومن وسط اجتماعي مسحوق كان (حميد) قد تزوج بهذه المرأة نزولا عند رغبـة أبيـه عندما كـان طالبـا ، إلا انـه يهملهـا ويهمـل أطفالـه منهـا ويوغـل فـي الابتعـاد عنهم إذ يعد وجودهم خيطـا واهيـا يشده الـى الماضـي الـذي يحـاول أن ينسـاه ، ماضـي وجود أبيـه وتسلطه عليه ، أصـل مشكلة (حميد) يلخص في أن زواجه كان خطوة لم يكن مؤهلا لها فقد تزوج وهو طالب نزولا عند رغبة أبيه الا انه بعد أن أكتمل نموه العقلي والعاطفي أدرك مشكلته الحقيقية في عدم انسجامه مع زوجته، فهو على درجة عاليـة من الثقافـة والإدراك والـوعي ، وهـي أمرأة بسيطة لا ترضـي طموحـه ولا رغباتـه ، فزواجه كان مقبولا عنده لأنه كان يعيش في كنف والده فضلا عن أنه قد تخلص من رغبـة الجسد الملحّـة ، إلا أن حميد وجد نفسـه يعيش علاقـة زوجيـة غير متكافئـة ، بعد أن أتخذ مكانـة وظيفيـة لا بـأس بها وأخذت عواطفه تتجه نحو زميلتـه سلمى ومن هنـا تولدت العلاقة الضدية الخارجية بين حميد وزوجته .

([1]) الرواية الأنطوائية ،جون فلجر ومالكوم برادبري ،ت . د. يوئيل يوسف عزيز ، مقالة ، مجلة الأقلام ، 1985، ص43.

([2]) خمسة أصوات ، غائب طعمة فرمان .

الزوجة تحاول أيجاد كيان لها في حياتها الزوجية ، وأن تدفع زوجها لأداء دوره تجاهها وتجاه أطفالها فحاولت طلب العون من صديقه (سعيد)، الذي تفاجأ بوجود عائلة في حياة (حميد) لا يعلم بوجودها أحد ، الا أن حميد يبتعد ويوغل في الابتعاد، ويمارس الهرب والهرب دوما ، لأنه يشعر بعلو وضعه ومكانته الى جانب بساطة زوجته ، وأن من حقه زوجة تماثله في الوضع والمكانة – كسلمى سكرتيرة البنك مثلا –، والزوجة على الرغم من جهلها إلا أنها وعت حقيقة محاولة جذب زوجها إليها فمع وضعها البائس حاولت طلب المساعدة من صديقه (سعيد) الذي يفشل في مساعيه وفي لفت أنظار (حميد) الى خطئه وذلك لتضاد الطرفين ، حميد وإيغاله في الابتعاد والزوجة في محاولة الإعلان عن وجودها بإصرار في حياة (حميد) ، فهي تريد حياة طبيعية وحضورا لها ولأطفالها في حياة زوجها في حين يمعن (حميد) بتجاهله لها ولأطفاله ، لا يوجد تناسب في حركة الشد ولا في ممارسة التضاد فالزوجة إثر محاولتها لفت أنظار زوجها أليها ، تموت أبنتها جراء الإهمال والمرض ، عندها تستسلم، في حين حركة (حميد) الضدية كانت أكثر تأثيرا وفاعلية فقد أستمر تضاده مع زوجته دون أن يتراجع أو أن يشعر بخطئه بحق عائلته ، أن المؤثر الفعال في تكوين العلاقة الضدية بين حميد وزوجته هو مؤثر اجتماعي وأخلاقي ، فالوضع الاجتماعي المتردي للزوجة حدا بالزوج الى النفور منها ، والقصور الأخلاقي[1].في شخصية (حميد) جعله يهمل عائلته وينكرها : ففي محاورة (بين زوجة (حميد) (وسعيد) ، صديق زوجها وأحد الجيران نقرأ : –

– **يا أستاذ سعيد أنت ترى أمامك مأساة .. رجلا تاركا زوجته وأولاده للجوع ، إلا يثير هذا شفقتك؟**

- **شيء مؤسف – تمتم سعيد – هناك أزواج ...**

([1]) هذا المؤثر يوظفه (غائب) في معظم نتاجاته ، ففي رواية (النخلة والجيران) هناك علاقة حسين بزوجة أبيه التي تعيله فيقابلها بالجحود ينظر النخلة والجيران ، غائب طعمة فرمان،دار الرواد للطباعة 1978 ،ص5، وفي رواية المخاض نجد علاقة داوود بأبيه رجب الذي ينكره ويهمله ينظر، المخاض ، غائب طعمة فرمان ، منشورات مكتبة التحرير ، 1974 ،ص 171 .

قاطعه الرجل :

- لا يوجد أزواج مثل زوجها.

هو أعرف بذلك ، فلم يصر سعيد على رأيه ولكن :

–ما نفع الكتابة عن هذا في الصحافة ؟

–هي لا تريدك أن تكتب – أجاب الرجل عنها – الكتابة لا تنفع .

- ماذا تريدني أن أفعل ؟

- أجابت في الحال وهي تنشج من أنفها :

- قل له .. أجعل له دماغا.

- ذهل سعيد وقال :

- أقول له ، وهل أنا أعرفه ؟

- قالت المرأة :

- أنت تعرفه .

- أعرفه ؟

وخاف أن يسألها من هو لأنه شعر بأنه سيصاب بصدمة .

- أنت تعرفه – قال الرجل في يقين – كل يوم تلتقون سويا .

فتم سعيد فمه وأخشوشنت عضلات عينيه ، وقالت المرأة وهي تمسح عينيها :

- جلساتكم لنص الليل .

الأن فقط بدا وكأنما يعرفه ، لم يشخصه تماما ، ولكن ضمير الجماعة أستحضره وجسده شخصا يعرفه كليا [1].

أن الجانب الأهم في أفعال الشخصيتين حميد وزوجته يتركز في رغبة الزوجة من جهة ورفض الزوج من جهة أخرى فتشكل الصراع الخارجي بينهما إثر محاولة كل منهما تحقيق نفسه وكيانه ، ويبدو أن المشكلة على الرغم من كونها بالأساس مشكلة عاطفية وثقافية إلا أنها لا تبتعد عن كونها مشكلة اجتماعية أيضا تدور في إطار الأخلاقيات التي تحكم المجتمع .

([1]) خمسة أصوات ، غائب طعمة فرمان ،ص 37.

ونجد المؤثر نفسه في توليد العلاقات الضدية الخارجية عند فؤاد التكرلي في روايته (الرجع البعيد) فعلاقة (منيرة) بعدنان أبلغ دليل على المؤثر الأخلاقي في توليده للعلاقات الضدية ، لأن مصيبة (منيرة) والتضاد الذي عاشته كان نتيجة الانحراف الأخلاقي لعدنان الذي أغتصبها بوحشية اثناء خروجها للتنزه ، منيرة تخرج مع (عدنان) ، فهي صديقته فضلا عن كونها خالته ، (وعدنان) يمتلك سيارة تتيح لهما الخروج دائما ، (منيرة) تفكر وتتصرف بمنطق الفتاة المتعلمة التي تطلق لرغباتها البريئة العنان ، فلا ضير أن تخرج مع أبن أختها وأن تتمتع بحيوية الشباب ولم تتوقع او أن يدور بخلدها للحظة أن يفكر فيها (عدنان) غير أن تكون خالته ومحرمة عليه : **(لم تجد انذاك حرجا منه أو ضيقا كان قريبا الى قلبها وكانت في غفلة عن نفسها، لم تتساءل كثير او لم تحاكم وضعها ، كانت تتصرف وكأنها بمنجى ، ولهذا لم تر معنى خاصا في تماس جسديهما المتكرر او في ودهما المتبادل الزائد او في اعجابه المفرط بها ، هنالك من موانع القربى والتقاليد والعمر والاحترام الكثير ، كانت بمنجى ، غير مكترثة بإمارات الشهوة والمختبئة تحت الأبدي والكلمات والنظرات)**[1].

لقد تمثلت رغبة (عدنان) في خالته في ان تبقى قريبة منه حتى بعد اغتصابه لها دون مبالاة منه لفعلته الشنيعة ، وقد تولدت هذه الرغبة من جراء علاقة ود متبادلة بينهما، فأخذت تنمو وتحتدم حتى انفجرت أخيرا ، فعدنان كان يهئ لذلك ويجهز له ، في حين كانت منيرة بمنجى بفعل(القرابة ، والعمر ، والتقاليد، والاحترام)[2] (عدنان) أشتط في علاقته بعيدا نحو اللامعقول واللا مقبول في حين منيرة كانت حتى اللحظة الأخيرة – عندما بدأت تفكر بجدية شهوته – غير مدركة لحقيقة رغبة عدنان فعلا ، فحدوث هذا التضاد بين عدنان ومنيرة نتج عن أهتزاز وأرتباك وقصور في الجانب الأخلاقي في شخصية عدنان الذي أنتهك حرمة خالته ، وجعلها تعيش الاغتراب والإحباط الذي عاشته ، هذا القصور الأخلاقي لعدنان جعل مستوى وعيه على الضد

([1]) الرجع البعيد ، فؤاد التكرلي ،ص199،ص200.

([2]) المصدر نفسه ،ص 200 .

من مستوى وعي منيرة ، منيرة فتاة متعلمة ومثقفة وهي خالة عدنان وهناك كثير من الاعتبارات التي تجعل من علاقتهما علاقة خالة وأبن أختها لاغير ، في حين وعي عدنان يختلف تماما هو وعي مريض يسمح بالشذوذ والـلا معقول والتصرفات غير المدركة لحقيقة وضع الشخص المقابل ليست خالته فحسب بل كل المحيطين به (يخشاه أبوه على نحو ما وأمه وأخوته)[1].

منيرة وعدنان لا يلتقيان بل يسيران على الضد ، عدنان بفعله الوحشي وتماديه ، ومنيرة بقدرها الذي فرض عليها أن تعيش هذه المأساة التي عصفت بحياتها الى درجة تفكيرها بأن وجودها على قيد الحياة هو نعمة زائدة [2] لا تستحقها بعد الإرادة الهمجية التي نفذت فيها حكما صاعقا مفاجئا[3]، وهي تجد صعوبة في التعامل مع واقعها ، وما آل اليه حالها في حين عدنان يمارس حياته دون نقص ويتعامل بسهولة مع محيطه ، بل أنه يحاول الاتصال بخالته من أجل الاستمرار بما بدأه :

- **"نعم منو هنا ؟**

ارادت هي أن تشاركها[4] النظر حينما طرق سمعها ذلك الصوت الخشن العالي .

- **آني – آني ما تعرفين ؟ منو يجي عليج غيري ؟**

تراجعت منيرة بسرعة وبصورة مباغته فأرتطمت بها ودفعتها نحو الحائط، أحست بها ترتجف رغم أن جسميها لم يتماسا وسمعتها تشهق شهقة صغيرة وتهمس :

- **عدنا ..؟**

لم تلتقط أذناها الأسم جيدا وبقيتا ساكتتين مستندتين الى الباب

([1]) الرجع البعيد ، فؤاد التكرلي ،ص 198.

([2]) المصدر نفسه ،ص 194.

([3]) ينظر ، أبطال الرجع البعيد بين الأحباط والاغتراب ، صبري مسلم ، دراسة ، مجلة الأقلام، العدد الثاني ، شباط 10982 ،ص 38.

([4]) الضمير (هي) عائد الى الطفلة سناء ابنة مديحة التي تسكن في نفس الدار، وارادت ان تشارك منيرة النظر من الباب لتعرف من الطارق .

عاود الكلام :

- **وين رحت منيرة ؟ لويش دتنهزمين مني ؟ ها؟ تردين تخبليني .**

ثم أرتفع صوته :

- **ها؟ لويش ؟ تخلصين مني تريدين ؟ يعني هاي هية ؟ تنقلين لبغداد وروم**

ياعدنان ذب نفسك بالشط، هذا عقلج"[1] .

عدنان يبدو مسيطرا على أوضاعه ويتصرف بثقة في حين بدت منيرة وكأنهاغير قابلة للخلاص [2] على الرغم من تصرفها الذي أتخذ طابع الثقة بالنفس والتفكير المنطقي مثل قرارها بالانتقال الى بغداد،وحتى قرارها بقبول زواجها بمدحت . عنصر الشد كان واضحا بين الأثنين على الرغم من أن منيرة بوغتت بفعل عدنان ضدها، إلا أنها واصلت الابتعاد عن عدنان ، حركة منيرة الضدية كانت اكثر ثباتا من حركة عدنان ولو أن تأثير فعل عدنان كان أقوى وربما كان هذا هوالذي قاد منيرة الى الثبات ولو ظاهريا .

لقد طرح لنا فؤاد رؤيته الخاصة بالاعتبارات الأخلاقية وأظهر تأثير القصور فيها من خلال علاقة عدنان ومنيرة .

ونجد عند الركابي المؤثر نفسه في تكوين الصراعات والعلاقات الضدية ففي رواية (من يفتح باب الطلسم ؟) هناك علاقة السركال (عداي) بزوجته(شفيقة) ، تتميز هذه العلاقة بسطحيتها[3] ومباشرتها – فالسركال شخصية سلبية يعامل فلاحيه بقسوة وجشع ، وتنسحب سلبيته الى داخل بيته حيث يصل به الأمر الى الشك بزوجته

([1]) الرجع البعيد ، فؤاد التكرلي ،ص 148 .

([2]) يذكرنا هذا (بأيما) مدام بوفاري فقد بدت وكأنها غير قابلة للخلاص من جهة ، ومن جهة اخرى كانت قادرة على تمشية أمورها العائلية وتحسين ثقافتها ، ينظر ، عصر الرواية ، مقال في النوع الأدبي ، الدكتور محسن جاسم الموسوي ، ص 104.

([3]) تتميز العلاقات الضدية في أغلب نتاجات الركابي بسطحيتها واعتمادها على الحركة الخارجية ، وتوظيفها دائما وإغفال الحركة الداخلية .

وبنسب أبنه الوحيد منها ، عداي يتصرف بضدية بشكل عنيف ، فهو يضرب زوجته ويعاملها بوحشية في حين تقابله هي بالسكون والصمت القاتل ، وأحيانا بالإجابة المحدودة ، يتمادى السركال في عنفه وتتمادى شفيقة في صلابتها ، وبالرغم من حركة عداي الضدية التي تبدو فعالة ومؤثرة الا أن شد زوجته أكثر تأثيرا وفعالية ، بحيث أدى به في النهاية الى قتل غريمه (عناد) ، ومن ثم قتل زوجته نفسها ، فقد أثار عداي تضاد زوجته الهادئ الذي أنعكس عليه وأوقعه.

العلاقة الضدية التي ربطت بين عداي وزوجته يحدها فعلان خارجيان ظاهريان ، فعل عداي بممارسته العنف وردة فعله تجاه ظنونه ، وفعل شفيقه التي أستمرت في صمتها وتحمل تصرفات زوجها ، الى أن يصل التضاد الى ذروته حين يبدأ (عداي) بالتخطيط لقتل (عناد) ، ومن ثم قتل (شفيقة) التي أصطدمت بمصيرها مباشرة دون مقدمات أو أحساس منها ، بنوايا زوجها.

(عداي) ، يعاني نقصا شديد في شخصيته فيحاول أن يعوض هذا النقص، بالعنف الذي مارسه ، فالسلبية التي مارسها (عداي) ، ناشئة عن سوء فهم لنفسه ولزوجته ، في حين مثل صمود شفيقة الثقة بالنفس ، وعدم الاستلام لشكوك زوجها الا أن أخلاقية (عداي) القاصرة أدت الى مقتلها في النهاية :

- **" تزينت كمن تتهيأ لليلة زفافها .**

ولم يغب مغزى كلامه عنها ، فشخصت ببصرها نحو كالته الملطخة وهي تجيبه بمكر :

- **أو كمن تتزين في يوم عيد .**

وشعر (عداي) بأن مناورته تلك أمام لا مبالاتها القاتلة ضرب من العبث ، فدخل في صلب القضية على الفور :

- **أسمعي كم مرة .. كم مرة قلت لك أن لا تسمحي له بدخول البيت بغيابي ؟**
- **ولماذا ؟ هل تخشى أن يفترسني** [1]"؟

([1]) من يفتح باب الطلسم ، الركابي ، ص 64، وينظر المصدر نفسه، ص 736.

إن فعل التضاد الصارخ بين شكوك عداي ولا مبالاة زوجته حقق علاقة ضدية خارجية عنيفة كان القطب المؤثر فيها هو عداي لأن تضاده مع زوجته أنتهى بقتله لها وهو قمة ما وصل اليه فعل التضاد الخارجي في هذه العلاقة الضدية حين أمتزج دافع(عداي) بتصرفه الخارجي .

والمؤثر الأخلاقي الذي يولد العلاقة الضدية الخارجية نجده ايضاعند الربيعي في اعماله الروائية [1] حيث نلمس في روايته (الوشم) القصور الأخلاقي للبطل (كريم) الذي يخرج من المعتقل ليواجه حياته الجديدة بعد الأعتقال ، كريم يعترف على زملائه ويعلن براءته من الحزب الذي ينتمي اليه فتتشكل العلاقة الضدية بين كريم وبين رفاقه الذين أعترف عليهم ، فالطرف الأول كريم كان واضحا في فعله الضدي أما رفاقه فقد ترك لنا الروائي مهمة تخمين تأثير فعل كريم الضدي تجاههم، من خيبة أمل او أعتقال وتنكيل ، لذا فأن الدور الأكبر في حركة التضاد كانت لكريم وهذه العلاقة الضدية القت ضوءا كاشفا على شخصيته وأخلاقياته ، إذ أن تعرضه للأعتقال أضعفه وجعله يتعارض ويتضاد مع محيطه ورفاقه :

- **"أذن أنت أنسان مدرك. المسألة بسيطة جدا ولا تستغرق أكثر من عشر دقائق وسيطلق سراحك بعدها .**

وأجبتهما :

- **ماالذي تريدان مني فعله ؟**

قال الصوت الأول :

- **خذ ورقة وقلم او اكتب اعترافك ثم أيد الأعترافات التي وردت عليك.**

وقال الثاني :

- **وكن صادقا فنحن نعرف كل شيء ولا فائدة من التمويه .**

وقلت في سري :

- **الغريق لا يخاف الطعنات !**

([1]) حيث نجد المؤثر نفسه في خلق العلاقة الضدية الخارجية في رواية القمر والاسوار ، ينظر: القمر والاسوار ، دار العودة بيروت ، 1976،ص 38، محاولة أعتداء جبار على زكية .

وتناولت الورقة والقلم وارتكنت في زاوية من الغرفة ، اسندت ظهري الى الحائط ومددت ساقي تماما كما كنت أفعل عند كتابة واجباتي المدرسية ايام الدراسة الأبتدائية ، وأخذت اخطط تارة وأكتب تارة اخرى وكسرت رقابا جديدة وأمعنت في كسر رقاب أخرى . ثم القيت بالورقة والقلم وزفرت بقوة .

- **هل انتهيت ؟**
- **نعم .**
- **هناك مسألة صغيرة ثانية .**

ورفعت رأسي مستفهما :

- **وما هي ؟**
- **أن تنشر براءة في أحدى الصحف.**

وقلت :

- **حاضر .**
- **والآن أعتبر نفسك مطلق السراح**[1]".

لقد تميزت شخصية كريم بالسطحية والتردد ، لذا فأن هذا القصور في المبادئ ينضوي تحت قائمة الاعتبارات الأخلاقية التي تحتم أن يصون مبادئه ويحمي رفاقه، ويبدو أن طابع الحركة الخارجية قد غلب على معظم نتاجات الربيعي والموضوع الذي يوظفه هو موضوع مكرر أضفى على العلاقات الضدية سمة النمطية والتقليدية، وهو موضوع علاقة البطل السياسي بالسلطة وهذا حتم غلبة الحركة الخارجية على معظم رواياته وهو يعطي حقيقة أن العمل الروائي يتعرض لخطورة عدم التوازن بين الحركتين الخارجية والداخلية مما يضعف من المستوى الفني لبنائه، اذ أن التوازن بين الحركتين يدفع بالأشياء والعناصر الى الحركة والوجود ، " فالفعل المتجدد سواء كان خارجيا ام

([1]) الوشم ، عبدالرحمن مجيد الربيعي ، دار الطليعة ، بيروت ، 1978،ط، ص 119 ، ص 120 .

داخليا يعطي تطورات مهمة وجديدة في العلاقات الانسانية "[1]، فضلا عن إن الحركة وفعاليتها التي يقدمها تسهم في تقدم الحبكة.

ونجد الحركة الخارجية المتولدة عن مؤثر أخلاقي نفسها عند لطفية الدليمي في روايتها (من يرث الفردوس) فالحركة الخارجية للأحداث والشخصيات جسدت الصراعات الخارجية الكثيفة ، ولأطراف متقابلة في أحداث الرواية كلها التي أعتمدت على تصوير ردود الأفعال الخارجية في محيط خارجي مجسدة موضوعا أخلاقيا يتعلق بشخصية البطلة (مزينة) ، التي تتعرض للأستغلال من قبل (سليم) وهو رجل منحط أخلاقيا ، له يد في كل عمل سلبي لا أخلاقي ،(مزينة) ، أمرأة مطلقة وتعيش مع والدها وشقيقها وهي ترتبط بعلاقة حب مع (سحبان) ، تتعرض لضغوط (سليم) وهو من وجهاء المدينة ، الذي يأخذ بملاحقتها الى الحد الذي تقرر فيه الهرب من المدينة مع حبيبها (سحبان) للتخلص من ضغوطه فيلجأ الحبيبان الى حصن معزول يعيش فيه مجموعة من الأفراد الهاربين أيضا من ضغوط مختلفة.

(مزينة)و(سليم) شخصيتان متناقضتان أشتركتا في علاقة ضدية نتيجة تناقش الرغبات ، فمزينة أمرأة مثالية مثقفة عاشت في كنف عائلة ملتزمة تتبنى مبادئ وأحوالا معينة في الحياة ، في حين كان (سليم) ، شخصية فاقدة للأخلاق ولها تأريخ أسود في السرقة وأنتهاك الأعراض والاستغلال والظلم ، منطق (مزينة) بعيد كل البعد عن منطق وأدراك(سليم) الذي كان يتعرض لها ، فتولدت مواجهة بين (مزينة) و(سليم) كانت الفعالية الأكثر فيها (لمزينة) التي صمدت أمام ضغوط سليم وقطعت الطريق عليه بهربها منه، في حين بقي (سليم) يدور في مكانه على الرغم من أن أمكانياته أكبر من أمكانيات (مزينة)التي سجلت حركة أكثر وفعالية أكبر لأن وعي مزينة كان وعيا سليما ومنطقيا في حين كان وعي سليم وعيا مزيفا ولا عقلانيا .

"وقلت لها : ماذا يجري يامزينة ؟ وماذا يريدون بك ؟

([1]) مدخل لدراسة الرواية ، تأليف جيريمي هوثورن ، ت . غازي درويش عطية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، 1996،ص 115.

قالت : واحد منهم بدأ يلاحقني ويبدي لي ودا زائفا ويدعي أنك من خلانه القدامى ، ثم لا يتورع عن تهديدي عندما لا يجد قبولا ورضى بما يعرضه علي ، ويشرع في تحطيم كل مشروع انجزه لارشيف مكتبات مدرارة . ويواصل تهديدي ان لم استسلم له .. وعندما اصطدم بصلابتي ، لوح لي بالموقع المرموق والمال ، وقال عليك " ان تختاري بين الذي أعرضه عليك وبين التخلي عن سحبان "[*] هكذا قالت لي بامنى وهي ترتعش " ثم علمت يا أبي انه لايريدني لذاتي ، بل انه كان يلاحق الفتيات والنساء ليقدمهن على موائد الآخرين ، كان مصمما على الانتصار وكنت مصممة على أن أهزمه يا أبي . أما الآن فقد ضاقت حول عنقي الحبال ، ولوحوا لي بتهم قالوا انه سيثبتونها علي .."[1].

ويبدو أن العلاقة الضدية الخارجية التي ربطت بين مزينة وسليم هي العلاقة الضدية الكبرى التي حكمت الرواية والتي سحبت وراءها سلسلة من العلاقات الضدية الخارجية ، ولعل هذا يقود الى أن الحركة الخارجية في الرواية إذا ما أصبحت سمة لها– الرواية – فأن هذا يعني أن الروائي قد أكتفى بالفكرة ليحدد أحداثه ووقائعه عن طريق تقابل الأطراف المتعارضة ليتحركوا في مجال خارجي ويمارسوا صراعاتهم الخارجية بشكل ظاهر وهو جزء من صنيع الروائي لعوالمه الذي يهدف من وراء ذلك الى تعزيز أرتباط أحداث روايته ووقائعها بالحياة .

ثانيا :– المؤثرات السياسية

عند دراسة الرواية العربية لابد من وضع حقيقة الأوضاع الأجتماعية المتفاوته من قطر الى أخر ، وما يرافقها من وعي وتحرك سياسي بالاعتبار ، لأن السياسة قد فرضت نفسها بشكل واسع على كتابة الرواية ، وبالإضافة الى بديهية علاقة الوضع السياسي والأجتماعي بالفرد ، تظهر بديهية أخرى هي أن شدة العلاقة بين الوضع

([*]) ورد المعنى بهذا السياق وقد اوردته كما هو دون تصحيح .

([1]) ينظر ، من يرث الفردوس ، لطفيه الدليمي ، الهيئة المصرية للكتاب ، 1987 ، نسخة مصورة ، ص 41.

السياسي والفرد تفرض نوعا من السلوك على الفرد[1]، هذا السلوك يتخذ أطاره المعين حسب الظرف الذي يعاصره الفرد ، وحسب ما يؤمن به ، فهناك المناهضة والثورة وهناك الاستسلام ، وهناك الظلم ، وهناك التمرد ، ومع أزدياد تعقيدات الحياة والظروف المختلفة تزداد ردود الأفعال شدة وتتخذ جوانب مختلفة وتتوسع ، فأصبحنا نلمس في الرواية العربية تكاثف سحب الأغتراب ، وحالات التأزم والأحباط ، والقمع الذي أنتشر كالأخطبوط ، وهزائم للحرية ، والسجن أصبح موقعا مألوفا تؤمه شخصيات الرواية [2]، وازداد الصراع وأزدادت صور نتائج الظروف السياسية المختلفة ، يقول إبراهيم فتحي في مقالة نشرتها مجلة الأقلام عن خصوصية الرواية : " وقد عملت الحداثة العربية على إبراز خصوصية الفن الروائي في علاقته بالسياسة والفكر الاجتماعي دون أن تقطع علاقة الرواية بالمصير الأنساني"[3]. فالرواية العربية تمثلت الواقع السياسي بكل أبعاده لما له من تأثير وفاعلية في تسيير جوانب من الحياة الى الحد الذي أخذت السياسة تحتل الموقع الأول في المؤثرات التي تغير من الحالات الانسانية والوقائع لما لها من أرتباط بتجربة الفرد وكيانه ، والامثلة أكثر من أن تحصى منها ثلاثية نجيب محفوظ التي عبرت عن الواقع السياسي – الى جانب الواقع الاجتماعي والفكري – ومعطياته وأبعاده فضلا عن تأثيره في الأفراد والصراعات الناشئة عنه ، نحو مقتل فهمي في المظاهرات ، أو اعتقال المناضلين او المسارات الاجتماعية التي تأثرت بالوضع السياسي.

والرواية العراقية نالها ما نال الرواية العربية من تضمين للأحداث السياسية ونتائجها (حتى تميزت الرواية العراقية على شقيقاتها في الأقطار العربية بأنها رواية

([1]) ينظر النهوض الثوري في الرواية العربية ،د. محسن الموسوي ، مقالة ، مجلة الأقلام ، العدد(12) 1973 ، ص13.

([2]) ينظر خصوصية الرواية ، ابراهيم فتحي ، ص 13.

([3]) المصدر نفسه.

ذات طابع سياسي كانت معاصرة لكل الأحداث السياسية أبتداءً من قصص محمود أحمد السيد وأنتهاءا بأعمال غائب طعمة فرمان)[1].

وحتى الروايات ذات الطابع الوجداني لم تخل من الأبعاد السياسية ، فبعد مرحلة التعبير عن القضايا الأجتماعية والوجدانية ونقد للمشكلات ، أصبحت الرواية العراقية تعبر تدريجيا عن قضايا سياسية محددة الى الحد الذي وصلت فيه الى أظهار الأعمال السرية والكتابات العقائدية ، وتناول أحداث سياسية مهمة وظروف مضطربة ، وأفردت زوايا لوجهات النظر المتضادة والمواقف المتباينة، والتعدد في الأحزاب ، والنضال ودور السجون والمعتقلات [2].

والمغذي لهذا كله هو تأثير الأستعمار والأستغلال الذي لم تتخلص منه بعض الدول الا مؤخرا ، والثورات والأنقلابات وتعدد الحكومات ، على سبيل المثال : ثورة 1958 ، وثورة 1968 في العراق ، وأنعكاسات الواقع السياسي سلبيا على الفرد ، والقضية الفلسطينية ، ونكسة حزيران ، والخيبات التي أصيب بها الفرد تجاه تغيير ما أو تطور معين[3].

وقد تميزت الرواية في العراق بالقاء الضوء على الواقع السياسي منذ بداية نشوئها الا أنها بعد ثورة تموز أنتقلت علاقة الرواية بالموضوع السياسي الى العلاقة التي يمكن التعامل معها بعيدا عن الأعتبارات السابقة ، وشكل تتجسد فيه مواقف وتصورات الأديب الايديولوجية والفكرية والفنية التقدمية ، فالمسألة السياسية تبقى لدى

([1]) ينظر ، الواقعية الاجتماعية النقدية في القصة العراقية ، مؤيد الطلال ،ص97 ، لا يقف التضمين للواقع السياسي في الرواية العراقية الى حد روايات غائب طعمة فرمان ، لأن اغلب الأعمال التي جاءت بعد رواياته كانت معمقة لهذا الطابع ، ومتناوله لمختلف الجوانب السياسية ، مثل أعمال الركابي ، واعمال الربيعي، واعمال ناصرة السعدون ،وأعمال عادل عبدالجبار ،وغيرهم.

([2]) المصدر نفسه ص99 .

([3]) ينظر، الرواية العراقية بعد ثورة 17تموز ووعي الحاضر ، رزاق أبراهيم حسن ، مقالة ، مجلة الأقلام ، العدد العاشر ، 1978، ص 54.

الروائي العراقي اساسا للتناول[1] ، فالمسألة السياسية جعلت الرواية في العراق تتعامل معها – السياسة – على أنها علاقة أخلاقية تطهرية وليست مجرد نضال ضد السلطة [2]، لذا جاء تمثل الروائي وتعبيره عن هذه المسألة عبارة عن كم هائل من العلاقات الضدية الناتجة عن المؤثر السياسي الذي أثبت فعاليته في تكوين الصراع والتضادات ، فالروائي تمثل هذا الواقع على وفق الأعتبارات والقيم الاجتماعية من جهة، والواقع السياسي الذي يعاصره من جهة أخرى والمؤثر او العامل السياسي لم يؤثر في العلاقات الضدية الخارجية فحسب بل كان أحد الاسس في تكوين الصراعات الداخلية[3]،الا أن تأثيره في توليد العلاقات الضدية الخارجية ، مباشر وواضح.

فعند غائب طعمة فرمان لا وجود للموضوع السياسي المستقل الا أنه يضمنه في أحداث رواياته ، فنجد في رواية (النخلة والجيران) الظروف المعيشية الصعبة الناتجة من الحرب العالمية الثانية والتي تمثلت بصعوبة حصول(سليمة الخبازة) على كمية الطحين اللازمة لعملها ، فالظرف السياسي خلق تضادا بين (سليمة) ومصلحة التموين ، مما شكل علاقة ضدية ، لأن سليمة وقعت تحت وطأة الظرف السياسي الذي حكمها وحكم عملها ومن ثم أثر في معيشتها فالعامل السياسي أوقع تأثيره في المجتمع الذي تمثل سليمة جزءا منه :-

-"هيجي.. يعني بالموت لما أحصل الطحين من التموين ، وبعدين أشوف أيدي والكاع ..[4].

([1]) ينظر في الرواية العراقية الحديثة ، باسم عبدالحميد حمودي ، مقالة ، مجلة الأقلام ، العدد (1) ، 1974 ،ص 20 .

([2]) ينظر الرواية العراقية بعد ثورة 17 تموز ووعي الحاضر ، رزاق ابراهيم حسن ، ص55.

([3]) تنظر ، روايات إسماعيل فهد إسماعيل ، كانت السماء زرقاء ، والمستنقعات الضوئية ، والضفاف الأخرى ، والحبل ، وتنظر روايات موفق خضر : الاغتيال والغضب ، موفق خضر ، الاعمال الكاملة ، الروايات ، وزارة الثقافة والاعلام 1981 ، وتنظر المسافة ليوسف الصائغ ، منشورات أتحاد الكتاب العرب ، دمشق ،1974.

([4]) النخلة والجيران ، غائب طعمة فرمان ص5.

- **اليوم مخلصة من وكت ؟**

- **يومية رام أخلص هيجي وكت .. التموين قلل الطحين"**[1].

فالظرف السياسي (منها حالة الحرب) تفتح المجال للروائي لوضع العقبات أمام شخصياته بحالات مختلفة وبمعطايت متنوعة خاصة فيما يتعلق بالظروف المعيشية التي ترافق الفرد ، لذا فأن المؤثر السياسي فعال في أحداث التغييرات والتحولات لأنه يتخلل معظم جزيئات الحياة ، فالعقبات التي يصنعها العامل السياسي أمام الأفراد تشكل علاقات ضدية تربطهم بواقعهم ، فسليمة ظلت تخرج فجرا للحصول على أكبر كمية من الطحين لتسيّر عملها ، ويبدو أن هذا هو رد الفعل الوحيد الذي مارسته سليمة ضد المؤثر الخارجي في ضمن أمكانياتها الضئيلة .

فاذا كان غائب قد ضمن الموضوع السياسي الى جانب موضوعات أخرى في روايته فأن إسماعيل فهد إسماعيل يتخذ من (السياسة) موضوعا رئيسا لتحريك الصراعات في رواياته ومنها رواية (الحبل) التي يتخذ المؤثر السياسي المكانة الأولى في أنتقال وتحريك الصراعات وتوليد العلاقات الضدية الخارجية ، فبداية الصراع تمثلت باعتقال (البطل) إثر تهمة سياسية ثم يخرج البطل من المعتقل لتبدأ سلسلة التضادات التي تولدت نتيجة المؤثر السياسي .

أن الحدث الأول وهو الأعتقال أثر بفعالية كبيرة كي يولد أحداثا ضدية أخرى ومنها الحدث المهم الثاني ، ممارسة البطل للسرقة ويبدو أن معالجة البطل

([1]) المصدر نفسه ، ص 144.

المتطرفة هذه كانت عبارة عن رد فعل مضاد ومواجهة السرقة الأخرى[1].

فالمعالجة التي قصدها البطل هي معالجة خاطئة تعبر عن خطأ سلوكي أنتقامي وتأثري وفردي وعلى الرغم من هذا الا ان العلاقة الضدية الخارجية موظفة في مكانها الصحيح لأن أختيار صفة الوعي عند البطل قد ميزت العلاقة الضدية ، خاصة بعد أن جنح البطل نحو الحل الايجابي في نهاية الأحداث ويبدو أن الروائي قد أخضع الشخصية الى معاينة هذا الوضع ومعايشة (الأعتقال) كي يحصل على النتيجة التي تسبب بها الفعل الأول ، فقد تعرض البطل للأعتقال ووجد نفسه أمام تغيير هائل في حياته أربكه هذا التغيير تمثل في تحوله من موظف محترم الى سجين سياسي خرج ليجد نفسه دون عمل ولا مستقبل وبعد رحلة فاشلة للعمل في الكويت يعود ليمارس السرقة للأنتقام وهنا تتشكل علاقة التضاد بين البطل ومجتمعه فهو يسرق للرد على خسارته لعمله وحياته الأجتماعية :

"عندما أشتريت اختها أول مرة .. كان ذلك وليد فكرة ظننتها ذات جدوى . قلت ... ستشفع لي رائحة الخمر التي في فمي لو ألقي علي القبض اثناء تلبسي بالسرقة سيقولون ... مخمور لا يمتلك قواه العقلية ... خاصة وانه من غير المعقول ان يقدم انسان له ماض سياسي معين على ارتكاب سرقة عادية ... كأي لص عادي محترف. هذا أمر بعيد عن التصديق العادي"[2].

أن المؤثر السياسي قد فعل فعله في أنشاء هذه العلاقة الضدية الغنية بحركتها ومعانيها ، فالمؤثر السياسي قاد الى أهتزاز العلاقة بين البطل ومحيطه الخارجي مما جعله يتجه الى رد فعل عشوائي حين أصبح البطل سجين وعيه الخاص بمشكلته وحلها الذي أتخذ صيغة العمل اللصوصي الذي مارسه ضد بيوت رجال الأمن والشرطة تحديدا .

([1]) ينظر الحبل بين تطرف البطل وتعرية الواقع ، محمد الجزائري ، مقال مجلة الأقلام، العدد الرابع ، 1972 ، ص53 .

([2]) الحبل ، إسماعيل فهد إسماعيل ص10.

اما عبدالرحمن مجيد الربيعي فأن رواياته معروفة بطابعها السياسي ، والمؤثر السياسي الفعال في خلق التضادات الخارجية ، خاصة أن اغلب اعمال الربيعي الروائية تتخذ من المحيط الخارجي مسرحا لها ، لذافهي زاخرة بالعلاقات الضدية الخارجية ففي رواية الوكر مثلا يطالعنا البطل (عماد) الذي تتأثر حياته العملية والعاطفية بفعل العامل السياسي الذي حكم ظروف حياته فيجد صعوبة في الأرتباط بحبيته (سلمى) زميلته في الجامعة حين يرفض أهلها تزويجها له بسبب عمله النضالي ومطاردة السلطات له ولزملائه . فالمؤثر السياسي قد أنسحب تأثيره الى الجانب العاطفي والانساني حين شكل عقبة في طريق ارتباط عماد وسلمى .

فعماد يعيش في بيئة مثقلة بالقلق والأرتباك والمطاردة هو ورفاقه انهم معرضون دائما الى خطر الأعتقال في أية لحظة ، نتيجة عملهم النضالي السري لذافهو يمتلك وعيا وأدراكا بالنسبة لوضعه ، يتصرف على اساسه حين يجابه السلطة ويقف بوجهها بعدم الاستسلام والسعي لتغيير واقعه في حين واصلت السلطات مطاردة عماد وزملائه وهي حركة تضاد ظاهرة متكافئة مع مستوى الحدث :

"يحط على المدينة جور كبير ،كثير من الشبان الذين نراهم اليوم لن نجدهم في الغد ، وعندما نسأل عنهم يقولون أعتقلوا ، لقد باتت كلمة الاعتقال سهلة وشائعة ، لكن رغم كل شيء مازلت أقرأ الاصرار في العيون وكلمات الوعيد تنطلق من القلوب"[1].

فالسلطة قد أحكمت قوانينها على واقع (عماد) وفرضتها على المجتمع الذي يعيش فيه بالمقابل نجد ارادة عماد الذي فهم ووعى واقعه لذا مضى كي يحقق أهدافه ويواصل نضاله .

ويبدو أن التضادات الخارجية هي سمة العالم الخارجي المحكوم بالتأثيرات السياسية ، وهي من البديهيات المألوفة في هذه البيئات وتتخذ فيها العلاقات الضدية موضوعات متنوعة تتعلق بجوانب حياتية مختلفة فاذا كان المؤثر السياسي فعالا الى

([1]) الوكر ، الربيعي ، ص 172.

الحد الذي منع (عماد) من ممارسة حياته بشكل طبيعي فانه ايضا حرم (زكريا) من التعيين والعمل في رواية(فجر نهاروحشي) لأبتسام عبدالله ، زكريا يقع تحت تأثير السياسة إذ إن شقيقه يحيى يعدم في أحداث الموصل وثورة الشواف التي فشلت ، فينسحب ذلك على زكريا الذي يرفض تعيينه لماضي شقيقه الذي يسبقه في أية دائرة يقدم للعمل فيها، فالوضع السياسي الذي أفرز الثورة التي فشلت وأفرز معها مقتل يحيى شقيق زكريا كان قد حكم زكريا وقيده وأثر في مستقبله مما دعاه للسفر الى الخارج . فالواقع السياسي عبر عن أكثر من مجرد مقتل يحيى بسبب العامل السياسي وتأثر عائلته بهذا الماضي ، إذ ان القضية تتعلق بالحرية والمستقبل والوجود، وهذا ما عاناه يحيى الذي دفع حياته ثمنا لمطالبه تلك الا أن هذا قد أنسحب تأثيره على عائلته ومنهم زكريا الذي وجد نفسه محاصرا بماضي أخيه فيرفض تعيينه :

"كانت الأيام من بعد رحيل يحيى ، قد أمست ثقيلة شديدة الوطأة ضعت فيها مرارا حتى اكتشفت خيطا يقودني الى نفسي ، أعوام مضت فقدت الحياة فيها براءتها، أنهيت دراستي ، وكان يوما سعيدا ، يوم ان تخرجت من كلية الأقتصاد، زغردت فيه عينا أمي بعد أنطفاء ، أحاطني أبراهيم محمد بذراعين هزيلتين فقدتا القدرة على العمل قائلا :

- **أصبحت رجلا يازكريا ، أصبحت رجلا ، كنا في أنتظار هذا اليوم سنفرح بك وتزرع لينا الدار صبية وبنات وأنسا وفرح . لكنه لم يفرح كثيرا . الطريق الذي سلكته والذي سار فيه يحيى من قبل كان وعرا . أنسحب ظله علي ولم أرتفع عنه ، فقدت الوظيفة التي حصلت عليها ، أني كنت شقيقه . عدت الى البيت قوة عاطلة يحيطني والدي أبراهيم محمد، بذراعين فقدتا قوتهما على العمل"** [1].

ويبدو أن المؤثر السياسي قد نجح في خلق التضادات والعلاقات الضدية الخارجية لما له من تأثير في الجوانب الأقتصادية والاجتماعية والعاطفية والفكرية والدينية لان البيئة الخارجية محيط ثر لخلق التضادات فضلا عن أن العوامل التي تكتنفها هذه البيئة ذات

([1]) فجر نهار وحشي ، ابتسام عبدالله ،شركة مطبعة الاديب ، ط1 ، 1985 ، ص150.

فاعلية في خلق هذه التضادات فبعد أن هدد العامل السياسي (سليمة) الخبازة في عملها في رواية (النخلة والجيران) لغائب طعمة فرمان ووقف عقبة في طريق أرتباط (عماد وسلمى) في رواية الوكر للربيعي ، وكان فعالا في التأثير في مستقبل (يحيى) ، في رواية (فجر نهار وحشي) لأبتسام عبدالله ،نجد دوره أكثر فاعلية في رواية الرجع البعيد للتكرلي حين أنهى حياة زوجية لم تكد تبدأ .

فبعد المعاناة المريرة التي عاشها مدحت إثر أكتشاف فقدان زوجته لعذريتها يقرر العودة اليها بعد ان انتصر على كل الافكار البالية التي حكمته وحكمت مجتمعه وفي طريق العودة اليها وهو يمني نفسه بحياة جديدة فأذا برصاص الاوضاع السياسية المضطربة والفئات المتقابلة يرديه ليخسر مدحت حياته .

مدحت بعيد كل البعد عن السياسة ومشكلته عاطفية وأجتماعية ، وبعد أن يصل الى قرار لحل مشكلته يتهدم كل شيء بمقتله ، فليس هناك مطاردة من السلطات او اعتقال ، الا أن الواقع السياسي قد هدم حياة مدحت وحياة منيرة التي كان من المفروض أن تعيشها ،مدحت وعن ما حصل له قبل موته للحظات وأدراك أنها نهايته فصرخ مع نفسه (أن عليهم أن يتركوه وأن لا شأن لهم بموته)[1] ولم يملك مدحت سوى وعيه في لحظاته الأخيرة (أن عليهم أن لا يقتلوه)[2] وأن من حقه العيش مع زوجته منيرة :

"كان يركض وهو يتطلع الى الأفق والى أنفتاح السماء فوقه حينما شعر بلسع النار في فخذه الأيمن . ولم يسمع صوت الأطلاقات النارية ، أنكب على ركبته بعنف وكان مندهشا مبهوتا . لم تمر تلك الثواني الخمس من عمره بسلام أذن . أمسك بموضع الألم المهول في فخذه فتبللت أصابع يده بسائل دافئ ، وتلفت حائرا . لم ير أحدا . أراد أن يهتف مستنجدا ، أن يقول لهم أن عليهم أن يتركوه يحيا وأن لا شأن لهم بموته . رأى لمحة نور خافت في زاوية مظلمة من أقصى الجهة الآخرى فهم معناها . لبث منتظرا فترة زمنية لم تتجاوز

([1]) الرجع البعيد ، فؤاد التكرلي ، ص 374.

([2]) المصدر نفسه.

عشر معشار الثانية ودامت له دوام العالم والأنسان ، ثم عرف قبل أن يفترسه الألم الرهيب في صدره وكتفه ، أنه لم ينجم ، وتلوى جسده الملوث بالطين والدماء يرتجف بشكل مروع على أسفلت الشارع الخالي"[1].

فالعلاقة الضدية كانت مؤثرة ومدحت لم يعط المجال ليمارس دوره فيها لأن فعالية العلاقة الضدية قد ترجحت لصالح الحادث الفوري الذي أصابه .

ويبدو أن بيئة الحرب تقع ضمن المؤثرات الخارجية التي تولد العلاقات الضدية ، على الرغم من عناصرها التقليدية التي تتمثل في القتال والهجوم والتصدي للعدو الا أن حدوث الحرب بحد ذاته يعد علاقة ضدية خارجية تحدث في الحياة ويفرض وجودها في أغلب الأحوال ، وهي تنضوي تحت إطار المؤثرات السياسية التي تولد العلاقات الضدية الخارجية المباشرة وتسير بأتجاه يوازي الحياة المدنية الا أنها تمتلك حيزها الخاص وبيئتها المحددة ، ولقد عاش الروائي العراقي هذه البيئة وتمثلها في نتاجاته ووصفها ، الا أنها غالبا كانت أحداثها تدور ضمن وقائع معينة ومكررة مما حدا بالصراع أن يتجسد بشكل ظاهري ومباشر وهذا غلب العلاقات الضدية الخارجية ووجودها في روايات الحرب. ففي رواية (مكابدات عبدالله العاشق) لعبدالخالق الركابي يكثر هذا النوع من العلاقات الضدية المباشرة فحادث مقتل عبدالله إثر القصف على قريتهم هو علاقة ضدية بديهية نتيجة الحرب التي بدأت بقصف المدن الحدودية ، (عبدالله) فلاح له ماض في محاربة الانكليز وهو معروف بالشجاعة يقضي حياته في رعاية الأرض وزراعتهاوبحكم معيشته في قرية حدودية تتعرض للقصف المعادي يقتل (عبدالله) في اثناء عمله في زراعة أرضه وهو شيخ كبير :

- **"لقد بدأوا مبكرين هذا اليوم ! ...**
- **فكر (حمد) وهو يقف وسمعه مشدود لصفير قذيفة ثانية شعر بالأرض تهتز على دوي أنفجارها القريب .**
- **– أبي !..**

([1]) الرجع البعيد ، فؤاد التكرلي ، ص 374.

صرخ دون وعي وقد أنكفأ على وجهه ، فقفز من فوره . وتطلع حوله بعينين مجنونتين .

- أبتاه !...

صام مرة أخرى وبصق دما وهو يهرول نحو سحابة غبار شرعت تتبدد ببطء في الهواء السكان . ومن حوله تقاطر الفلاحون غير آبهين لصفير قذيفة ثالثة أنفجرت بين التلال .

وهناك في قاع تلك الحفرة المملؤة بالوحل والدم والدخان كان جسد (عبدالله) الممزق قد سكن تماما"[1].

إن العلاقة الضدية التي ربطت بين عبدالله والمؤثر الضدي الخارجي وهو القصف كان علاقة الكفة الراجحة فيها للطرف الثاني وهو القصف الذي كان أكبر من أمكانات (عبدالله) لأن الفرصة لم تتح له للرد وممارسة فعل التضاد لأن الفعل التدميري للسلاح أكبر من قدرة الأنسان بالطبع لذا كان تأثير العلاقة الضدية الخارجية تأثيرا فعالا تمثل بمقتل عبدالله، ولعل رواية (مكابدات عبدالله العاشق) قد مثلت الحياة المدنية وتأثير الحرب فيها، الرواية التي تحكم أحداثها ساحة المعركة والقتال ايضا المؤثرات التي تولد علاقاتها الضدية لن تخرج عن المؤثرات المباشرة والخارجية ففي رواية(حجابات الجحيم) لجاسم الرصيف ، نجد المؤثرات الخارجية هي التي تحكم العلاقات الضدية فيها وتولدها فالقتال وتداعياته من هجوم واشتباك وموت وجرح هي من المؤثرات الغالبة على أحداث الرواية عدا بعض التداعيات للوراء التي ترد في مخيلة بعض الشخصيات المقاتلة وهي تصور جزءا من حياة مدنية ، اما البناء العام لأحداث الرواية فانه يرتبط بالقتال والحرب عموما ، فـ(سامي) هو مقاتل شاب يستدعى للخدمة العسكرية فيدخل معترك الحرب ومآسيها حين يقتل امامه رفاقه الواحد تلو الأخر في الهجومات او القصف ، واخرهم رفيقه (عريف الهاونات) الذي كان يتكلم معه وفجأة

([1]) مكابدات عبدالله العاشق ، عبدالخالق الركابي ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الرشيد للنشر ، 1982 ، ص 115.

يصاب ويموت امام عينيه. ففعل القصف كان أكبر من قدرة المقاتلين بالطبع لذا فقد كان تأثيره مدمرا الى الحد الذي فقد معه (سامي) ، رفيقه :

" وانفجرت قنبلة لمم (سامي) على أثرها جسد(عريف الهاونات) ينقذف بعيدا عن الموقع ، وعندما زالت غمامة الغبار والدخان لم يصدق (سامي) ما كان يراه . كان (العريف) منكبا على وجهه ممزق الظهر ودمه ينزف بغزارة . (أنا أب لخمسة أطفال) . لم يدر لماذا تذكر سامي تلك الجملة التي قالها له (العريف) في يوم ما حالما انجلت تلك الغمامة القاتمة عن جسده المنبطح على طرف الموضع البعيد .

خيل له أن رفيقه تحرك كمن يريد النهوض للحظة ، ولكن جسده سكن.

- لا !.

صرخ (سامي) قبل أن يندفع نحوه ثم يحتضنه . رأى تلك النظرة الجامدة في عينيه . ولم يشأ أن يصدق أن رفيقه مات حقا" .[1]

أن حالة الحرب أقتضت حدوث الهجوم بين الطرفين ومن تبعاته القصف المدفعي الذي أودى بحياة (عريف الهاونات) ، فالعلاقة الضدية أنسحب تأثيرها على (العريف نفسه) وتعدّت (سامي) ، الذي فجع بموت رفيقه فتأثير العلاقة الضدية الخارجية كان ذا بعدين ، بعد استهدف(العريف) ، وادى الى مقتله وبعد استهدف علاقة سامي برفيقه .

أن الواقع السياسي وما يحدث فيه من تأثيرات وتقلبات هو بيئة خصبة لتوليد العلاقات الضدية الخارجية لانه يحكم المجتمع ويسيره الى حدما، لذا فقد أتجه الروائي العراقي الى جعل الواقع السياسي من أولى أهتمامته في أعماله الروائية ، إذ يندر أن نلاقي عملا روائيا عراقيا دون الأشارة الى الوضع السياسي سواء كان طابعا عاما للعمل الروائي أم تضمينا ضمن الأحداث ، ويبدو أن الواقع السياسي العراقي قد تعرض لتغييرات ومؤثرات أسهمت في تغييره مرات عديدة وبالتالي كان الفرد العراقي واقعا تحت تأثير هذه التغيرات .

([1]) حجابات الجحيم ، جاسم الرصيف ،دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ، 1990.

ثالثا :- المؤثرات الفكرية

أن من وظائف الرواية طرحها للتجارب الحياتية ، وهذا الطرح يتم بهيئات متنوعة ومتعددة ، ومع أتجاهات المجتمعات الجديدة التي أخذت تسير نحو التطلع والتقدم، رافق ذلك ظهور رؤى فكرية عبرت عن تقبلها أو رفضها للتحولات والاتجاهات الجديدة ولاسيما ما رافق ذلك من تعدد للأحزاب وتزايد للحروب وتنامي للصراعات والتضادات مثلت طموحات الانسان الذي أخذ يسعى الى تحقيقها بشتى السبل مما دعاالى ظهور المجتمعات المتباينة وبروز التمايزات الواسعة بين الطبقات وتردي المستوى المعاشي لطبقات أمام أرتفاعه عند طبقات اخرى ليتأرجح الصراع الطبقي الذي أصبح مألوفا كمأساة أجتماعية تعاني منها أغلب المجتمعات ، هذا المؤثر آزرته ، عناصر أخرى أسهمت في ظهور الأفكار والرؤى والأهداف التي تعلقت بالفكر والفلسفة تماشيا مع ما طرأ على المجتمعات من تغييرات وتطورات من جهة ، وأهداف ومطالب وطموحات من جهة أخرى ، فأصبح العمل الروائي بوصفه نتاجا أنسانيا أزاء مهمة تمثل ذلك فأخذ الروائي يتجه الى اظهار الاراء والافكار والمناحي الفلسفية على لسان شخصياته ، عندها أخذت الصراعات تشكل هيئة أخرى تمثلت بالصراع الفكري بين الشخصيات وهو منحى آخر مثلته العلاقات الضدية الخارجية ، ليقف هذا المؤثر الى جانب المؤثرات الأخرى في توليد العلاقات الضدية الخارجية ، فالنتاج الروائي العالمي أظهر ذلك بشكل واضح وجلي خاصة بعد تعدد الأحزاب وتنافس الرأسمالية والشيوعية وتأثيرها في المصير الانساني وأنتشار الأفكار الأصلاحية وأتجاه الثقافة الى معطيات جديدة وتطور الأداب والفنون والنشاطات الانسانية .

ولعل الجانب الفكري الذي نجده في العمل الروائي يمثل في اغلب الأحيان فلسفة الروائي نفسه يسبغها على شخصياته على نحو ما طالعتنا به الأعمال الروائية العالمية [1] من زوايا تناول فكرية لا تخلو من تضاد وصراعات في هذا الجانب الذي ازدادت أهميته بازدياد انتشاره .

([1]) ينظرعلى سبيل المثال أعمال كافكا،و سارتر،و ومكسيم غوركي ،ووتولستوي التي عبرت بصورة جلية عن الواقع الفكري المتضاد .

اما الرواية العربية فقد سارت في الاتجاه نفسه ، حيث انتشر فيها الطابع الفكري وأخذنا نلمس الحوارات الفلسفية والانطباعات التي مثلت مختلف الأراء تماشيا مع المحيط والتغييرات التي تحدث فيه وربما قدمت أعمال نجيب محفوظ ذلك وأوضحته بوساطة شخصياته التي أبرزت العلاقة بين الفرد والمجتمع من خلال معطيات الواقع الجديد كون الفرد يمثل أنعكاس هذا الواقع ، فضلا عن أن محفوظ طبق فكرة أن البطل او الشخصية قد أرتبطت بظهور الطبقات البرجوازية على المسرح السياسي والأجتماعي ، وهذا جزء من أرتباط الفكر بالعمل الروائي وأشارة الى أن للمجتمع الدور الاول في التأثير في الفرد وفي تحديد أيديولوجية ،وقد قدمت لنا أعمال نجيب محفوظ أنعكاس الواقع وآيديولوجيته في الفرد ورؤيته لذا فقد شكلت الصراعات الفكرية صورا مألوفة عنده خاصة في الثلاثية التي لمسنا فيها التضاد الفكري نتيجة التفاوت الطبقي والثقافي . فكمال أحمد عبدالجواد كان يعاني من هذه المآساة عندما أرتبط بعلاقة صداقة مع مجموعة من الافراد ممن هم أعلى من مستواه الفكري مما أغنى أحداث الثلاثية بمساحات واسعة لعرض الصراعات الفكرية بينهما خاصة بعد أن أخذ كمال يميل الى حب شابة من المستوى نفسه ليفشل حبه نتيجة المؤثر نفسه يقول أحمد ابراهيم الهواري (وثمة أحتكاكان عصفا بعقل كمال ووجدانه وعمقا من المنحى الفكري والوجداني للبطل : الأحتكاك الطبقي حيث عصف بحب كمال وسحق قلبه وخلف وراءه سخطا على الطبقات الأجتماعية التي راح ضحيتها وأن لم ينكر وجودها او يدع الى الغائها بدليل الاستعلاء الطبقي الذي كان يحس به هو نفسه تجاه صديقه " فؤاد ".

والأحتكاك الفكري الذي عصف بايمان كمال الديني وبدله من بعد ايمانه شكا. أصبح شكاكا في كل شيء غريبا عن ذاته وعن المجتمع . غريبا في منفاه الفكري"[1] .

([1]) البطل المعاصر في الرواية المصرية ، أحمد ابراهيم الهواري منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، دار الحرية للطباعة 1976،ط1،ص 284 .

وهذا بحد ذاته يدل على بديهة حدوث الصراع الفكري الذي تجسده العلاقات الضدية ، فشخصية كمال كانت تعاني من الفروق الطبقية والثقافية وجسدت ذلك من خلال تضادها الفكري مع غيرها [1].

أما الروائي العراقي فقد تمثل الواقع الفكري كتعبير عن الأندماج بالحياة وأتخاذ المواقف تجاهها ، فالرؤية الفكرية للفرد تصبح تابعة لسلوكه وهي المسؤولة عن أتخاذ المواقف لذا فقد وجدنا الشخصيات في الرواية العراقية قد القت بفلسفتها التي تحكم تصرفاتها وردود أفعالها متمثلة للواقع الذي عاصرته مما دعا الصراع الفكري الى أن يسير في خندقين متوازيين خندق الوعي والثقافة ، وخندق صراع الطبقات والتأثيرات السياسية ، لاسيما ان ارتباط السياسة بالفكر معروف عن طريق ترويجها لفكر معين أو أفرازها تعددا للأحزاب ، أو دعوتها الى الاصلاح الاجتماعي ، ويبدو أن الواقع العراقي قد أبرز ذلك بجلاء خاصة ما أعترى هذه البيئة من تغييرات وتقلبات أثرت في الفرد العراقي الذي كان بتماس مع هذه التأثيرات فظهرت أفكار جديدة ورؤى متنوعة وظهرت أحزاب متعددة وأخذت العقول تتفتح على فلسفات تتفق مع هذه التقلبات ، يقول الدكتور عمر الطالب: (وفي خلال الخمسينات أشتد الصراع السياسي الايديولوجي حتى طغى على أغلب مستويات الحياة ، وصبغ مظاهرها وغمر عقول الناس في الشوارع والبيوت وكثرت الاحزاب السياسية السرية والعلنية والصراع المبدئي والفكري بينهما) [2].

وهذا يشير الى غنى البيئة العراقية بالصراعات الفكرية التي تولدت نتيجة ذلك ، ويبدو الروائي العراقي أمينا في نقل هذه الفلسفات الفكرية وأسباغها على شخوصه.

ففي رواية موفق خضر (الاغتيال والغضب) نجد البطل (سمير رؤوف) بعد ان كان يتبنى فكرا معينا في نضاله مع زميله (عبدالرحمن) يتجه الى الانقلاب الفكري ويحاول الوصول الى عالم الارستقراطية التي مثلتها هناء وعالمها ، تاركا

([1]) ينظر ، قصر الشوق ، نجيب محفوظ ، دار مصر للطباعة ، ص 183،182 المحاورة بين كمال وحسين شداد .

([2]) الاتجاه الواقعي في الرواية العراقية ، الدكتور عمر الطالب ، دار العودة بيروت ، ط1، 1977،ص 142.

صديقه (عبدالرحمن) ، فقد كانا رفيقي درب نضال واحد يؤمنان بالمبادئ نفسها ويناضلان من أجلها ، يحدث الأنفصال بين الصديقين بسب سطحية سمير ، من جهة، وثبات عبدالرحمن من جهة أخرى ، الأنفصال الفكري بين الصديقين أول مظاهره هو أرتباط سمير بعلاقة مع أرملة ثرية واندفاعه وراء عالمها، بدءا باستدانته النقود منها ،ومن ثم استخدام سيارتها ليضيف الى مظهره ماهو مطلوب لوضعه الجديد ، وبعدها تماديه في علاقته بها ومحاولته الولوج الى عالمها الثري ، بعد أن تهدمت في نفسه قناعاته الأولى في النضال ضد الاستغلال والقهر ، الذي تتعرض له الطبقات الفقيرة، اما عبدالرحمن فقد بقي ثابتا مدافعا عن أفكاره في النضال والتحرر فلم يتزعزع حتى عند تعرضه للاعتقال والمطاردة في أكثر من مرة :

- "**سمير .. أنا لم أقصد إيذاءك ، ولست أريد العودة الى الحديث الاول ، ولكني أذكرك بالمبادئ التي آمنت بها وأعتنقتها وناضلت من أجلها ، سنينا طوالا . هل تذكر ؟**
- **أنت تحاول أن تصورني مثل خروف شذ عن القطيع .. هه ؟**
- **ولا أريد ان تظن بي ذلك .. لست مسؤولا عن تصرفاتك لكني أجدك على خطأ**

...

- **في أي شيء بحق الله ؟**
- **في جملة السلوك الذي تسلكه الأن .. أنت وبعض من تتوهم أنهم القدوة والمثال..**
- **أنا أفكر بمستقبلي وأعمل له .**
- **مستقبلك رهين بالنضال ، ضد هذا السلوك بالذات .**
- **هو سلوك كل أولئك الذين أعرفهم وتعرفهم أنت .. الم يبدأوا من الصفر ووصلوا الى ما هم عليه الآن ؟**
- **بدأوا من الصفر وباعوا مثلهم وكرامتهم وكرامة شعبهم .. هه ؟**
- **مالنا وذلك ياعبدالرحمن .. دعنا من الكرامة أرجوك ..**
- **هكذا اذن ياسمير ؟**

- **أني تركت السياسة والنضال لك ولجماعتك .**
- **وهل تراني أتعسف معك ؟ ولكني أقول أن المبادئ التي تربينا عليها تبقى رغم الأخطاء وتصطرع في ذواتنا وضمائرنا مهما كانت النتائج ومهما تكن المعاناة قاسية ومؤلمة ..**
- **سئمت .. سئمت ليكن لي عالمي واتجاهي ولك عالمك واتجاهك "**[1]

مستويات الوعي الفكري عند (سمير) و(عبدالرحمن) :

اختلفت وتضادت وأتخذت اتجاهين مختلفين ، سمير دخل عالم الزيف والمظاهر (عالم هناء) ، وعبدالرحمن تشبث بعالم (بدرية) المرأة المسحوقة التي كانت تؤجر لهما غرفة في بيتها أيام نضالهما ، بدليل ، أن عبدالرحمن بقي يواصلها ويرسل لها مساعدات مالية كي تعيل أبنها المقعد ، فالتضاد الفكري بين الشخصيتين جعل سمير يعيش أحلى أيامه مع هناء وعالمها الارستقراطي ، في حين كان عبدالرحمن في المعتقل ، فالتضاد والاختلاف في الفكر والعقيدة فصلت ما بين أساسيات ومبادئ الشخصيتين ، ورما كان السبب في (التأزم النفسي) الذي عاشه البطل (سمير) فيما بعد .

حركة عبدالرحمن ثابتة وواضحة لم تخرج عن المسار الصحيح في حين حركة (سمير) ، كانت متذبذبة وأنفعالية وعشوائية فهو ينتقل من حال الى حال ، حتى وصل به الامر الى السجن في الوقت الذي كان عبدالرحمن يعيش فرحة انتصار مبادئه .

والتضاد الفكري غالبا ما يأخذ شكل تضاد في الانتماء الحزبي وهذا ما لمسناه بعد ظهور تعدد الأحزاب خاصة في حقبة الخمسينات والستينات التي أفرزت الأنتماءات العقيدية المختلفة وتعدد الأحزاب علاقات ضدية خارجية من مثل ما وجدناه عند غائب طعمة فرمان في روايته المخاض ، فالعلاقة الضدية الخارجية التي عاشها مهدي ، كانت نتيجة تضاد فكري وعقيدي مع أخيه الذي يسعى لقتله ، مهدي ينتمي

([1]) الاغتيال والغضب ، موفق خضر ،ص201،ص 202 ، ص 203 وينظر،ص211، 215.

للحزب الشيوعي يطارده شقيقه لقتله ، لأن شقيقه (من الغلاة وذوي النعرات)[1]، مهدي يتبنى الأفكار التحررية في حين شقيقه من المحافظين والمتزمتين تبلغ بهما حدة التضاد الى حد سعي (الأخ) الى قتل (أخيه) ، مستوى الوعي مختلف تماما للشخصيتين فجاء تصرف كل منهما حسب هذه الحقيقة ، شقيق مهدي يعمل في التجارة ، ذو عقلية محافظة ومتعصبة لم يستوعب أن يكون هناك فرد في عائلته يسير في اتجاه مغاير ، لأن التضاد شاسع في أفكار كل منهما ،مهدي وثقافته وأنفتاحه ، وسعيه للتطور وهو مع التغيير بدليل مساندته للثورة ، وشقيقه وعقليته المتزمته ونظرته الضيقة ، الطرف الثاني (الأخ) ،أكثر عنفا في حركته ، فهو يفكر في القتل بسهولة وممارسته للتضاد أوضح من ممارسة او حركة مهدي ، مهدي يكتفي بالهرب في حين يبحث شقيقه عنه ليقتله :

- **"أنا لا أفهم لماذا يريد أن يقتلك أخوك**
- **أن أخي هذا أكبر مني . هو من الغلاة وذوي النعرات يقول :**

أن عائلة عبدالصمد محافظة ونظيفة ، ولا يمكن أن يكون فيها شيوعي . سأقتله وأنظف العائلة منه ؟

- **والشرطة ؟**
- **الجميع يريدون أن يتخلصوا منا في أقرب وقت ممكن .**
- **وأهلك ، أمك ، أبوك ، أخوتك ؟**

أبي مستقر في قبره . وأمي لا تحل ولا تربط ، يقولون لها خرج عن الشرع . وعندي أربعة أخوة ، أحدهم يشتغل مهندسا في الري ولا يأتي الى بغداد، والثاني معلم ابتدائية يخاف من ظله ، والثالث وكيل أخراج متضايق من الثورة لانها تقلص الشركات ، وتحصر الاستيراد بالحكومة ، أما الرابع الذي يطاردني، فهو يشتغل قومسيونجي ، في سوق البزازين ، وهو ناقم لأن الأمور لم تتطور بالشكل الذي يريده . فيريد أن يصب جام غضبه علي ، أنه يترصدني في

([1]) المخاض ، غائب طعمة فرمان ، ص 224.

الشارع المؤدي الى مدرستي في أول الزقاق الذي أستأجرت فيه غرفة منذ ان توظفت في أول العام الدراسي .

- **عجيب ! الى هذا الحد بلغت الامور ؟**
- **وستكون أسوأ أنتظر"**[1].

وفضلا عن أهمية الجانب الفكري في استيفاء الصورة الواقعية التي يرتأيها الروائي ، فأن أظهار التضاد الفكري بين الشخصيات الغاية منه أبراز مقدرة الروائي اولا ثم فلسفته الشخصية أذ غالبا ما يسبغ الروائي فلسفته الخاصة على شخصياته ويحركها وفق رؤاه لآظهار آيديولوجيته التي يريد الكشف عنها ، لاسيما اذا كان الروائي يحمل قيما فكرية وفلسفية تسير متوازية مع البيئة والواقع اللذين يعاصرهما .

ويبدو أن جهاد مجيد في رواية (الهشيم) قد مثل ذلك من خلال مجموعة من الشخصيات ترتبط بعلاقة عمل تتبنى كل شخصية فكرا معينا ومختلفا عما تتبناه الشخصية الاخرى يظهر ذلك من محاورة جرت بين (عبدالأمير) ، (وعبد علي) نلمس التعارض بين الفكر الديني ،وبين الفكر التقدمي ، فعبد علي يتبنى الفكر الديني وهذا واضح من تعصبه وتزمته واغراقه في الدين ، فهو يدعو الى الالتزام الديني ويركز عليه كنظام يجب التقيد به والايمان باحكامه وشرائعه وهو يدعو لذلك بكل أندفاع وحده لتحقيق العدالة الاجتماعية ، أما(عبدالأمير) فهو يتبنى الفكر التقدمي والحداثة والغاء الفوارق فيشترك الأثنان في حوار يبرز منه التضاد الفكري واضحا في علاقة ضدية متكافئة لأن العنصرين يمتلكان الوعي نفسه ويعيشان المرحلة نفسها والمجتمع نفسه ويمتلكان الرغبة والاهداف نفسها الا أن طريقة معالجة كل منهما تختلف عن الأخرى باختلاف الاتجاه ويبدو أن الأوضاع السياسية والأقتصادية والآجتماعية التي كانت تعيشها الشخصيتان قد وضعتهما امام امتحان لفلسفتهما الفردية فـ (عبد علي) يدين سلبيات مجتمعه من خلال نظرته هو و(عبدالأمير) يفعل الفعل نفسه بنظرة مغايرة :

"قال عبدالأمير :

– أسمع يا عبد علي ، مع أحترامي لرأيك ، أرى ان العصر قد تخطى الدين كنظام

([1]) المخاض ، غائب طعمة فرمان ، ص 222.

قال عبد علي جادا :-

-هذا رأيكم أنتم ، أن الدين لكل زمان ومكان .

-وهذا رأيكم أنتم

-لو تمسكنا بتعاليم الدين لقضينا على كل المساوئ وتقوينا به وحققنا كل ما نريد من خير وتقدم .

خيل اليك أن الرجل يتحدث في جامع ، وبالفعل ان لهجته فيها نبرة الخطباء المعممين . يتحرك عبدالامير على كرسيه :

- **أبسط ما يقال في هذا الصدد ، أن العصر عصر نضال ضد الأستغلال ، ضد الملكية الخاصة والدين يبيح الملكية الخاصة ..**
- **الدين يحد الملكية الخاصة ، بالزكاة يا أخي ...**
- **ما دامت هناك ملكية خاصة ، ما دام هناك رأسمال خاص ، هناك مستغل ومستغل ، هناك فقير وغني ..**
- **ينبغي أن تكون فوارق بين البشر ، لا يمكن أن يستوي الجاهل والعالم ، ولا المجد مع الكسول . هذه شريعة الحق ، لا استغلال بالموضوع . بل كل واحد ينال حقه على قدر مسعاه .**
- **وسيتصادم مسعاه مع مسعى غيره ، وينشب صراع عنيف تكون الغلبة فيه للأقوى ، أشبه بصراع الحيوانات في الغابة من أجل كسب قوتها . يحمر وجه عبد علي ، يصمت قليلا ثم يواصل : -**
- **أذا التزمنا بتعاليم الدين لن ينشب أي صراع . بل تسود الألفة والمحبة .**
- **من يضمن عدم نشوبه ؟ أن حاجة الأنسان أن لم تكفل له فلن يتوقف عنها ، كما أن نوازع الغني أن لم تحد فلن يتورع عند حد . لن يكتفي بأي قدر من الثراء والأمتلاك"** [1].

فالحوار هنا يشف عن علاقة ضدية خارجية كان الباعث على نشوئها المؤثر الفكري الذي الفنا تضاده بين الشخصيتين ، ولعل كل شخصية منهما متمثلة لأتجاه معين

([1]) الهشيم ، جهاد مجيد ،مطبعة الغري ، ط1 ،1974 ، ص 81،ص 82وينظر : ص 150.

موجود في المجتمع والروائي حين أبرز هذا التعارض والتباين والتعارض في المستوى الفكري لأبناء المجتمع عموما .

إن التعارض الفكري يحقق قيمة تتلخص في معرفة المستوى الفكري والفلسفي للشخصيات من جهة ومن جهة أخرى يمكن التعرف على الواقع الذي تعاصره الشخصيات ، وهذا مالمسناه في (الرجع البعيد) فالتعارض الفكري بين مدحت وحسين خلف أنطباعا عن الواقع الذي يعيشانه والحكم السياسي الذي حكم تلك المرحلة والواقع الأجتماعي والعقبات التي تكتنفه .

فمدحت وحسين شخصيتان تتضادان في الفكر والرؤيا من خلال معايشتهما لأحوال المجتمع 1962 الزاخر بالأضطرابات والأحداث ، حسين تبدو عليه السطحية نوعا ما والاستسلام للظرف ، وهو مادعاه الى التخلي عن زوجته وأبنتيه، وممارسة العيش بأستلام وعشوائية تمثلت في حياته البائسة ، وادمانه على الخمرة ، وأخيرا مرضه نتيجة ذلك ، أما مدحت فيبدو أكثر جدية في نظرته كما يظهر انه يعيش صراعا داخليا غير واضح أفرزته المحاورة بينه وبين حسين ، وهو أكثر واقعية وتحسسا للسلبيات في مجتمعه ، الا أننا لا نلمس لدى مدحت محاولة للتغيير :-

"هذه الأفكار ليست لكل البشر ، ما سبب أن نفكر من أجل الآخرين أنها مخلوق معين ،محدد الظروف والصفات والقابليات ، ذي مزاج وعواطف وميول خاصة ، وهي منفصلة عن العالم والتأريخ والتطور ، لأن هذه كلها ظروف وديكورات من أجل أكتمال الصورة ، تلبدت نظرات حسين وأحمرت عيناه وهو يقم وينفخ سيجارته :

– شلون يصير ؟ شلون يصير ؟ أحنا دنعيش بها المجتمع هذا المجتمع ديقدم لنا خدمات ضرورية وديشبع حاجاتنا.

فأحناهم لازم نعمل من أجل صيانته ، يعني بس نفكر بنفسنا ؟ هاي خدعة .

- **قبل الدخول في موضوع الخداع ، يجب ان نحدد المجتمع الذي ننتمي اليه ، لا فائدة من التعميم ، انه المجتمع العراقي في سنة 1962. ولانه مجتمع اللا**

استقرار ، اللا مستقبل ، مجتمع الهاوية والتخمة والبلادة والأرتعاد والحقد والنفاق ، مجتمع أن تأكل بعد وجبة طعام دسمه واللا تعلم ما يجري في العالم وأن تتعقد جنسيا بالضرورة وأن تحذر الفقر ، فأنه مجتمع لا علاقة له بأفراده الحقيقيين أنه المجتمع الذي لا يقدم لك شيئا مقابل شروطه الغبية ، لأنه ليس مجتمعا ، بل فترة زمنية ، ولذلك فانه ذكر الخداع في تعاملك معه ، يعني الكلام بلغة غير مفهومة . انك ليس في موضع الخديعة حين تريد أن تنقذ نفسك .

ثم وجد نفسه يهتف بغضب :

- **شوف حسين ، آني ما أريد هالمجتمع الوسخ . ما أريد أنتمي له آني ملتصق بيه بالصدفة ، وآني مو اول واحد ولا آخر واحد [1].**
- **هاي أفكارك مدحت ..هواية فردية . يعني بيها تمرد وثورة لاكن ترة كلش فردية وما الها مكان بالمستقبل . ما الها مستقبل . يعني بمجتمعات المستقبل . تعرف ..,الأشتراكية وها الأشياء ... شتريد أنت عيني مدحت ؟ شنوها التخطيط؟ ماكوبيه تغيير للأحسن . تمام ؟ تمام ؟.[2]**

فالحوار يوضح العلاقة الضدية الخارجية وهي في أبرز صورها نتيجة المؤثر الفكري لأن مدحت ينظر الى مجتمعه من زاويته الخاصة ويحكم على ما يراه ويعيشه ، وفي الجانب الأخر نجد حسين الذي يعيش المجتمع نفسه الا أن نظرته مغايرة لنظرة مدحت ، فلكل منهما فلسفته الخاصة التي يحتكم اليها وتشكل منطقه الخاص .

([1]) الرجع البعيد ، فؤاد التكرلي ، ص 117 .

([2]) الرجع البعيد ، فؤاد التكرلي ، ص 118 .

رابعا :- مؤثرات الطبيعية:-

يتصل المؤثر الطبيعي بتوظيف الروائي للطبيعة وصورها داخل العمل الروائي ليدعم أحداثه بكل ماهو واقعي وليضيف الاقناع الى الصورة التي يعبر عنها ، لذا فأن التوظيف الناجح لهذا العنصر يحقق قيمة في حركة بناء الرواية وتشكيل عناصر لوحة العمل الروائي بصورة متكاملة .

يقول الدكتور صالح هويدي: (فلم تعد الطبيعة شيئا منفصلا أصم يضاف الى العمل القصصي أو زخرفا يقصد من ورائه أظهار المقدرة الأنشائية للقاص ، فقد غدت جزءا لا يتجزأ من النسيج الفني للقصة ، تشترك مع سائر العناصر الفنية فيها من أجل أضاءة الحدث أو تطوير الشخصية) [1].

وهذا يشير الى أن الطبيعة وما تحمله، أصبحت جزءا مهما من عناصر الفن الروائي لا تتحدد الغاية منه بأظهار مسرح الأحداث ووصفه، بل تعدى تأثيرها وما تمارسه من تعارض تجاه الشخصيات ففي مجال العلاقات الضدية تلعب الطبيعة دورا مهما فيتولد التضاد بما تصنعه من عقبات ضد الشخصيات متمثلا في الأوبئة

([1]) التوظيف الفني للطبيعة في أدب نجيب محفوظ ، د. صالح هويدي دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، ط1992،1 ، ص 13.

والكوارث والأحداث الطبيعية التي تتعرض لها الشخصيات وتؤثر فيه االى درجة التحكم في مصائرها وفرض تأثيرها فالشخصية بفعل المؤثر الطبيعي قد تتعرض للخسارة المادية او الموت او فقدان الأحبة وربما أول ما نستشهد به هو شخصية البحار (سانتياغو) في رواية الشيخ والبحر لارنست همنغواي فقد تعرض لتضاد الطبيعة الذي اسهم بشكل كبير في أخضاعه وفشله في العودة بصيده الثمين الا أنه نجح في مقاومتها بضراوة وهو ما يشكل مقاومة وفعالية الأنسان امام تضاد الطبيعة فأرادة الشيخ حفزته للمقاومة ضد جبروت الطبيعة وتضادها معه، سانتياغو قد مارس الشد ضد قوى الطبيعة بقوة جبارة عبرت عن رغبة بتجاوز العقبات[1].

وكلما كانت فعالية المؤثر الطبيعي أكبر كانت درجة تأثيره في الشخصية أقوى الى درجة استلامها للمؤثر الطبيعي الذي يتخذ عدة هيئات عديدة ، فعائشة في ثلاثية نجيب محفوظ [2] تتعرض لتأثير المؤثر الطبيعي والذي تمثل بأصابة زوجها وطفليها بالمرض ومن ثم موتهم وهذا يشكل قمة تأثير المؤثر الطبيعي في توليد العلاقات الضدية ، فموت عائلة عائشة شكل علاقة ضدية خارجية نتيجة المرض وهو وباء يقع ضمن المؤثر الطبيعي ، وغالبا ما تستسلم الشخصيات للمؤثر الطبيعي كونه أقوى منها ومن قدراتها عل رد الفعل تجاهها .

والرواية العراقية طالما أتخذت من الطبيعة مسرحا لأحداثها خاصة في الروايات التي تتعلق أحداثها بالبيئة الريفية ، لذا كان من المألوف أن نلمس الصراعات البشرية ضد قوى الطبيعة وتأثيرات هذا العامل في التحكم بمصائر الشخصيات وأحداث الانقلابات المؤثرة .

ففي رواية (الظامئون) لعبدالرزاق المطلبي يمارس المؤثر الضدي الخارجي أكبر أدواره حين شكل الموضوع الرئيس في أحداث الرواية وهو(الجفاف) هذه الكارثة الطبيعية التي تلاعبت بمصائر شخصيات الرواية ،نظرا لأعتماد أهل القرية في

([1]) ينظر الشيخ والبحر وثلوج كلمنجارو ، أرنست همنغواي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1975 ،ص 124.

([2]) قصر الشوق ، نجيب محفوظ ، دار مصر للطباعة ، بدون تأريخ ، ص 432.

معيشتهم على الزراعة التي قضى عليها الجفاف ، عندها كانت ردة فعل أغلب العوائل هو الهجرة وترك القرية للبحث عن موارد المياه في مناطق أخرى ، في حين نلمس المقاومة عند شخصية هاشم ووالده الزاير راضي اللذين قاوما الجفاف بمحاولتهما حفر البئر والبحث عن المياه الحلوة الا أن محاولتهما باءت بالفشل مما زاد في أزمتهما، حين أخذت الحيوانات تنفق والمزروعات تموت نتيجة هذا الجفاف، فعلاقة التضاد الخارجي التي تولدت نتيجة هذا المؤثر كان قطباها يتمثلان بالجفاف من جهة واهالي القرية من جهة أخرى ويبدو أن، فعاليته قد نجحت في التأثير في الشخصيات لترحل أما راضي وولده فقد عبرا عن ارادتهما التي جابها بها هذا المؤثر :

"كان يحدّث نفسه متطلعا الى السماء .." يارب ..ألا من غيمة تأتي لتغسل أرضنا وقلوبنا.. اللهم ارحم هؤلاء المساكين فما لهم حياة دون المطر .." أرسل نظراته الخابية الى الارض الفضاء خارج القرية ثم زفر ضباب صدره متضجرا، وكانت عدة مجموعات من الكلاب تنتشر في أنحاء القرية والدماء وقطع اللحوم من جثث الحمير والاغنام والعفن تملأ المكان وتذكي حماسة بعض الكلاب فيملأ نباحها الأجواء ... سعيدة .. يتمطى النشاط في أجسامها في حين يأكل القهر قلوب الفلاحين وهم ينظرون أغنامهم يصبها الهزال، ويلتصق جلدها على عظمها .. وحميرهم تسير ببطء وكأنها لا تقوى على رفع أرجلها من الأرض .. وزرعهم يذبل وينطوي بحزن على سيقانه الخاوية" [1].

ولم يقف تأثير العلاقة الضدية على تبعات الجفاف وما يسببه بل أنسحب تأثير هذه العلاقة الى سلسلة تضادات ، منه أنتحار حليمة إثر حملها سفاحا من (حسين) وهي من كان (الزاير راضي) يريدها زوجة له الا أن الجفاف والقحط كان يجعله يؤجل زواجه منها وهجرة (حسنة) بعد أن خطبها (حسين) وترك (هاشم) الذي يحبها، فضلا عن هجرة أغلب العوائل من القرية .

([1]) الظامئون ، عبدالرزاق المطلبي ، وزارة الثقافة والارشاد ، دار الجمهورية ، بغداد ، 1967،ص 11،ص12.

ويتخذ المؤثر الطبيعي هيئة وباء يصيب كل أهل المنطقة في رواية (سابع أيام الخلق) لعبدالخالق الركابي ، فالطاعون يجتاح الديرة ، ويسبب كارثة مروعة بدأت بسقوط كبير الديرة (مطلق) ثم أفراد العشيرة الذين تساقطوا الواحد إثر الأخر ولا مجال للمقاومة فالأصابات مميتة ، ولم تظهر الشخصيات أية حركة في هذه العلاقة الضدية ، لأن فاعلية الوباء كانت شديدة ومدمرة : –

"مر أسبوع لم تكف الصرخات خلاله عن الأنطلاق من هنا وهناك وكأن الموتى قد كثروا ، حتى عز على أهلهم الحصول على الأكفان وكانت أعدادهم تتضاعف يوما بعد يوم . تسقط النساء وسط حلقات الندب والبكاء ، ويسقط الرجال وسط مجالس الفاتحة . وصار الموت أمرا مألوفا ، ما يكاد الواحد يسقط وسط عائلته حتى يفر الأخرون ناجين بأنفسهم . ولم يعد الأبن يبكي أباه ، ولم تعد الأم تشق ثوبها حزنا على فقد أبنها ، لقد بات هاجس الأحياء الوحيد الحفاظ على أنفسهم على الرغم من أن الحياة غدت لا تطاق ، وتصاعدت الروائح الكريهة من البيوت التي حصد الموت ساكنيها جميعا ، فلم يبق من يمد اليهم الأيدي لدفنهم" [1].

أن العلاقة الضدية الخارجية التي تتولد نتيجة المؤثر الطبيعي غالبا ما يكون لها الدور الأكبر في التضاد لأن المؤثر الطبيعي دائما أقوى من القدرة الأنسانية ، فما يمارسه الفرد تجاه تضادها هو رد فعل الغرض منه الخروج بأقل الخسائر لذا فأن الجفاف مثلا يخلف موت الحيوانات والمزروعات ويؤثر في معيشة الأفراد ، والأمطار قد تحدث الأنهيارات والأمراض تهدد الوجود البشري من خلال فتكها بالأنسان ، والفيضان يدمر البيئة وهو ماوظفه غائب في رواية خمسة أصوات حين جعل من المؤثر الطبيعي الفيضان سببا لخلق علاقات ضدية خارجية عاشتها شخصيات الرواية وأسهمت في الرد على هذه العقبة بأمكاناتها التي تمثلت بالمشاركة في أنقاذ العوائل والتخفيف من أخطار الفيضانات :–

قالت " صباح الخير " بحياء ، ونكست رأسها . قال :

([1]) سابع أيام الخلق ،الركابي ،ص 72.

أما زال بيتكم غريقا ؟

- **طبعا ، نحن الآن نسكن في بيت عمي في الأعظمية .**
- **هذا شيء مؤسف .**
- **الحمد لله أننا لحقنا أن ننقل الاثاث .**
- **هذا جيد بالطبع .**
- **هناك أناس استيقظوا في الليل فرأوا الماء في حجرهم"** [1].

أن المؤثر الطبيعي يمتلك المجال الأكبر ليمارس دوره لكون تأثيره أقوى من ردات الفعل تجاهه لذا طالما شكلت العقبات الطبيعية علاقات ضدية تتسم غالبا بكونها علاقات خارجية في محيط خارجي .

لا تقف المؤثرات الخارجية في توليد العلاقات الضدية عند هذه المؤثرات الأربع إذ أن هناك مؤثرات تدخل ضمنها مثل المؤثر الديني وتأثير الانتماء الحركي الا أن التفصيل فيهالا يخدم البحث لانها مرتبطة الى حد ما بالسياسة التي سبق البحث فيها ضمن المؤثر السياسي ، لذا فأن أبرز ما يشكل العلاقات الضدية من مؤثرات هي ما جرى الحديث عنه سابقا وهي من أكثر المؤثرات شيوعا في خلق وتوليد العلاقات الضدية .

([1]) خمسة أصوات ، غائب طعمة فرمان ، ص 153.

الفصل الثاني

حركة الافعال الداخلية

(العلاقات الضدية الداخلية)

أن تعبير الرواية عن الواقع يتمثل في احتوائها على الظواهر الواقعية لتزيد من قناعتنا بالمواقف وتقوي الشعور بواقع الحياة ، لذا فأن دور الرواية هو تقديم صور موجودة فعلا أو قابلة للحدوث تبعا لعوامل وتأثيرات مختلفة ، ولعل ظاهرة الثنائيات الضدية واحدة من أهم هذه الظواهر وجودا في الرواية ، لأنها تتبع أساسا من وجود التضاد والذي يعد وجوده ثابتا ومعروفا في الحياة ، وعلى نحو ما بحثنا في النوع الآول للعلاقات الضدية (الخارجية) ، نبحث في هذا الفصل النوع الثاني للعلاقات الضدية وهي العلاقات الداخلية ، (العلاقات الضدية غير المباشرة) ، والتي لا نبالغ إذا أشرنا الى أنها أهم وأكثر تعبيرا عن التضاد من العلاقات المباشرة.

ويبدو أن وجود هذه الظاهرة مرهون بعوامل أثرت في وجودها وتكوينها ، لتجسد الصراع الداخلي للفرد وحيويته وغناه ، عن طريق تأثر الشخصية به وردة فعلها تجاهه ، فبازدياد معقدات الحياة وتضارب المصالح والرغبات وحدوث الحروب وأنهيار الاقتصاديات وأرتفاع نسب الاستغلال والاضطهاد للأنسان ، أزداد حدوث الصراعات والتضادات ، وأخذ الفرد يتجه الى صراعه مع نفسه مع قلة إمكانياته في تحقيق متطلباته ، وزاد شعوره بالتأزم الى الحد الذي بلغ بالروائي تمثله لذلك بظهور تيار جديد اتجهت الرواية نحوه هو روايات تيار الوعي الداخلي الذي تزعمه وليم فولكنر ، وجيمس جويس وفرجينيا وولف ومارسيل بروست وغيرهم[1].

([1]) يمكن الرجوع الى اعمال هؤلاء الروائيين والأطلاع مثلا على 0 (الصخب والعنف) لوليم فوكنر ، و(السيدة دالاوي) لفرجينيا وولف ، و(صورة الفنان في شبابه) لجيمس جويس و(البحث عن الزمن الضائع) لمارسيل بروست وغيرها .

فتحولت الرواية من الوصف الخارجي والتقريرية الى تصوير الأعماق الداخلية للشخصية ، حين أصبح من المألوف التعايش مع الشخصية مع ما يظهره لنا الروائي من أستبطان وسبر لأغوار النفس الأنسانية ، على نحو ما فعل تولستوي الذي وصفه ف . دنيروف بأنه (عملاق في تصوير التصرفات النفسية أضافة الى كونه عملاقا في تصوير الوعي الأنساني)[1].

و(فرجينيا وولف) التي جعلت من الرواية وسيلة لأكتشاف حياتنا النفسية العميقة[2]، بجعل العالم الخارجي بين قوسين ، وتستعيض عن هذا العالم الخارجي بالرؤية الداخلية التي تستوحي منها التكوينات الفنية والخيالية والدرامية التي تعبر عن خزين متراكم من المؤثرات المادية والنفسية [3]، و(جيمس جويس) الذي يقف تجاه كل شخصية من شخصياته موقف المحلل النفسي من المريض ، فكل شخوصه تطلق لأفكارها العنان ، وتظهر لنا في حالات مجسمة من الأستغراق الذاتي والاستبطان العميق الذي يظهر على السطح كل عناصر الانفعال[4] ومن هنا يصبح من المسلم به أن الصراع الداخلي أصبح سمة من سمات العصر الذي يتميز به الفرد تجاه عناصر وأبعاد مختلفة ، لأن الصراع النفسي يتفرد بكونه رد الفعل الوحيد الذي يمكن للشخصية أن تمارسه في أي وقت وتجاه أية حالة ، فضلا عن ان المنظور الداخلي للشخصية

([1]) حركة الشخوص في أدب تولستوي ، بقلم ف.دنيروف ، ت محمد يونس ، مجلة الثقافة الأجنبية ، العدد 7 ، 1988 ، ص 34.

([2]) ينظر عالم الرواية ، رولان بورنوف ، ورويال أوئيليه ، ت نهاد التكرلي مراجعة فؤاد التكرلي ، والدكتور محسن الموسوي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، سلسلة المائة كتاب الثانية، بغداد ط1، 1991،ص 7 .

([3]) ينظر ، الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة ، سعد عبدالعزيز ، القاهرة ، 1970، ص 83.

([4]) المصدر نفسه ، ص 77 .

أكثر واقعية من المنظور الخارجي لأن الكشف عن الشخصيات من الداخل يكشف عن معنى الوجود في الزمان[1].

ونجد الروائي العربي يتجه الاتجاه نفسه في تمثيل الصراع النفسي عند شخصياته ، ويبدو أن المؤثرات في توليد هذه الصراعات كانت أعمق وأبلغ نظرا للظروف التي تعرض لها الفرد العربي إجمالا ، وأوضاع معروفة تمثلت بالاستعمار والاستغلال ، وسيطرة الحكومات الضعيفة والاقتصاد المتردي وغيرها ، لذا فأن اتجاه الروائي العربي الى تمثيل الصراع الداخلي كان متنفسا للتعبير عن أزمة الفرد العربي عموما وعن مآسيه المتعددة وفي مختلف الأتجاهات .

والروائي العراقي واحد من الروائيين العرب الذين إتجهوا هذا الاتجاه حين جعل شخصياته وأبطاله غالبا محكومين بمسارات معقدة وملتوية ، وينتهون دائما عند طريق مسدود بركام الخوف والضياع ، وهي شخصيات قلقه لا تمتلك رؤى موقفية واضحة [2] فهي مغرقة في التضاد الداخلي ، وحواراتها عبارة عن أظهار لذلك التضاد الذي أنسحب بشكل أو بأخر من أزمة الروائي ذاته عبر سلسلة من العذابات والهموم والهواجس التي كانت تشده الى البوح بها بغية التنفيس عن ثقل الأزمة والهموم التي أكتنفته[3].

ويبدو أن موضوع التضاد الداخلي لا ينفصل عن موضوع (تيار الوعي) الذي يشكل وسيلة إظهار التضاد ومن خلاله تتكشف حالات الأصطراع الداخلية للشخصيات ، حيث أستهدف تيار الوعي في الرواية الحديثة تنظيم الأفكار والتداعيات الكفيلة بأظهار الصراع الداخلي ، وتنسيق وتصوير اللاوعي وتوجيهه بحيث وسع من

([1]) ينظر باختين والزمان السردي الحديث ، مقالة في بيرتن ، ت محمد درويش ، مجلة الأقلام، العدد 6 ، 1999 ،ص 39 .

([2]) ينظر ، القصة العراقية بين حزيران وتشرين ، عباس عبد جاسم ، مقالة ، مجلة الأقلام العدد 5 ، 1977 ، ص 70 .

([3]) المصدر نفسه ص73.

أفق الفن الروائي بولوجه الى العوالم الداخلية وتصوير الشخصية ومشاعرها الدفينة [1]، والحوار الداخلي يكمن دوره في تحديد التضاد ومسيراته أذا وظف بفاعلية تبرز من أهمية التضاد الداخلي والحركة الداخلية ، لأن الرواية لا تعتمد على الوصف أو المعلومات التأريخية أو التأمل فحسب ، بل أنها تبدأ من أدق الأشياء سرية ومن الأشياء غير المرئية ، ولأنها وليدة الحدث الداخلي الذي هو جوهر البحث عن الأشياء في حقيقتها المطلقة [2]، وهنا يأتي دور الحوار 0 (تيار الوعي) في الكشف عن حالات الأصطراع الداخلي ، باستخدام تقنية فنية عالية في الحوارات الداخلية ، ليصبح سمة الرواية الحديثة ، ويتصل غالبا بالشخصية التي تمتلك مقومات ثقافية وتتبنى مبادئ وفلسفات خاصة بها[3] ذات وعي وأدراك عال لتحقيق مواقف وأحداث مقنعة والواقع أن اتجاه الرواية العراقية نحو أسلوب تيار الوعي ليجسد الصراع الداخلي الذي أنتشر في مرحلة الستينات قد أغناها . وأوصلها الى درجة من النضج خاصة في أعمال غائب طعمة فرمان ،وفؤاد التكرلي، وموفق خضر ، حيث عكست أعمالهم أزمة الفرد العراقي ، ولاسيما المثقف منه ، وصورت هذه الأزمة وتأثيراتها والتركيز على مسبباتها، وهذا ما أظهره لنا (تيار الوعي) ، الذي سارت الرواية الحديثة نحوه حثيثا .

أن أغتناء الرواية العراقية بالعلاقات الضدية الداخلية يسجل لصالحها لأنه يعني أنها تسير نحو النضج الفني ومواكبة النتاج العالمي ، ففي رواية (خمسة أصوات) لغائب طعمة فرمان ، أستطعنا أن نلمس تأزم ابطالها الخمسة بما وفره لنا الحوار

([1]) ينظر ، تيار الوعي في الرواية الحديثة ، روبرت همفري ، ترجمة الدكتور محمود الربيعي، دار المعارف ، ط2، القاهرة ، 1972 ، ص 24.

([2]) ينظر ، الرواية العربية المعاصرة ، ماجد أسد ، ص 32.

([3]) إذ من النادر أن نلمس صراعا داخليا على مستوى من النضج عند شخصية معدومة الثقافة، ويدخل في هذا (النادر) شخصية حليمة في رواية (الظامئون) للمطلبي التي تتملكها حالة من الأصطراع الداخلي الشديد إثر حملها سفاحا من حسين ثم هجره لها مما يؤدي الى انتحارها في النهاية ، ينظر ؛ الظامئون ، المطلبي ، ص 227 .

الداخلي من معرفة بهذه الأزمات وأسبابها ونتائجها ، وفي رواية فؤاد التكرلي (الرجع البعيد) أستطعنا الولوج الى دواخل الشخصيات عن طريق الحوار الداخلي ، وفي رواية (الأغتيال والغضب) لموفق خضر عشنا حالة من التأزم الشديد مع سمير وهو يعبر عن صراعه مع نفسه ، ومع ان عمر الرواية العراقية قصير ، الا أنها نجحت في تصوير الدواخل النفسية والأزمات وتوظيف العالمين (الخارجي والداخلي) معا في نسيج الرواية ، بعد أن كانت تعتمد على التقريرية والوصف الخارجية ، وأخذت تنتهج سبلا أكثر علمية في طرح المواقف والأحداث .

أن البحث في مؤثرات حدوث العلاقات الضدية الداخلية في الرواية العراقية يتطلب الأشارة الى أن مؤثرات حدوث العلاقة الضدية الخارجية تؤدي الى أزمة نفسية أولا ، ثم تنشأ عن هذه الأزمة علاقة ضدية داخلية أي أن التأثير عندها يكون بصورة غير مباشرة في خلق العلاقات الداخلية ، فالعوامل الأقتصادية والسياسية والفكرية والدينية والأجتماعية تولد علاقة ضدية خارجية وتولد ايضا أزمة نفسية تؤدي الى حدوث العلاقة الضدية الداخلية ، لذا سيكون التركيز على ظواهر هذه الأزمات النفسية وتأثيرها في حدوث العلاقات الضدية الداخلية ومن هذه الظواهر التي ينتج عنها التضاد الداخلي :

اولا: الأغتراب

أن لمفهوم الأغتراب معان ودلالات تعكس طبيعة النظر اليه وتحكمه فالمعنى اللغوي – المتعارف عليه – هو الأبتعاد عن الأهل والمجتمع والبلد[1]، الا أن للمعنى الأصطلاحي دلآلة أعم وأشمل، فالأغتراب مشكلة نفسية تنتاب الفرد فتجعله عاجزا عن تغيير وضعه ، أو هو عدم وجود الهدف عند الشخص المغترب ، فيعجز عن توجيه سلوكه ومعتقداته ، او هو عدم وجود مقاييس يمكن للفرد الأعتماد عليها والسير على وفقها ، كما يشير الى عزل شعور الفرد عن الأهداف الحضارية لمجتمعه ، ويبدو أن الأغتراب لا يقف عند هذه الأبعاد فحسب وأنما يتضمن مدلولات أخرى تدعى بـ(متضمنات مفهوم الاغتراب) نلحظ أنها قريبة من المفهوم الأدبي الذي يتخذ من الطابع النفسي سمة له حيث يعنى بالفرد وأستجاباته حين يشعر بالأغتراب، ومن هذه المتضمنات فقدان السيطرة والعزلة واللا جدوى واللامعنى[2] والاغتراب مشكلة نفسية طبيعية تقف عقبة في طريق الفرد حاول الروائي أن يتمثلها في شخصياته ليحقق مقدارا من الواقعية والأقناع.

ولعل مؤثرات خلق الأغتراب محددة بالعوامل (العاطفية ، والسياسية والأجتماعية ، والفكرية والأقتصادية) الكفيلة بخلق أزمة أو عقبة ، الا أن الأغتراب بدوره يخلق العلاقة الضدية الداخلية بالفاعلية نفسها التي يخلق بها ، فأحساس الفرد بعدم الأستقرار ، وفقدان التوازن وبضرورة التغيير يبدو من ملامح الفردالمغترب الذي يجد صعوبة في التعامل مع الواقع [3]، فضلا عن صراعه مع عوائق نهضته وحواجز مسيرته ، فأغلب الشخصيات الرافضة لواقع معين هي شخصيات تعاني أغترابا ، مفروضا عليها في هذا الواقع فرضا لا يتناسب مع أهداف أو ميول الشخصية أو حالها

([1]) ينظر، البطل المغترب في الرواية العراقية ،د. صبري مسلم ، مقالة مجلة الاقلام ، العدد 9، 1988،ص 13.

([2]) ينظر ، البطل المغترب في الرواية العراقية ، ص 13.

([3]) مبادئ علم النفس العام ، أميمة علي خان ، جمال حسين اللآلوسي ، بغداد ، 1983 ، ص 90 .

، فتأتي ردات الفعل من خلل أو أرتباك او اللاستقرار وربما الالم والحزن في حياتها ، وقد تكون هناك مبالغة في الرفض مما يخلق أزمات شديدة [1] وظاهرة الأغتراب منتشرة في الاعمال الروائية لتعبر عن واقع الشخصية ومشكلاتها، فالروائي يضع العقبات ويعرضها للأزمات والتوترات ليطلعنا على ردة فعلها وأحدى ردات الفعل هذه هي الأغتراب ، والذي ينماز بسماته الحادة فمع قسوة الواقع نجد لذة الحلم عند الشخصية المغتربة ، دون محاولة تحقيق الحلم . لذا فهو في تضاد دائم مع نفسه ومع واقعه ، وهذه الصفات نجدها عند شريف في رواية (خمسة أصوات) لغائب طعمة فرمان ، والتي أشار فيها غائب من خلال أغتراب شخصياتها الى أغتراب مثقفي حقبة الخمسينات والأزمات التي عاشوها والتأزم الحقيقي نتيجة سوء الأوضاع وأرتباكها .

شريف الذي كان يسمي نفسه بودلير العصر تشبها بالشاعر الفرنسي بودلير ، قد جسد الاغتراب بكل معانيه وعاش نتيجته التضاد الحقيقي ، فأغتراب شريف يؤدي به الى الأيغال في أحلامه وأخيلته الى حد الأسراف ، صانعا له عالما يمتزج فيه الواقع بالخيال يتوهم فيه أمورا لا يمكن أن تقع لمثل حاله المتردي ، وهنا نلمس مدى الفجوة بين واقع شريف وخياله ، واحلامه ، وشريف من الفئة المثقفة التي أطلعت على أداب الدول ويبدو أيضا انه قرأ كثيرا عن المجتمعات الأخرى فأخذ يلمس الفرق بين ما قرأ عنه وبين ما يعيشه فلم يجد ما يسند عالمه الخيالي غير الخمر ومومس يقضي معها أوقات خيالاته :

- **"وكذلك أنا . حياتي قبيحة متوزمة مثل عجيزة القرد ، وأنا أجملها بالأحلام حتىأجرعها ، وأنت الا تحلمين ؟ أقصد الا تتصورين أنك ستخرجين يوما من هذا الجحر وتكونين سعيدة ؟**
- **أحلم ، أحلم .**
- **الناس جميعا يحلمون ، وأذا لم يحلموالا يستطيعون تحمل الحياة ، لو جاء طاغية ومنع الأحلام على الناس لهلكوا في اليوم التالي . ذبلوا وتآكلوا**

([1]) المصدر نفسه ، ص 92.

.وانا شاعر أحلم بالأحلام الجميلة العالية ، أبني قصورا ، وأسكن في كل قصر حورية [1]".

أغتراب شريف الذي يهرب منه بخيالاته أشركه في تضاد دائم مع نفسه ومع محيطه فهو يجد صعوبة في تعامله مع المحيطين به ، ولعل من أولى الاشارات الى بدء رحلة الاغتراب والتي جعلته يعيش هذا الصراع الداخلي مع نفسه علاقته بأهله ، ثم مستقبله الذي يتردى أمام عينيه ، عيشته المتواضعة في غرفة حقيرة فوق سطح عمارة ، ويزداد شريف أغترابا ليزداد هربا الى الحد الذي يتوهم حب فتاة أبعد ما تكون اليه ، تتوفر فيها كل المواصفات من شباب وجمال ومستوى عال من التعليم فهي طالبة طب ، يصنع شريف علاقة حب خيالية معها ويكاد يصدق ويؤمن بهذه العلاقة أمعانا منه في الهرب من التضاد الذي يعيشه مع نفسه ومع الأخرين ويفسر كل شيء على هواه الى الحد الذي يدفعه الى ارتكاب أعمال غير مقبولة :

- **"كيف حال ذات الخال ؟**
- **من؟ تلك التي رمتك بنبل من لحظها ؟**
- **نعم، ياصاحب التعابير المستعارة ، هل نجحت هذا العام ؟**
- **هز الطالب رأسه المستطيل ، وقال محركا أصبعين .**
- **نعم نجحت نجاحين .**
- **وكيف كان ذلك ؟**

جاراه بسرقة تعبير مبتذل . عكف الشويعر أصبعا وقال :

- **نجحت في الأمتحان ، هذا اولا ثم عكف أصبعه الثانية ، ونجحت في التقاط زوج.**
- **ماذا تقصد بذلك ياغراب ؟**
- **شكرا أقصد أنها تزوجت .**

([1]) خمسة أصوات ، فرمان ، ص 225.

أحس شريف بأن وجهه يحتقن ، وهو يقول له :

- **هل أنت مجنون ؟**
- **ولماذا ؟**
- **هذه الفتاة لي .**
- **هل كنت متفقا معها على شيء؟**
- **لم أتفق باللسان . ولكن العيون صنعت تأريخا .**

قال الشويعر ببرود البله :

– العيون لا تعقد قرانا" [1] .

شريف يرفض واقعه وهو يعكس ذلك بأيغاله في الخيال والشرب وهما وسيلتاه في الهرب العالم وردي ليس له أي انعكاس على واقعه الذي يعيشه فهو يصارع بين حالتي شخصيته ، بين رغبة في السيطرة على واقعه وتحقيق رغباته وبين قدرته المنهوكة التي تخذله عن أداء ذلك [2]، فنراه يختار عالما خاصا به يحقق به أحلامه، فهو تارة يدعي انه قضى ليلة مع أجمل النساء ، وتارة أرتياده لأفخم الأماكن وهكذا يتمادى شريف في التحليق بأحلامه حد الجنون .

شخصية شريف هي شخصية تمثل إنموذجا إنسانيا منتميا الى واقع حياتي معين يحاول أن يتملص منه الى واقع وهمي يخلقه ، واقع غير منظور ، يهرب اليه من واقعه الأول ، وهذا الاغتراب تحول الى تضاد دائم مارسه شريف ضد محيطه أشركه في علاقة ضدية تكونت بفعل عقبة [3] لأن العلاقة النقيضة بين وضعين هي التي خلقت هذا التضاد الداخلي ، وفي حالة شريف لا نلمس أية محاولة للتغيير وهذا راجع لمقدرته الضعيفة ، وأمكانياته المتواضعة في مختلف الأوجه التي جعلت منه شخصية سلبية تعيش خواءً حياتيا وروحيا .

([1]) خمسة اصوات ، فرمان ، ص 278.

([2]) ينظر ،الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة ، سعد عبدالعزيز ، ص 61.

([3]) إذ أن كل ما يشكل عقبة هو عبارة عن علاقة ضدية .

وأذا كان (شريف) قد عبر عن غربته ونفس عنها بطريقته الخاصة ، نجد شخصية (منيرة) في رواية (الرجع البعيد) لفؤاد التكرلي تعيش الأغتراب من دون محاولة الهرب او التنفيس عن الآلام .

(منيرة) تجد صعوبة في التعامل مع واقعها الذي آلت اليه ، وهي تحسب كل نفحة هواء تتنفسها نعمة زائدة تحسد نفسها عليها بعد ما حدث لها ، وعذابها وقلقها يشفان عن أغتراب رهيب ، أغتراب مكبوت لاتملك القدرة على التعبير عنه لحساسية ما حدث لها ، ولأرتباطه بالشرف والسمعة والتقاليد الاجتماعية، ولعل هذا أشارة الى قوة شخصية منيرة قياسا الى ما تعانيه بصمت حين تحولت ردة فعلها ثرثرة مع الذات والنفس بفعل القهر أظهرتها حواراتها الداخلية .

فحاضر (منيرة) خانق وكئيب تعجز معه عن الأنغماس في تيار الحياة ، حين تفقد (منيرة) في لحظة من اللحظات رؤية المستقبل فلا تجد أمامها سوى صدى الأشياء المهشمة :

" لم أنظر ورائي ونحن نجتاز الجسر لنواجه الأفق والطريق الأسود الملتوي الممتد أمامنا كان الموت هناك والذل والعار ، ولم يخطر لي أني بحاجة الى كل هذه الاشياء ولكني مسحت دمعة متحيرة ، ونحن نبتعد وتختفي الخطوط الخضراء خلفنا . تذكرت الأغاني والملامح والأجواء والقليل القليل الذي بقي لي من حياتي"[1].

(منيرة) على وعي تام بمشكلتها لأنها تدرك تبعات نزولها عند رغبة أهلها بزواجها ، فهي ارادت أن تختصر كل ردات الفعل الممكن حدوثها من مدحت ومن أهله ومنها هي بالذات ، لذا كانت تعيش أغترابها من ناحيتين مما زاد من ثقل الوطأة عليها : من ناحية قسوة الواقع الخارجي علها والحادثة التي حطمت حياتها ، ومن ناحية أخرى صعوبة تلاؤمها مع الحياة بوضعها الجديد وأيجاد وضع مقبول لها بين أهلها .

([1]) الرجع البعيد ، التكرلي ، ص 204.

هذه الحالة من الأغتراب عبرت عن قمة حالات الأصطراع الداخلي التي يمكن أن تنتاب الفرد أثر أزمة شديدة ، لأنها قادت منيرة الى سلسلة من التضادات تمثلت بمراحل أربع: المرحلة الأولى العلاقة الضدية التي ربطت بين منيرة وواقعها حين أغتصبها أبن أختها لتعيش تضادا داخليا محضا من هول مفاجأة ما حدث لها ثم تكشف واقعها الجديد لها وأدراك مصيبتها :

"ولقد بدأت ، خلال ساعات عزلتي الطويلة التي سبقت عودتنا من بعقوبة ، بتقدير الضرر الذي لحقني والضرر الذي كان من الممكن ان يلحقني ، فأنتهيت أولا الى أن بقائي على قيد الحياة كان بمحض صدفة ، كذلك كان الكتمان الذي خنق الحادثة وأحالها الى طارئ غامض وقع لي ولا يعرف احد كنهه أو فحواه" [1].

المرحلة الثانية حين وضعت (منيرة) أمام أمتحان قبولها الزواج وفقا لرغبة الأهل الذين يجهلون حالة (منيرة) ، لتقود (منيرة) صراعا مع نفسها يضعها على المحك:

"كنت شبحا فاجأه ضوء النهار لا أحب وحدتي لكنها ملجأي الأخير لأني كنت مطاردة من الجميع ، تضغط على نفسي رؤية أمارات ذات معنى في حركاتهم وكلماتهم ونظراتهم ، كانوا يسألون سؤالا واحدا تلبسهم ولون هيأتهم بلونه لماذا لا أجيب بالأيجاب ، لا نخرط في سلك المسبحة ولا أنزل الى ساحتهم البشرية السوية لأوافق بسرعة وأحيا معهم" [2].

ثم المرحلة الثالثة التي يكتشف فيها (مدحت) وضع (منيرة) ليهجرها فتعيش حالة أخرى من الصراع النفسي في محاولة لرأب الصدع دون جدوى ثم المرحلة الرابعة بعد موت مدحت الذي لم تستوعبه (منيرة) وزاد في أغترابها وأزمتها لتعيش مرارة حياتها الزوجية التي لم تكد تبدأ :

([1]) الرجع البعيد ، التكرلي ، ص 203.

([2]) المصدر نفسه ، ص 211 .

"رام أتغلب . يكول آني حبيبته ويموت بلا كلمة . بلا أشارة . رام أنخبل، لويش هالقسوة ياربي ؟ لويش" ؟[1]

وعلى الرغم من كبت منيرة لهمومها ، الا أن تأثير الأغتراب الذي أصيبت به كان من الفاعلية بمكان أن خلق تضادات داخلية متعددة وطويلة عاشتها منيرة ولم تتخلص منها .

أن الشخصيات التي تصاب بالأغتراب تختلف ردات فعلها من شخصية الى اخرى بحسب العلاقة الضدية التي تعيشها ودرجة تأثيرها ، فمنهامن تختار الهرب ومنها من تظل تصارع بصمت ومنها ما تمارس ردات فعل غير متوقعة علىنحو ما فعل بطل رواية (الحبل) لأسماعيل فهو اسماعيل الذي مارس السرقة كنوع من التضاد أمام مشكلته . فقد تجلت غربته في الحياة في خسارته لعمله الامر الذي دعاه الى الهرب الى الكويت ، وهنا مارس الغربة الفعلية حين أبتعد عن أهله . الا أن عدم تمكنه من الهروب من مشكلته دعاه للجوء نحو ذاته ليصارعها نتيجة عدم تكيفه مع واقعه الجديد بعد خروجه من المعتقل ثم خسارته لعمله[2] وفقدانه لأحترام الأخرين له عندها أتجه الى محاولة الهروب من واقعه القاسي الى (السرقة) ، سرقة بيوت الضباط ومنتسبي الأمن بالذات وكأنه يرد على من أعتقله ، بسرقة بيته، فاحساس البطل بأن أنسانيته قد سرقت منه ، جعله يلتجئ الى رد فعل مشابه فهو مسروق الأنسانية والكرامة فلا بد أن يسرق بالمقابل من أهانه وكانوا سببا في خسارته لعمله ومكانته ثم سلسلة الهزائم التي تعرض لها عند هربه الى الكويت بطريقة غير مشروعة ثم ألقاء القبض عليه ومصادرة ممتلكاته وعودته خالي الوفاض ، عندها لم تتحمل أعصابه هذا التيه والضياع الذي وقع فيه ، والتشرد[3] النفسي الذي رافقه عبر تنقله في أماكن مختلفة ، الأعتقال ثم الخروج ثم الهرب الى الخارج ثم العودة ، ليمارس السرقة

([1]) المصدر نفسه ، ص 352 .

([2]) ينظر الحبل بين تطرف البطل وتعرية الواقع ، محمد الجزائري ،ص 57 .

([3]) ينظر ، علم النفس والآدب ، تأليف الدكتور سامي الدروبي ، دار المعارف ، ط2، ص 168.

نتيجة لاحساسه العبثي باللاجدوى الذي دعاه الى ممارسة هذا العمل بقناعة مزيفة حين عد عمله مشروعا كرد فعل تجاه مجتمعه المتردي :

- "أترك السرقة .. الأفضل لنا أن نموت جوعا من أن نحترف اللصوصية .

أراها على حق . وأكاد أقسم .. ثم أجد المبرر "هم سرقوني .. ويسرقوني" .

فتجيبني بحزن :

" بل هو مرض الطفولة .. اليساري الحقيقي ..

تصمت برهة وتستطرد :

" لا يسرق "

في العاشرة من عمري مارست أول عملية سرقة . سألتني عن أثر الحز الذي في كفي فرويت لها قصة السرقة الأولى وعندما أخذوني (موقوف سياسي) وضعوا الحديد في كفي حتى ذلك الوقت لم أكن قد أحترفت السرقة . كنت موظفا محترما.

في السجن التقيت كاتب المقال . لم أبتسم وأنا أساله :

- أنت تدري بأني لست خطرا ... فكيف أقفز بهذه السرعة الى خطوط المواجهة ؟

أيضا هو لم يبتسم . قال :

- حاول أن تفهمني

وصمت لثوان . على وجهه .

- هم اعتقلوني .. تعرضت لعملية تعذيب وحشي .. أنظر الى أصابعي :

نظرت يده اليمنى بظفر واحد . أرتجف جسدي .

يصرون على أخذ أعترافات ..

قلت لنفسي

" أذن فأنا كبش الفداء "[1]

([1]) الحبل ، إسماعيل فهد إسماعيل ، ص 36 .

فقد جر البطل الى ميدان ليس ميدانه حين أعترف عليه أحد السياسيين أعتباطا ليتخلص من التعذيب ، عندها تصور أن مساره الصحيح الذي كان يمارسه في حياته كان خطأ .

ويبدو أن هناك اغترابا قديما عاشه البطل في طفولته كانت ردة الفعل عليه وقتها هو سرقته لحدوة حصان رفض والده أن يشتريها له ، والربط بين السرقة في الطفولة والسرقة الآن مقصود للأشارة الى سلسلة التضادات التي عاشها فضلا عن أن تجربة الأعتقال قد أثارت في نفس البطل جذور الأغتراب التي نمت في داخله عند طفولته ، العلاقة الضدية التي أشترك فيها البطل كانت من التأثير بمكان جعلته يبدو ساكنا يعاني الجمود والأحجام عن أتيان أي فعل لأن الاشياء صارت باطله وغير مجدية في نظره ، الى الحد الذي اصبح رهين الحركة الداخلية والصراع الباطني في نفسه المغتربة ، لذا فأنه حين يقوم بالسرقة نجده يركز على حواسه ويجمع كل أمكاناته في تنفيذ هذه السرقات ، وهو بهذا يواجه الواقع المضني بسلوك مريض سرعان ما تتكشف سلبيته له ، حين يعدل عن سرقة أحدى الدور في نهاية الأحداث ، فهو يشعر بضآلته وأنسحاقه أمام قسوة النظم الأجتماعية ، الا انه يتدارك وضعه اخيرا بالتخلي عن عالم المغامرة .

وللعامل الأقتصادي دور مهم في خلق الأغتراب على نحو ما نطالع في شخصية (عبدالله) ، في رواية القربان لغائب طعمة فرمان ، فـ(عبدالله)يعيش علاقات ضدية مع أكثر من عنصر ، بسبب أغترابه عن واقعه ، الذي أدى الى صراعه الداخلي ، فهو يجد صعوبة وعسرا في تعامله مع واقعه المزري من حوله والعوز الذي يعاني منه ، والاحساس بالهوان الذي يتملكه وشعوره بالأذلال يؤلمه ، فضلا عن إحساسه بالذنب الذي لازمه طوال حياته بسبب موت والدته حين ولادته ، لذا كانت الهوة تتسع تدريجيا بين (عبدالله)وبين محيطه وواقعه ، فتكوينه الذهني والنفسي عاجز عن التصدي لكل ما يواجهه ، لأنه شخصية ضعيفة ومنهارة وهو يمتهن الخدمة في مقهى دبش (المستغل) لعماله ومستخدميه ، ويعاني ظروفا معيشيةً صعبة ، وبأزدياد الضغط على (عبدالله)، نراه يتخبط في خضم أغترابه ، ولا يجد

مخرجا سوى الايغال في الاستسلام والتقوقع والانكماش ، والاختباء داخل نفسه ليظل رهينة أزمته :

في المقهى كانت كآبة شيطانية تستولي على عبدالله وتتربع ثقيلة على صدره وتمتصه أمتصاص فم شره لليمونه ، وكانت هذه الكآبة تلح موسوسه في أذنيه كزنبور مزعج فتبدو الأشياء متضخمة مغيضة تمد له لسانها بأزدراء ، وتسد الطريق عليه فلا يشعر بحرية الحركة في المقهى . كل شيء ثقيل عليه ، الحائط المرمم ينفث رائحة الجص في وجهه ، وحباب الماء الجديدة توميئ الى زمن طويل سيقضيه في هذه المقهى السجن ، والسقف المبطن بالقماش الوردي كحلق مفتوح محتقن حلق الشيطان يراقبه من فوق ويقول له لا مفر .. هذه المقهى ستبقى لغيرك[1].

ولعل ظاهرة الأغتراب قد تجاوزت الشخصية المثقفة هذه المرة لتلف عبدالله الشخصية الجاهلة ، لتخلق علاقة ضدية تولدت في نفس عبدالله ضد محيطه غذتها لسلسلة من التضادات التي تعرض لها خلال حياته مما أدى به الى الجنون .

أن مشكلة أبطال الأغتراب تتجسد في القلق الذي يصيب الشخصية ، ومن البديهي أن النظر الى جذور هذه الازمة لا يتم بمعزل عن الواقع التاريخي المعاصر، الذي يتعلق بالواقع السياسي والأقتصادي والأجتماعي المتردي الذي تأثر به المثقف والفرد عموما ، الفرد الذي يشعر بالأغتراب المولد للعلاقات الضدية الداخلية ، لضآلة أمكانياته وعجز قدراته عن خلق التوازن في حياته [2].

([1]) القربان ، فرمان ، ص 107 .

([2]) ينظر ، البطل المعاصر في الرواية المصرية ، أحمد أبراهيم ، ص 325 .

ثانيا : الأحباط

مشكلة نفسية أخرى تصيب الفرد وظاهرة تجتاح العمل الروائي لتخلق تضادا بين الشخصية ومحيطها ، ويتمثل الأحباط في أكتشاف زيف الثوابت أو المعتقدات ، أو الأشياء الظاهرية ، عندها تكون الأنتكاسة فوق مستوى الوعي لتنقلب الموازين والقناعات عند الشخصية المحيطة ، وتنسحب هذه الظاهرة على العمل الروائي كما أنسحبت غيرها من الظواهر الحياتية والواقعية ، فنلمس صورا شتى للشخصية المصابة بالأحباط وتأثيرها في محيطها وتأثير المحيط فيها ، وعلى الرغم من أن المشكلات النفسية تصب في التيار نفسه الا انها بالتأكيد تمتلك فروقا فيما بينها تجعل لكل مشكلة حدودها وأسبابها ونتائجها ، ويبدو أن علم النفس يقترب كثيرا من الأدب لشيوع هذه الظواهر فيه ، وهذا جزء من أرتباط الأدب بالحياة من خلال أحد علومها ، الذي يزيد من واقعية الأدب بعامة والعمل الروائي منه بخاصة ، فقد أزدادت حالات اليأس وفقدان اليقين والثقة بالأشياء ونظام الحياة ، حينما تعرضت الشخصيات الى الأحباط ، وأصبحت مقيدة جراء الخذلان الذي أخذ يعيث خرابا في وعيها ، ويسكنها في أجواء اللاجدوى وفقدان الثقة بالناس والأشياء ولم يعد أمام هذه الشخصيات سوى صب اللعنات والعودة الى الذات لتتصارع معها ولتمارس التدمير الذاتي جراء الخذلان في الحياة العاطفية او الاقتصادية أو الأجتماعية عموما ، ويبدو أن هذا راجع الى ان الفعل الانساني ، الذي يقوم به الفرد هو فعل لا يختار فيه الأنسان ما يريد ، ولا يختار حياته بأرادته ، بل هو مسير ، تيسره المصادفة ، والظروف والتحديات والضغوط ، لذا فأن الحدث في العمل الروائي هو عبارة عن مواقف نفسية تسير في خطوط متوازية ، تتحدد بالتركيز على التفصيلات وتأثير هذه المواقف في الشخصيات وبالعكس .

والأحباط هو رد فعل لحياة ضاعت أو أكتشاف لأوجه خفية ، أو لشخصية الغيت أو لواقع مصادر أو لتغير في نظام حياتي معين .

والرواية العراقية قدمت نماذج متعددة لشخصيات محبطة ، مثلت تأثير ضغوط الحياة ومشاكلاتها ، وعكست حجم تأثير هذه الضغوط والمؤثرات في هذه الشخصيات ، على نحو ما قدم لنا فؤاد التكرلي في روايته (الرجع البعيد)، حين قدم لنا أبطاله

وهم يعيشون في حياة معتمة ويعانون من الأحساس بالحزن والقلق والسوداوية التي تلفهم وتلونهم بألوانها ومنهم(مدحت)الذي يبدو ضحية من ضحايا الأحباط ، يشعر بذلك الأحساس السلبي تجاه نفسه والناس والأشياء . ويبدو أن شخصية(مدحت)قد عبرت عن قمة حالات الأحباط حين صعدت أزمته الى السطح، فاذا ما تجاوزنا أحباطه الأزلي كونه يعيش في مجتمع : اللا استقرار ، اللامستقبل، أنه المجتمع العراقي سنة 1962)[1]، نجد أزمته على الصعيد الشخصي حين خذلته حكاية غرامه بزواجه من منيرة واكتشافه لعدم عذريتها ليتسلل من غرفة عرسه هاربا من الصدمة والمفاجأة ، ويختار العيش مع زوج أخته المدمن على الكحول في مكان حقير عند أحدى العوائل .

مدحت كان يهيئ لزواجه ولحياته الجديدة مع منيرة حبيبته ، وكل شيء يشي بالسعادة وفجأة يحدث الحد الفاصل لهذه الترتيبات ، لحظة المفاجأة والخذلان والخيبة، حين التقى بزوجته جسديا لأول مرة ، وهو يصدم بعنف صدمة تنهار على إثرها كل أحلامه وأمانيه ليعيش تمزقا روحيا وصراعا نفسيا فيعجز عن التفكير السليم بمشكلته إذ أن شخصيته لم تكن لتستطيع على ما يبدو أن تتقبل مثل هذا الشرخ أو الكسر في القيم الأجتماعية والمثالية المغروسة في دواخلنا ولاحتى بالانفتاح لمحاولة فهم الجانب المقابل [2]:

" أنها ليست عذراء ، فهي فاقدة للشرف ويجب ان تعاقب على يديه او على يد أي متبرع أخر من العائلة "[3].

صراع مدحت الداخلي ناشئ عن مؤثر أجتماعي ، لأنه محكوم أساسا به ، فجاء التأثر صميمياً ، قلب كل موازين مدحت وفلسفاته ، فأول ردة فعل لأحباطه ، كان هربه من زوجته ليعيش مع (حسين) على الرغم من أعتراض (مدحت) سابقا على طريقته في

([1]) الرجع البعيد ، التكرلي ، ص 117 .

([2]) ينظر ، الرواية العراقية وتأثير الرواية الأمريكية فيها،د. نجم عبدالله كاظم ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط1، 1987 ، ص95 .

([3]) الرجع البعيد ، التكرلي ، ص 322.

العيش ، مدحت مشتت وممزق ، وثائر ومحبط ، يحاول الأنفلات من العالمين الخارجي والداخلي اللذين عاشهما إلا أنه يتراجع ليغرق في صراعه النفسي، هذا الشد بين الحالتين خلق علاقة ضدية فاعلة وأغنى الصراع الداخلي عنده فتقلب مدحت بين الغضب والحزن والأحباط ، والثورة نوع في أنفعالاته وأعطى صورة للعلاقة الضدية معبرة عن تضاده وصراعه: **"أين هو على سبيل المثال ؟ محاصر ، مطرود منهوك القوى ، مهدد، مطارد ، وكل هذا لا يجدي .**

لا يمكن أن يجدي ، كان قلبه ضيقا وهو يحس بتيارات غامضة ، تعمل في داخله ، في جهة من نفسه ، ولا يدله عليها.

في البدء ، هو هارب منها ، هذه هي الحقيقة الأولى . هارب من الجسم النحيل المتلاين حول جسمه، من حرارتها ، من حبه لها ، هارب من حبيبته . من زوجته . من القبلات والأبتسامات ومن نظرات الحب ، من سعادته[1] ".

أن طرفي العلاقة الضدية التي ربطت بين (مدحت) وذاته نتيجة أحباطه ، لم يكونا متوازنين نتيجة ترجح كفة أحدهما على الآخر ، فذات (مدحت) المحبطة كانت أكثر تأثيرا وفاعلية لذا فقد جرت (مدحت) ولوقت طويل الى قاعها وهذا ما أظهرته أنفعالاته العنيفة والمتنوعة ، حين قصرت مقدرة (مدحت) عن التخلص والانفلات من خضم هذه الازمة الى أن تمخض هذا الصراع عن حال أيجابي تمثل في أستعادته لتوازنه وتفكيره ليقرر العودة الى زوجته . أما (أدهم) بطل رواية (ممر الى الليل) لأبتسام عبدالله فقد كان اقل حدة في تعامله مع تضاده الداخلي الذي عاشه إثر إحباطه فلم يتعرض لمؤثر عنيف ، الا انه حاول الالتحام بالمجتمع مرة ثانية بعد أن اعتزل الناس لوقت طويل ، حتى أننا نلمس حالته وكأنها صورة من صور الحرمان والعزلة في محاولته الألتحام والأنسجام والتلاؤم والعودة الى تيار الحياة الخصب الذي يموج بالحركة ، تمثلت محاولة (أدهم) في أهتمامه بفتاة شابة جاءت حديثا للعمل معه في الدائرة نفسها عندها تفتحت رغبات (أدهم) من جديد بعد أن خبت داخل نفسه، أوحى لنفسه أن بامكانه ان يعيد امجاد حياته الماضية التي قضاها مع عدة علاقات نسائية

([1]) الرجع البعيد ، التكرلي ، ص 363.

لم تثمر شيئا سوى الوحدة والعزلة ، أدهم حاول التخلص من صراعه الذي يتردد صداه داخل نفسه بمحاولته تلك الا أنه يحبط حين تصده الفتاة وتتكشف له حقيقة الفرق بينه وبينها فهي فتاة طموحة عالية الثقافة وشابة وتبحث عمن يعادلها ، فهي في السابعة والعشرين ، وأدهم في الخمسين ، أذن فالعلاقة الضدية نتيجة عدم التكافؤ بين الواقع والرغبة مما يشعر بوجود خلل في وعي وأدراك أدهم الذي يعاني الجفاف في حياته وتعطش الى وجود الأحباء :

"يفلم في إشعال سيكارة أخرى بعد أن أنطفأ عود الكبريت ثلاث مرات بفعل أهتزاز يده . ينفث دخانها يتذكر انه تجاوز الخمسين وأنها في السابعة والعشرين ، أنه يطوي أوراقه ، بعد ان انتهت الحياة منه ، وهي تفتحها دون عجل ، الخدر يزحف الى قدمه . تسقط ذراعه على المنضدة ، ينتابه الغضب والخوف ، يلجأ الى الصمت .....) يدخن سيجارة أخرى . لابد وانه يبدو تافها وغبيا أمامها ، انها لا تقدر على التطلع اليه . تستدير عنه في جلستها خالية البال منه ، لا لهفة في عينيها ولا لفته أنتباه وعلاقات العمل التلقائية تتبدد هنا ، أحساس حاد بالمهانة يجتاحه . كان غبيا مرة أخرى . حاجز مخيف بينهما لا يمكنه تجاوزه أو القفز من فوقه الى الجنة الخضراء الموعودة ، تتهدل كتفاه وكأنه أصبح فجأة ، يحمل ثقل كل أعوامه"[1].

أدهم يتضاد خارجيا وداخليا ، طريقة عيشه وعزلته تمثل تضاده الخارجي ، ومحاولته العودة الى الناس والمجتمع من خلال علاقته برشا تمثل صراعه الداخلي إثر إحباطه ، نتيجة احتواء داخله على الأمل ثم الفشل[2]. الذي أدى به الى السقوط فريسة للمرض ، فعاطفة أدهم التي كان يسيرها فيما مضى ، سيرته بدورها الأن ووجهته الا أن توجيهها كان خاطئا . ويبدو أن هذه العاطفة هي التي تعاني الخلل لأن (أدهم) لم ينجح في أن يحيا حياة طبيعية مع أية أمرأة ، وعلى الرغم من بساطة المؤثر وبديهيته

([1]) ممر الى الليل ، أبتسام عبدالله ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، 1988،ط1، ص 123 ، ص 124 .

([2]) ينظر ، في الايقاع الروائي ، احمد الزعبي ، ص 80.

الا أن العلاقة الضدية التي تولدت كانت مؤثرة لدرجة عجز معها عن التخلص منها فسقط طريح الفراش وهو يعاني مرضاً خطيراً .

أما بطل رواية (الأغتيال والغضب) لموفق خضر فكان أحباطه نتيجة السطحية والتردد ، فيمكن أن نلمس قمة الأحباط في شخصية (سمير)، الذي عانى طويلا من أحباطات نفسية مريرة وتوترات داخلية لاحد لها[1] مثلت صراعه الداخلي العنيف الذي يعاني منه بين ضميره الفارغ وتطلعاته الذاتية الزائفة ، بين الماضي والحاضر ، بين الرحمن والشيطان[2]، وبسبب حالة التضاد التي عاشها دائما مع نفسه ومع الناس نتيجة الفشل في الأنتماء الحقيقي الى طبقته المسحوقة والفشل أيضا في انتمائه الى الطبقة البرجوازية التي تمثلت في هناء وطبقتها ، هذا الفشل قاده الى الأحباط الذي جعله يقف أمام أنهياره وحيدا مع نفسه وكان مدعاة لتضخم حساسيته ليتجسد هذا الأحباط على شكل سقوط نفسي مرير عندها تنشطر شخصيته الى شخصيتين متضادتين متناقضتين تصل حدة الصراع بينهما الى حد المبارزة والقتل الذي أوهم(سمير) نفسه به :

"وقبل إن أقرر – بقناعة – عدم جدوى المقاومة حاولت مرارا وطيلة أيام مثخنة بالعذاب ان اوصي لنفسي أنه مجرد خيال لأنسان ، أو أنه رجل انفصامي ، أو أنه شبح يتراءَ لي ليس الا وكنت استطيع عندئذ وبتلك القناعة أن أفي بنفسي الى الأطمئنان الراحة والرضى الا انه كان واقعا لا محيد عنه . وفي ساعة لعينة قررت أن أستسلم اليه ويبدو أنه ادرك لحظة القرار تلك فمضى الى غايته ليستكمل معي أبعادها .. كنت أنا من بين هذه الملايين من الناس ، الانسان الذي وقع عليه اختياره لتنفيذ المهمة دون غيري .. يتبعني متمهلا هذه المرة

([1]) ينظر ، دراسة في روايتي موفق خضر المدينة تحتضن الرجال والاغتيال والغضب ، رزاق إبراهيم الحسن ، مقالة مجلة الأقلام ، العدد 12،1977،ص 75.

([2]) ينظر الواقعية الاجتماعية النقدية في القصة العراقية ، مؤيد الطلال ، ص 125.

فقد عرف أنني أمسك هذه اللحظات متمهلا متأنيا لأودع الى الابد الجزء الاول من حياتي لكي أضع بين يديه مصير ما تبقى منها" [1].

ويبدو أن التضاد الداخلي الذي عاشه سمير نابع بالأساس من مشكلة الحرية التي عانى منها طويلا لأن شخصيته من الشخصيات القلقة المرتبكة والتي لا يجعل الروائي لها مثلا أعلى يمكن أن يدفع تصرفاتها ويجعلها شرعية . إذ يقول الدكتور عمر الطالب (أن الجانب الأهم من أفعال الشخصيات يتركز في قضية الحرية فأذا كانت الشخصيات قلقة تبحث عن مصيرها خلال رؤى الماضي أو في أحلام المستقبل فأنها لا تجد أمامها مثلا عليا تدفع تصرفاتها وتجعلها شرعية . بل هي تبرر أعمالها ومن ثم فهي مضطرة لأن تكون حرة [2]).

وتسير هذه الشخصيات على وفق ما تتنازع فيه من سمو وسقوط ، وغالبا ما تتعرض هذه الشخصيات الى التمزق الذي يكون نتيجة بديهية لما تعانيه من تذبذب وهذا ما صوره لنا سمير بالضبط ، القلق ، والتذبذب فالاحباط ثم الصراع النفسي ، هذا التوتر كان باطنيا وغير مرئي عمليا .

ففورة النفس والمبادئ ودور صديقه دفعاه الى أن يقود صراعا شديدا التقطنا منه المبارزة الوهمية التي أنتهت بقتل سمير الشخصية الثانية بعد أن توضح له أن حياته عبارة عن مجموعة من الخيبات المتواصلة وأن سعادته وأمانيه زائفة يبدو أن الأحباط الناتج عن مؤثر سياسي أبلغ في التأثير نسبيا من الأحباطات الناتجة عن مؤثرات أخرى ، لأن ردات الفعل تبدو أكبر ،وهذا يقودنا الى مسألة الحرية وأهيمتها في التأثير في أوضاع وحالات الشخصية في العمل الروائي .

ثالثا : – التأزم

لقد أتيح للرواية فرصة كبيرة في التعبير عن أضخم مآسي الأنسان لأنه موجود من أول الرواية الى آخرها فهي تتبع كل خطواته وتصف كل أفعاله وتتعرض لأغلب مشاكلاته ، وهو يبدو فها كائنا تربطه بالعالم علاقات متشابكة ومعقدة وقد جاءت

([1]) الاغتيال والغضب ، موفق خضر ،ص124

([2]) ينظر ، الاتجاه الواقعي في الرواية العراقية ، عمر الطالب ،ص 143.

الرواية العربية متبنية لهذه المآسي التي تصيب الأنسان العربي ، وأخذت تجسد تجسيدا حيا تأزم الفرد ونتائج هذا التأزم الذي يصيب الفرد المثقف في المجتمعات المتخلفة عموما ، والتي يتأزم فيها أجيال كاملة نتيجة وجود العقبات والمعوقات أمام المثاليات والمبادئ والتطلع .

" والرواية العراقية لم تختر بطلا مثقفا الا وجعلته مأزوما "[1]. لأن هذه الشخصيات غالبا ما تكون محكومة بمسارات ملتوية ومعقدة ، فتتولد الشخصيات المتازمة والتي تستمد تأزمها من أزمة الروائي نفسه الذي يدرك الخراب النفسي تمام الأدراك فيحوله الى سبب مؤثر في معايشة التضاد والعلاقات الضدية .

والبيئة العراقية مثقلة بالأحداث والقلق وتموج بالأضطراب والحركة نتيجة تعدد الحكومات وتوالي القوى الاستعمارية لحقب طويلة ، فجاءت الشخصيات قلقة ومرتبكة ومتأزمة ، تحاول أن تجد الحلول . ولعل في أبطال الربيعي امثلة عن الشخصيات المتأزمة التي عكست أزمة المثقف العربي الذي يلتصق بهموم البيئة الأجتماعية ويعبر عن المأساة الحادة التي مزقته ، يطالعنا بطل رواية الوشم 0 (كريم الناصري) الذي يمثل الانموذج المفضل لدى الربيعي وهو البطل المتأزم المتضاد مع واقعه ، يخرج كريم الناصري من المعتقل ، بعد أعترافه على زملائه مسجلا براءته من الحزب ، وهو يبدو في قمة تأزمه حين تعذر عليه الاستمرار ومعايشة الواقع الجديد . واقع حاصره بالخوف وفرض عليه السقوط سياسيا ، وهو بهذا يمثل التيار الأنهزامي الذي ساد الروايات العراقية في فترة ما بعد نكسة حزيران[2]، (كريم الناصري) يعاني صعوبة في الأندماج مرة ثانية في المجتمع – بعد خروجه من السجن – فقد دخله بطلا وخرج منه خائنا ، فكان هذا نقطة تحول في حياته أدت الى تأزمه ، فكريم تضاد مع واقعه الجديد لحساسيته تجاه ما مارسه ضد زملائه وضد نفسه ، لهذا فهو غير مستقر سطحي في علاقاته وفي تعامله ساخرا من كل شيء يمارس الأمور بعشوائية ، وهو لايجد صعوبة

([1]) ينظر ، جدلية القراءة الثالثة ، دراسة في رواية الراووق ، ياسين النصير ، مجلة الأقلام ، مقالة ، العدد 3 آذار ، 1988، ص 27.

([2]) الواقعية الاجتماعية النقدية في القصة العراقية ، مؤيد الطلال ، ص 113.

في الأندماج بالمجتمع فحسب بل هو يرفض هذا الاندماج ، ويعود ذلك الى الأحساس بالذنب والضعف ، والواقع أن صراع كريم الناصري الداخلي كان صراعا ضد الذات أكثر منه صراعا تجاه مؤثر خارجي ، الا أنه كان صراعا غير مكثف بالدرجة التي تتيح له ايجاد حل إذ أن سلسلة الهزائم التي نزلت به جعلته يهرب حتى من محاولة أنهاء ازمته،وجعلته مجردا من القناعات :

"لقد أردت أن أنتشل روحي النادبة المسحوقة التي لا تعرف السلام ، لست نبيا ولكنني أنسان أعتيادي لطخته الصفوف بشعاراتها وتهريجها وقادته الى عهرها، فهدرت صحتي وشبابي ، واليوم أحاول أن أجد الأمان ، هذا كل شيء ، ولكن كيف" ؟[1]

أن أزمة كريم الناصري تمثل أزمة الأنتماء الصحيح ، وأزمة القدرة على أعطاء الجواب والتبرير[2]، وهو ينتمي الى فئة قلقة لا تعرف هويتها الحقيقية ، لذا حين خرج كريم الى المجتمع ، كان يتضاد مع كل عناصر مجتمعه مع مريم عبدالله، ومع يسرى وحتى مع أصدقائه .

أن التأزم الذي يصيب الشخصية ينبع من أساس واحد هو الضعف والحساسية تجاه العقبات ، وتمثل شخصية (عبدالكريم) في رواية الرجع البعيد ، شخصية متأزمة أخرى ، عاشت تضادا داخليا تجاه الناس والأشياء ، لأنها عالية الحساسية وكانت على مدار أحداث الرواية تعيش علاقة ضدية داخلية نتجت عن هذا التأزم ، ضد ذاتها اولا ، وضد واقعها الذي تعيش فيه ثانيا ، ويبدو أن محاولات عبدالكريم للافلات من حصاره وتضاده لم تنجح فقد تعرض لسلسلة من التضادات أسهمت في خلق تأزمه ، فكانت عقبات الحياة الداخلية أصعب وأعتى من عقبات الحياة الخارجية [3]، لأن أقدار الحياة مرت عليه – موت صديقه فؤاد بين بديه– فكانت ردة فعله الداخلية أقوى وأعلى

([1]) الوشم ، عبدالرحمن الربيعي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ،ط،1978 ، ص 53.

([2]) البطل المتضاد ، دراسة في رواية الأنهار ،د. أفنان القاسم ، مقالة مجلة الاعلام ، العدد 3،4 ، 1982 ، ص 49 .

([3]) ينظر ، فن الرواية عند يوسف السباعي ، نبيل راغب ، القاهرة ،ص 38.

من الحدث الخارجي (موت صديقه) ، فضلا عن مؤثر آخر هو حبه لمنيرة التي تزوجت من أخيه مما زاد في تأزمه والمه وضياعه فضلا عن طبيعته الحساسة ، فالازمة التي يعيشها عبدالكريم أكبر من مقدرته ، فهو يسقط منهارا إثر موت فؤاد ليسحب وراء هذا السقوط أياما من المرض ترك فيها الدراسة ، وهذه الأزمة هي التي مثلت أنهياره وتضاده مع واقعه ، حتى تحول عبدالكريم الى شخصية سلبية تواجه الواقع بسلوك مريض ، فحركة الحياة وأرادتها تشل حين يموت فؤاد فيبقى عبدالكريم نهباً للتأزم النفسي ، ليس بفعل حركة قاهرة وإنما عن طريق صدمة نفسية ناجمة عن المصادقة [1]، فقد وقع الحدث أمام عينيه ثم تردد صداه داخل نفسه وكلما أحتدم الصراع داخل نفس عبدالكريم ازدادت سوداويته:

"لاشيء يستحق العناء لأن كل شيء مزيف . وأخذت نفسي على أن تعتاد بأني شخص بين بلايين عديدة من البشر إن لم يفضلوني كلهم فلا محيص من أن يتقدمني في درجات الفكر والأتزان وقوة الأرادة عدة مئات من الملايين منهم"[2]. الحركة الداخلية لعبدالكريم كانت تتحرك بأنتظام وسرعة نحو الأيغال في التأزم ، ولم تكن هناك محاولة منه للخلاص بل أنه يحاول التشبث بواحد من أسباب أزمته، منيرة زوجة أخيه المتوفى حين يعرض عليها حبه بعد وفاة أخيه الا إنها لاتستجيب له : –

"كنت خائفا من كل شيء، منها ومن العالم ومن فعل الحياة ، وكانت هي، رغم ذلك ملجئي الوحيد . سرت ببطء شديد ممسكا بالمجر الخشبي . لقد تجمعت في يدها مفاتيح نفسي هلاكي ونجاتي ، ربما كان الصمت تاما ، يلفني

([1]) ينظر ،دراسات في القصة القصيرة والرواية ، تحرير أحمد خلف ، عائد خصباك ،دار الشؤون الثقافية العامة ، كتاب الاقلام ، ص 230 .

([2]) الرجع البعيد ، التكرلي ،ص 154.

وأنا أدب مترددا نحوها . لن تسد الباب بوجهي ، لأني لا أطلب منها شيئا . سأقف على حافة عالمها ، أتساءل ، أتساءل فقط"[1].

فالأزمة تزداد بازدياد الفجوة والعلاقة الضدية الداخلية تثبت وتأخذ دورها لا سيما عندما مارس نوعا من العبثية واللاجدوى بالألتجاء الى (منيرة) التي كانت تعاني بدورها من أزمة ، ليست أقل حدة من أزمته ، ولم يحاول(كريم) أن يتوجه نحو حل عكس شخصية (حازم) المتأزمة في رواية (نافذة بسعة الحلم) لعبدالخالق الركابي ، الذي كان يعيش أزمة أنتكاسة الخامس من حزيران التي كانت فعالة في التأثير عليه حتى أنسحبت تلك الأزمة على حياته الزوجية التي لم يمارسها بشكل طبيعي حين هرب من غرفة زفافه الى أبنة عمه (جميلة) وبقي لمدة طويلة 0(أربع سنوات)، يعاني أزمة نفسية حادة جراء مقتل صديقه في الحرب أمامه ، تأزم (حازم) تمثل في رؤيته لتدفق تيار الحياة دون أعتبار لتضحية ، وأحساسه بالعبثية والجدوى في أشتراكهم بحرب كانوا يدركون منذ البداية بأنها خاسرة من طريقة الاعداد والتهيؤ لها فقد تراكمت في نفسه تلك الالام التي عايشها مع رفاقه لتطفو هذه الالام على السطح يوم زفافه . عندها يعجز (حازم) عن معايشة تلك الليلة بشكل طبيعي:

"ما الذي ربط موت (مصطفى غريب) ، بليلة زفافي ؟ أما كان الأولى بي أن ادع تلك الليلة تمر بسلام دون اثارة شجون ظننت بأنني قد دفنتها هناك في أرض الجبهة الصامتة عقب تسريحي ؟ .. وأسئلة عديدة أخرى طرحتها على نفسي طول السنوات الأربع التي أعقبت زواجي بجميلة ، كنت مرة اجيب بـ (نعم)وأخرى بـ(لا) وثالثة لا أجد غير الصمت . لم اكتشف السر آنذاك ، لقد تلبستني ، حالة غريبة ، كادت تضعني على حافة هاوية الجنون : كان وميض عيني (مصطفى غريب) البريئتين لدرجة لا تطاق ، يلوم لعيني أني ذهبت ، بل وتحول النهار الى عذاب يتدنى بتلك الظهيرة التي مات فيها ، وتحول الليل الى حلم كابوسي مديد مثل صرخة تردد أصداؤها بين الف جبل "[2].

([1]) الرجع البعيد ، التكرلي ، ص 346.

([2]) نافذة بسعة الحلم ، الركابي ، ص 160 ،ص 161.

وعلى الرغم من وعي (حازم) لتضاده وأدراكه لتأزمه الا أنه جابه ذلك بموقف هروبي عزز من هذا التأزم والصراع النفسي حين بقي أربع سنوات هاجرا زوجته وكأنه يريد أن يوقف عجلة الحياة وبديهياتها من أجل لفت الأنظار الى التضحيات التي قدمها رفاقه ، فعاش حازم وراء قتامة عالمه الذي صنعه تأزمه ومن ثم تضاده، حين أنفصل حازم عن أهله ومحيطه بعالم يموج ويصخب بالآلام النفسية ممثلا لتضاد طويل ومحض أشترك فيه (حازم) مع أهله .

أن التأزم الذي وجد حازم نفسه فيه فجأة قد فرض عليه من الخارج ولم يكن له يد في خلق هذا التأزم اذ أن حازم يتمتع بوعي مناسب ووطنية عالية يدلنا عليها حبة لأرضه وتفانيه في العناية بها ، ثم مشاركته في الحرب ، الا أنه يصدم هو ورفاقه بالتخاذل الذي رأوه وعاشوه في الأستعداد للحرب ، ويبلغ (حازم) قمة تأزمه حين يفقد رؤية مستقبله لأنه أراد " أن يسير دون أن يتقدم وبالتالي يخطو ووجهه الى الخلف لأنه أمعن النظر في الماضي [1]، فلم يتمكن من أبعاد عينيه عن خذلان الماضي وآلامه التي عاشها أيام الحرب، الى أن يبدأ التحول ويتخلص من أزمته حين يتلاشى مسبب الأزمة ، فنكسة حزيران التي ولدت التضاد والصراع يتلاشى دورها في صراع حازم النفسي ، بعد أنتصار العرب في حرب 73 ، على الرغم من فقد حازم لساقيه ، لنعرف أخيرا أنه ينتظر مولودا من زوجته جميلة والأمل في نفسه قد بذر بذوره .

أن حالات التأزم العميقة التي تطرحها الاعمال الروائية تقدم لنا نماذج أنسانية داخل البناء الحياتي وهي تستمد واقعيتها من تمثيلها للظواهر الحياتية ، وتجسيدها للمشاكل والأزمات ،ومنها ظاهرة التأزم وأبعادها التي جعلت من هذه النماذج تعيش علاقات ضدية داخلية ، أسهمت في تعزيز شعورها بالأستلاب الحياتي جراء هذه الأزمات التي تنوعت مسبباتها ونتائجها وتنوعت معها طرائق التعامل معها .

رابعا :- الحصار النفسي

يتمثل الحصار النفسي بقيود تمنع الفرد من التعبير عن رغباته وذاته وأفكاره بحيث تعجز الشخصية عن أن تحيا لأنها مراقبة ومحاصرة وممنوعة من ممارسة

([1]) ينظر ، الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة ، سعد عبدالعزيز ، ص 158 .

قناعاتها لتحيا بقناعات الأخرين التي غالبا ما تكون مرفوضة لخوائها وسطحيتها ، فضلا عن عيشها في أجواء خانقة ، ومرهقة ولا تملك حريتها أزاء القناعات الزائفة، لذا فهي تحياها على الرغم منها وتمارس أفعالا مفروضة .

والعمل الروائي يقدم لنا هذه النماذج التي تعاني حصاراً نفسياً بتركيز واضح لأن هذه المشكلة هي من أفرازات الحضارة الجديدة ، وهي من أبلغ المؤثرات في خلق العلاقات الضدية الداخلية ، وفيها يتشخص وعي الشخصية وأدراكها لأن الحصار النفسي يتطلب أحساسا عاليا لأظهاره من الداخل ولزيادة الشعور به فالشخصية المحاصرة نفسيا تعيش في سجن نفسي ، مكبلة بقيود تفرض من قبل الأخرين، تعيش في عالم مفروضة فيه الأشياء ويبدو أن تيار الوعي يؤدي قمة أدواره في التعبير عن هذه الظاهرة ،لأن تيار الوعي هو وسيلة أبرازها ، ولأن الحصار النفسي لا قيمة له دون كشفه عن طريق تيار الوعي الذي هو تسجيل لأصداء الأحداث في دواخل الشخصيات .

وتبدو الشخصية المحاصرة ضعيفة وهو ما أعطى الفرصة للعلاقة الضدية الداخلية أن تمارس دورها بفاعلية كبيرة ، لذا تبدو أدوار هذه الشخصيات ضئيلة قياسا الى تأثير الحصار النفسي وفاعليته فيها .

والروائي العراقي أسماعيل فهد أسماعيل قد وفق لدرجة كبيرة في رصد هذه الظاهرة عند شخصياته ، ففي روايته (خطوة في الحلم) يطالعنا البطل في قمة حصاره النفسي وهو يعيش أحداث يوم واحد يسردها أسماعيل بتقنية عالية أتاحت لنا متابعة التضادات التي أشترك فيها البطل تجاه عناصر عدة .

البطل يعاني أزمة متعددة الجوانب : أزمة في علاقته الزوجية ، وأزمة في علاقته العاطفية بأمرأة اخرى ،هذا التضاد الذي نلمسه في هاتين العلاقتين أفرزه موقف الدعوة الى حفل ساهر هو وزوجته وصديق لهما مع زوجته هو الأخر ، فتصرفات الزوجة مع عقد مقارنات ذهنية للبطل يتصورها في مواقف متباينة تكشف عن هذه الشخصية وحصارها النفسي من خلال الأجواء المفروضة عليها ، لذا عليها أن تسير وفق

قناعات هي غير مؤمنة بها ولا ترغب بها ، فالبطل يمارس الرقص مع زوجته رغما عنه فيصرح في تداعياته أنه يرقص معها ميكانيكيا :

- "وهي تعزز من احتضانها لي عادت تقرب فمها من أذني لتوشوشني :

- متخلف.

لزوجي ذوقها الخاص في تصنيف الرجال، وفي أختيارهم، صديقي الفنان التشكيلي هو المستهدف هذه المرة .

- فلام !

- أضافت بأشمئزاز بين وهي تشير براسها ناحية صديقي .

- اليس كذلك ؟

لم تكن لدي – في حينها – أيما رغبة للإدلاء بأيمارد.

كيف يمنع نفسه حق أن يمنع زوجته عن ممارسة حق من حقوقها الأنسانية ؟

ليس أمامي سوى التشبث بأهداب الصمت . بأمكاني أن اراقصها ميكانيكيا .. لكن لن اشاركها الحديث ميكانيكيا مما قد يترتب عليه .. وأستطردت دون أن تشير برأسها اليه :

كأنه لا يعيش في الربع الأخير للقرن العشرين" [1].

هذه الشخصية تبدو ساخرة مما حولها من الناس والأشياء وحتى من نفسها ، فقد فرضت عليها الدعوة ، ثم فرض عليها الرقص ، ثم فرض عليها أن تتحمل ميوعة الزوجة ومجونها تحت ستار العصرية والتحضر ، ثم نرى هذه الشخصية تشعر بمراقبة رجال الأمن في القاعة لتشترك في تضاد أخر ، هذه الأنتقالات من تضاد الى أخر تفاعلت معه الشخصية بشكل مؤثر وكبير ، ثم نراها تتبادل أجواء التضاد بأنتقالة أخرى مع أشخاص أخرين كزميله الرسام وحبيبته من خلال تداعياته، حتى تتشكل لنا الأحداث على هيئة شبكة من التضادات المتبادلة من مثل حواره مع صديقه :

([1]) خطوة في الحلم ، إسماعيل فهد إسماعيل ، ص 37، ص 38.

"حدثني صديق لي مرة ... قال :

- **أحسدك على زوجتك !**
- **لماذا ؟**
- **لأسباب كثيرة .**
- **على رأسها ؟**
- **أنها تملك حسا أجتماعيا عصريا .**
- **وماذا ايضا ؟**
- **مثقفة .**
- **حسنا ؟**
- **ذوقها سليم .**
- **وبعد ؟**

ولما صمت قلت :

- **وجميلة .**
- **بالضبط .**
- **وجذابة لحد الأثارة .**
- **أ.. أ..**
- **الدم ينطعن في أذنيه ، فأكمل :**
- **وبالأضافة الى معلوماتك أضيف ، هي أستاذة في ممارسة فن الحب .**
- **الدم يتدفق الى خديه .**
- **ياعزيزي ..**

صوتي مشحون مشحون بصدق داخلي :

--- أنا على أستعداد تام للتنازل لك عنها"[1].

([1]) خطوة في الحلم ، إسماعيل فهد إسماعيل ، ص 40،ص 41.

وتبدو الحالة النفسية للبطل في قمة تأثرها الا أنه يواجه مواقف التضاد بسخرية توحي بسيطرته ولا مبالاته في حين أن ردات الفعل للشخصية تثبت عكس ذلك تماما ، فكل مواجهاتها وردات فعلها هي تعبيرات عن حصارها النفسي وقيودها، لأنها غير قادرة على الأفلات ، من هذا القيد الذي يحاصرها ويكبلها وهذا الحصار ينسحب الى ما قبل وقت الدعوة الى الأساس في علاقته بزوجته :

الرثاء والأشمئزاز شعوران يتناوبان وصفي النفس بين الحين والحين لدى تعاملي .. بشكل موضوعي مع علاقتي التاريخية بزوجتي ، وأنا اناقشها – ذات مرة – في أمر علاقتها بالاخر قالت لي :

- **"كل أنسان معرض للخطأ ..**

ثم أضافت

--- وأنا أخطأت .

لم أقل لها :

- **أنت تعودين إلى ارتكاب الخطأ نفسه للمرة الـ...**
- **في الحين الذي وصلني فيه صوتها :**
- **لو أنك كنت مكاني !**
- **تساءلت مندهشا ، فأوضحت :**
- **لو أنك أخطأت ووقعت في حب أمرأة أخرى فهل تتوقع مني إلا أغفر لك"** [1].

ثم يمتد هذا القيد ليشمل الحاضر والمستقبل في علاقة ربطت البطل وأمرأة أخرى التقاها في احدى سفراته ليعيش معها قصة حب تتميز بالتفرد ، الا انه أيضا كان محاصرا في علاقته هذه كونه رجلا متزوجا وظروف التقائه بها كانت غير ثابتة ، فقد أرتكز التضاد في الماضي والحاضر والمستقبل المفروض ، فأخذ يدور في دائرة التضاد يتفاعل معها الى الحد الذي جعله يترك القاعة أخيرا تاركا معه زوجته والمدعوين لتظهر هذه الحركة أنفلاته وتحرره من قيوده [2].

([1]) المصدر نفسه ، ص 64.

([2]) ينظر ، خطوة في الحلم ، ص 155،ص 156.

أن الشد الذي مارسته الشخصية نتيجة الحصار النفسي وبنقاط وأماكن مختلفة، خلقت علاقات ضدية داخلية غنية بتأثيرها أحالت حياة هذه الشخصية الى عبء ثقيل رزح تحت ثقله طويلا قبل أن يتحرر أخيرا ليتحول الشد في النهاية لصالح الشخصية .

وأذا كانت شخصية البطل في هذه الرواية قد تخلصت من قيودها وتحررت الا أن شخصية ماجد في رواية (ظلال عل النفاذة) لغائب طعمة فرمان أختلفت في النتيجة النهائية لأن تأثير الحصار النفسي في ماجد أختلف وأختلفت نتائجه، بقي ماجد رهين حصاره النفسي دون أن يبذل أنى محاولة لتحقيق تقدم ما ، داخله يموج بشتى الصراعات التي خلفتها في نفسه عدة مؤثرات منها قسوة الواقع الخارجي الذي نستشف تأثيره حين يطلق لأفكاره العنان وحين نجد عالمه الداخلي يغلفه ذلك الأحساس بالقيود والمحاصرة.

ماجد عاش حياة مشبعة بالتضادات ، في طفولته ، وفي شبابه في أثناء عمله النضالي ، وفي سفره ، ثم بعد عودته من سفره الذي فجر تضاده وأنهضه من كوامنه ، لأنه عاد بشهادة لم تغنه ، وليجد زوجة أخيه الغريبة في البيت فيرتبط معها بعلاقة مبهمة يبدو أنها كانت السبب في هروبها من البيت .

تتكشف أمام ناظري ماجد كل الأشياء ، فشله في حياته العملية ، شعوره بالذنب لهرب زوجة أخيه ، وضع أهله المرتبك ، حينها يشعر بتقصيره وعدم فاعليته في أسرته وأهتمامه بالسطحيات فأخذت هذه المؤثرات يتردد صداها في نفسه ليعيش حصارا نفسيا خانقا حين دفعه تأزمه الى التقوقع والأنكماش والأختباء داخل نفسه رهين ذلك الحصار النفسي الذي فرض عليه عزلته وعيشه زمنه الداخلي الذي كان عبارة عن تراكمات للتضادات التي تعرض لها ،ثم تجسدت على شكل تلك المطاردة التي أحسها ماجد ، ويبدو أن الشخصية التي تعيش حصارا نفسيا لا تبدأ بالأدراك الحقيقي لواقعها الا عند محاولتها التلخص من أزمتها ، إذ إن الأحساس بالمشكلة ونتائجها هي التي تدفع الشخصية للتخلص من قيود الحصار النفسي ، والشخصية لا تصل الى الأحساس بمشكلتها الا عن طريق الأدراك الحقيقي الذي يمثل بداية محاولة فك قيود الحصار

النفسي ومن ثم التخلص من الشد في العلاقة الضدية للتلاشى هذه العلاقة بمجرد التخلص من المؤثر :

"أسأل نفسي أحيانا : لماذا أكتب في أوراق منفصلة ولا أسجل أفكاري وذكرياتي بين دفتي دفتر مضموم ، الا أني أضمن لنفسي أمكانية التخلص من بعض أوراقي بتمزيقها وحرقها ؟ ها أنا أخجل مما خطته يدي ، ولا أجد في نفسي الشجاعة لأدافع عنه ؟ شبح الماضي يطاردني دائما ، والحاضر غير مستقر بما فيه الكفاية والمستقبل على كف بهلوان ، وأنا أتأرجح في فراغ البطالة ، ومع ذلك فأنا ما أزال احتفظ بكل ما سجلته ولم أحذف منه سطرا واحدا . هذا الأخلاص للنفس هو الذي يريحني ويلهمني الشجاعة على الأعتراف بالخطأ . لكن هل كنت قادرا نفسيا وجسديا ، على أن اتفادى ماسميته بالأنهيار الجليدي"[1].

أن الشخصية المحاصرة نفسيا غالبا ما تتعرض لسلسلة من التضادات الكفيلة بأضعاف الأرادة والقادرة على تشويه صور الحقيقة أو ارباكها ، لتخلق علاقة ضدية تتبع بالأساس من قسوة العالم الخارجي مع رغبة العالم الداخلي المضادة ، فحصار ماجد تجسد في شكوكه وملله وأحساسه بالتفرد فيما يعانيه ، وسلبيته تجاه أهله ، صمته أزاء مشاكلهم ، وتقاعسه عن أداء دوره ، هذا كله يشعره بضالته ووضاعته :

"وينقلب ذلك الحنق الى أنسحاق ، وأجد نفسي منبوذا خارج عملية جرت في غيابي ، وتكونت أصداؤها في نفوس لا تحمل ذك الأحساس بالخسارة أذ كانت تعيش في زاوية ضيقة من عالم ارحب من كل التصورات وأظل وحيدا مخذولا ليس لي منفذ غير هذه الأوراق أبثها أنكساراتي المتكررة [2] يشعر (ماجد) بعذابه في داخله ويتقوقع على أحساساته بالتضاد وانسحاقه ، وهو حبيس سجن نفسي وأحساس بالوحدة والمطاردة يكاد لا يتخلص منه نتيجة عدم تحديده لواجباته وحقوقه .

([1]) ظلال على النافذة ، فرمان ، ص 262.

([2]) المصدر نفسه ، ص 188.

وهناك شخصيات تعيش الحصار النفسي لأنها تحيا بقناعتها المزيفة هي لا القناعات المزيفة للأخرين ، وتخالفهم في المبادئ والتفكير والأيمان بالاشياء وهذا حال (عدنان) ، بطل رواية (الهشيم) لجهاد مجيد .

(عدنان) شخصية تعيش الحصار النفسي ، فهي لا تمتلك أدنى مقوم من مقومات الأنسجام والتلاؤم حتى مع الأهل في محاولة منه للهروب مما يعانيه . فبعد مشاجرة مع أبيه يترك البيت ليعيش بعيدا عنهم مع أناس أخرين عندها يدرك (عدنان) سلبيته الفعلية ، لأنه بعد تركه لأهله وجد نفسه يعيش تضادا مع زملائه الذين ذهب للعيش معهم ، لأنهم مجموعة من الشباب الذين يعملون سرا في العمل النضالي ، عندها يدرك عدنان الهوة العميقة التي تفصله عنهم، لأنه يحاول أن يقلل من قيمة عملهم بما يعانيه من نقص تجاههم ، يطلع (عدنان) على أفكارهم ومبادئهم وما يتبنون من فكر وقيم ، فيزداد أحساسا بالحصار والتضاؤل أمام رفعتهم ، خاصة بعد أن يقتل واحد منهم في أثناء التعذيب ويطلب من (عدنان) أن يرسل الجثة الى أهلها . أن (عدنان) عاش حياة سطحية فلا مبدأ ولا قيمة يتبناها ويدافع عنها ، علاقته بأهله وأجحافه فضلهم في تربيته وتعليمه ، ممارسة رغباته دون تردد ، غروره ولا أباليته ، التقليل من شان زملائه والحط من قيمة العمل الثوري ، فهو يجابه أيجابية الأخرين بسلبيته هو لانه لا يمتلك أمكانية صنع ما يصنعوه وفعل أفعالهم ، يقول (عدنان) مخاطبا نفسه :

"تدرك أنه يجهز عليك بمهارة . أنه يحاول أفلاسك من أقوى مبرراتك. لابد ان تفهمه أن طريقك لا تلتقي مع طريقه وأن مفاهيمه ليست أفضل المفاهيم" [1].

يمعن عدنان في الأبتعاد ذهنيا وفكريا عن محيطه ، فهو يصر على خطئه بحق أحد مدرسيه ، تكبرا وغرورا ، ثم يقسو على أهله ويتركهم ، ويتصرف بأنانية مع زملائه وهو يحاول السخرية منهم فيجابه غيرتهم الوطنية بالتهكم ويحاول أن يتعرض

([1]) الهشيم، جهاد مجيد ، ص 150 .

لحبيبة واحد منهم ، يغلق الباب على نفسه دونهم ، وهو في حقيقة الأمر يحاول التملص من الحصار النفسي الذي يعيشه ، ولا يبدأ الادراك الحقيقي لعدنان الا عند مقتل صديقه أثناء التعذيب عندها تبدأ نقطة التحول وتلاشي التضاد وانتهاء العلاقة الضدية بين عدنان ومحيطه وليتخلص من حصاره الداخلي إثر تفتح وعيه وأدراكه خطأ مسعاه وطريقة تفكيره .

أن العلاقات الضدية الداخلية تنشأ عن الأزمات النفسية دون شك ، لأن الأزمة تعني أن الفرد قد وضع على المحك أمام أختارين الأنهزام أمام الواقع أو التمرد عليه ، وحدوث الأزمة النفسية يعني أنهزام الشخصية أمام الواقع لأنها لم تستطع أن تتجاوز صراعاتها ، ولم توفر امكانية الموائمة بين ما تؤمن به وتستطيع تنفيذه ، بين ماهو واقع وبين ما يجب أن تكون عليه الواقع ، بين ما تستطيع أن تكون عليه وبين مايرغمها عليه الأخرون ، لأن الفرد في المجتمع العربي واقع تحت تاثير العوامل الأقتصادية والسياسية والأجتماعية والثقافية ، لذا تنشأ علاقات التضاد الداخلية التي أصبحت سمة من سمات الرواية في العصر الحديث .

الفصل الثالث

(جدلية العلاقة بين العلاقات الضدية الخارجية والعلاقات الضدية الداخلية)

أن جدلية العلاقة ترتبط بوجود الأشياء وتكوينها وعليه يرتبط بها وجود الظواهر وتكوينها أيضا ، وفي موضوع العلاقات الضدية ووجودها هناك سؤال يطرح نفسه أي العلاقتين السبب وأيهما النتيجة ؟ وهل العلاقة الضدية الخارجية سبب للعلاقة الضدية الداخلية أو العكس ؟ ولأيهما كانت أولوية تجسيد الصراع على الأخرى ؟ أن الروائي هو المتحكم الأول في إعطاء الأدوار والتأثيرات وتوزيعها ، وهو من يضع أساس الصراعات وطريقة تجسيدها ، والعلاقات الضدية هي طريقته في أظهار وتجسيد هذه الصراعات وهي (ظاهرة) تشكل أصلا من أصول تكوين وبناء العمل الروائي ، الغاية منها ، فضلا عن الإقناع بجدية الصورة الضدية ، هو تحقيق التماسك والترابط في البناء الروائي ، يقول تولستوي " أعتقد أن التماسك ذاته لا تصنعه الفكرة . بل شيء أخر . ولا يمكن شرح أساس هذا التماسك بدون الكلمات التي تصور الأشخاص والأحداث والأوضاع"[1].

وتصوير الأحداث والأوضاع لا يتم إلا عن طريق شبكة صراعية تجسد التضاد بنوعيه وتولد أحدهما من الأخر ، يتعامل معها الروائي عن طريق السبب والمسبب المتولد بحيث يتيح الفرصة للقارئ للوصول إلى لحظة يكتشف فيها الحقائق بمنطقيه ، يقول الدكتور محسن جاسم الموسوي : " وكان أن أصبحت لحظات الكشف والوحي Revelations ، منطقية من حيث التسبب ، أي أن القارئ وهو يبلغ نتيجة معينة (أو كشفا في لغة الإيحاء الشعري) فأنه يبلغ ذلك بحكم وجود مسببات تقود إلى هذه النتيجة "[2].

ومهمة الروائي التلاعب بأدوار وتأثيرات العلاقات الضدية عن طريق جعل إحداهما سببا للأخرى وبالعكس ، والتأثير المتبادل هذا يوفر للروائي القدرة ليتأمل الصراع الداخلي هذا من جهة ومن جهة اخرى فان أهمية رصد الصراع الخارجي لا تنفصل عن أهمية رصد الصراع الداخلي لكون أحدهما سببا للأخر كما أشرنا ،

([1]) نقلا عن ، فن الأدب الروائي عند تولستوي ، ف:غ . ادينوكوف ، ترجمة : د. محمد يونس ، دار الرشيد للنشر ، 1986 ، ص 89.

([2]) عصر الرواية ، الموسوي ، ص 77.

فالروائي يصف هذه العلاقات بعدسة مكبرة للأشياء[1]. أعني العلاقات الضدية الداخلية – كما يصف المشهد الشامل والخارجي للأشياء والصراعات ، فيمكن أن نعيش مع أحداث معركة بأكملها بكل ما فيها من تضادات خارجية مباشرة وفي الوقت نفسه نستقرئ ونتأمل الانفعالات الداخلية والصراعات الباطنية للمقاتلين، وهذه هي مهمة الروائي التي تكمن خطورتها في احتمال تدمير العمل الروائي بحيث يجد نفسه غير قادر على خلق معادلة جدلية بين الداخل والخارج ، بين الشيء الظاهر والعمق الرمزي ، بين الحركة والسكون[2].

فالروائي ملزم بإقامة روابط بقانون السببية ومن ثم يبث فيها الحياة ويصف الإطار الزماني والمكاني لتكتمل الصورة . وهذا يعني أن نمو الأحداث في الرواية لا يعتمد ألا على جدلية الحدثين الداخلي والخارجي وهذه الجدلية لا تتحقق إلا بقدرة الروائي على معرفة الأسرار الإنسانية والمعطيات التي تحكم المكان والزمان ، وخفايا فن الرواية والأدب والتقنيات العامة لمعظم الفنون[3].

أن الأحداث المادية (الخارجية) التي تشمل الصراعات والتضادات الخارجية هي امتداد للأحداث الداخلية وبضمنها الصراعات والتضادات الداخلية وبالعكس ولايمكن لبناء الرواية أن ينهض دون أحدهما إذ لابد للحدث المادي ، الخارجي ، أن يتجادل مع الحدث النفسي الداخلي ، لذا أتسمت روايات العصر الحديث بتلك الجدة والإقناع والإحكام لتوظيفها الحدث المادي إلى جانب الحدث النفسي ، وينسحب هذا على علاقة التضاد والداخلي والتي تشكل بدورها جزءا من الأحداث النفسية .

ففي توظيف الصراع يعمد الروائي إلى تصادم للأحداث من خلال العلاقات المباشرة ، والعلاقات غير المباشرة ، وفي هذا الجو المشحون تتولد العلاقات الضدية بتأثير متبادل في أغلب الأحيان فالفعل الخارجي يتحول إلى رد فعل داخلي وبالعكس وبشكل يتفق مع تأثير الحدث العام عموما .

([1]) ينظر ، الرواية العربية المعاصرة ، من المغامرة إلى التأسيس . ماجد اسد ، ا ص 33.

([2]) المصدر نفسه ، ص35.

([3]) المصدر نفسه ، ص 34.

والروائي الذي لا يريد أن يتخطى الحدود التقليدية هو الذي يكتفي برصد حركة الأشياء من الخارج دون خلق حركة صراع متوازنة لنوعي التضاد الداخلي والخارجي ، لأن هذا التوازن هو الذي يحقق جدلية العلاقة بين العلاقتين الضديتين الخارجية والداخلية وإبراز مواضعها المتبادلة ، كما فعلت فرجيناوولف في رواية (السيدة دالاواي)[1]، حين جعلت الزمن الميكانيكي (المادي) ، يتوازى مع الزمن (الداخلي) وقامت بتكثيف الحدثين المتلاقيين الداخلي والخارجي .

فجاء سلوك الأبطال ، مثل (كلاريسا دالاواي) و(بيتروالتس) محكوما بالماديات التي تحولت إلى حدث داخلي يصطرع داخل نفوسهم ويفعل فعله فيها[2]، ووليم فولكنر في روايته 0 الصخب والعنف)[3] حين جعل من الأحداث الداخلية والصراعات النفسية التي عانى منها الابطال هي رد فعل للأحداث الخارجية ومثلهم (جيمس جويس) في روايته (صورة الفنان في شبابه) حين أحكم من شد الحدث الداخلي إلى الخارجي وبالعكس من خلال بطله (ستيفن ديدالوس)[4]، إن الروائي يمكن أن يعرض مشهد القاتل وهو يقوم بعملية القتل وفي الوقت نفسه يبرز حالته النفسيه وأحساساته وشعوره الداخلي[5] في أثناء ذلك ، وهو بهذا يحدث ربطا بين الخلايا الخارجية والخلايا الداخلية أن صح التعبير في محاولة لأحداث التوتر الذي يجب أن يبقى عليه بواسطة تلك .. العلاقات الضدية المتبادلة بين الداخل والخارج واحكام جدلية العلاقة بينهما ، فالحدث يقع أمام الأنظار أولا ثم يتردد صداه داخل نفس الشخصية عندها نلمس حدة الصدى واختلافه باختلاف الحدث المادي وضخامته ، وربما يولد الصدى النفسي (رد الفعل) حدثا ماديا آخر وهذا يرجح ان الصلة بين

([1]) ينظر ، السيدة دالاوي ، فرجيننا وولف ، ترجمة عطا عبد الوهاب ، دار المأمون للترجمة والنشر ، وزارة الثقافة والأعلام ، بغداد ، 1986.

([2]) ينظر ،الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة ، سعد عبدا لعزيز ص84.

([3]) ينظر ،(الصخب والعنف) ، وليم فولكنر ، ترجمة ، جبر ابراهيم جبرا ، دار الأداب بيروت .

([4]) ينظر ، صورة الفنان في شبابه ، جيمس جويس ، ترجمة ماهر البطوطي ، دار الأداب بيروت . ط. 1973.

([5]) ينظر، عالم الرواية ، ص 34.

العلاقات الضدية بنوعيها الداخلي والخارجي هي صلة لا متناهية تحكمها الأحداث التي يتولد بعضها عن بعض مشكلة بذلك شبكة من التضادات المتآزرة على الرغم من صدامها .

ويبدو أن الرواية العربية قد أوضحت بصورة لا تقبل الشك هذه الشبكة من التضادات وأبرزتها في أوضاع مختلفة وتحت تأثيرات متنوعة ، فالرواية العربية كان لها فرصة لتجسد أضخم مآسي ومشاكل الإنسان العربي ، لذا جاءت الرواية العربية مترعة بالصراعات الخارجية وردود أفعالها في النفس الإنسانية ، وصورت هموم الفرد وأفرزت لنا الحالات الإنسانية المتأزمه والمحبطه والخائبه والمحاصره ، حتى أضحت الرواية العربية عبارة عن نسيج متآلف في صدامه وصراعه متولد بعضه عن بعض بشكل حيوي ، ولعل ثلاثية (نجيب محفوظ)[1] تعد واحدا من أضخم الأعمال الروائية العربية التي توضح الظاهرة وتشير إليها ويتمثل ذلك في إحدى شخصياتها " كمال" الذي وقع تحت تأثيرات الواقع الخارجي وقسوته لتعكس أصداءها داخل نفسه حتى يصل إلى حالة من التضاد الخارجي مرة اخرى مثله لنا رفضه التعايش مع واقعه الذي آل اليه وممارسة الصدام مع محيطه ، فتتجلى لنا شخصية (كمال) في قمة تأزمها الدائم نتيجة مؤثرات أبرزها : تسلط والده ، موت شقيقه (فهمي) ، الأحداث التي مرت على بلاده من تسلط واستعمار وانهيار للقيم الأخلاقية ، فانعدم التوازن بين وجدان (كمال) وعقله لتتولد تلك الصراعات التي أدارت شبكة التضادات في نسيج الثلاثية وبنائها .

والرواية في العراق لا تنفصل عن الرواية العربية بأي حال من الأحوال بالنسبة للتأثيرات العامة التي حكمت وجود ظواهرها والأوضاع التي رافقت نشوءها .

والعمل الروائي العراقي لا ينفصل في احتوائه على الظواهر عن النتاج العربي عموما – لكونه جزء منه فضلا عن أن الأوضاع هي عينها التي تعرض لها الفرد العراقي – لذا فأن تجسيد الصراع بواسطة تلك العلاقة المتبادلة بين العلاقات الضدية

([1]) من المناسب تتبع مراحل حياة (كمال) منذ طفولته وحتى نهاية أحداث الثلاثية للوقوف على الصراعات الخارجية التي تعرض لها ومن ثم تأثيرها في صراعه الداخلي وفي خلق ازمته التي ولدت أزمات .

الخارجية والداخلية قد اتخذتها الرواية العراقية سمة لها و لا سيما في الحديث منها[1]. وأخذنا نألف وجود شبكات الصراعات الضدية فيها ولعل رواية (المستنقعات الضوئية) لأسماعيل فهد إسماعيل يمكن أن توضح ذلك بما لمسناه من تضادات وصراعات متولد بعضها عن بعض ، فالبطل (حميدة) ترددت أصداء الصراعات الخارجية في نفسه ليعيش صراعا داخليا ، أثر سلسلة من التضادات التي تعرض لها فتولد في نفسه أزمة داخلية خانقة ، تخلف بدورها صراعا خارجيا مع محيطه الخارجي الجديد السجن " حميدة " بتعرض صدفة إلى حادث خارجي يشترك فيه دون أرادة منه ، حين تقتل فتاة أمامه ودون وعي منه يحاول الدفاع عنها وعن نفسه فيقتل قاتليها ويدخل السجن المؤبد ثم يتعرض لطلب زوجته الطلاق منه ثم زواجها من صديقه هذه السلسلة من التضادات التي لها نقطة بداية نشأت عنها خلقت الصراع الداخلي والأزمة النفسية لحميدة ، الذي أخذ يتجه نحو التأمل العدمي والسخرية المريرة التي تصعدت إلى حد الهذيان والصرع خاصة بعد أن اتيحت له فرصة الهرب من السجن إلا أنه يعود اليه مختارا [2] وهذا يعني أن العالم الخارجي الجديد قد أخذ ينفذ إلى أعماقه الداخلية التي تزداد تأزما بمرور الوقت ثم الأزمة الداخلية التي خلقت صراعا خارجيا – نتيجة للشرخ في نفس (حميدة) – مع زملائه في السجن الذين يجابهونه بمشاعر الخوف والقلق والذعر والنفاق هذه المشاعر المختلفة تستند إلى نوع من سوء الفهم لأن فكرتهم عن حميدة تتلخص في كونه رجلا مجرما دخل السجن بسبب قتله شخصين [3] وهنا يبدأ صراع حميدة الخارجي مرة ثانية بعد أزمته النفسية :

مقتل الفتاة	←	قتل حميدة	←	دخول حميدة	←	طلب زوجته الطلاق	←	أزمة نفسية حادة وصراع	←	صراع خارجي وتضاد مع	←

[1]) أذ أن الرواية العراقية في بداية نشوئها اعتمدت عموما على الاوصاف الخارجية والتسجيليه ولا نجد للصراعات الداخلية وجودا الا في بعض النماذج والامثله القليلة غير الواضحة في معالمها مثل رواية (جلال خالد) محمود احمد السيد التي نلمس فيها صراعاً خلال فيها ضد الأوضاع السيئة التي كانت يعيشها أبناء بلاده .

[2]) ينظر، في الإيقاع الروائي ، احمد الزغبي ، ص 44.

[3]) ينظر، في الإيقاع الروائي ، احمد الزعبي ، ص 45.

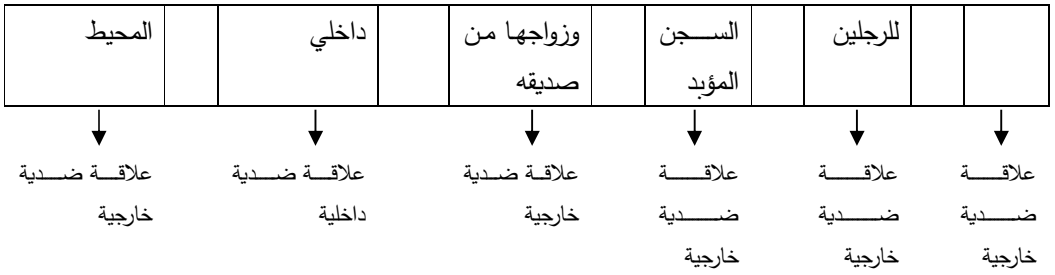

(شكل يوضح تولد العلاقات الضدية من بعضها البعض)

فالصراع الخارجي عندما وصل ذروته عند حميدة ولد العلاقة الضدية الداخلية وهذه بدورها أنتجت صراعا خارجيا ، وهذا يقودنا إلى حقيقة ان البناء الروائي تحكمه العلاقات الضدية التي ترتبط فيما بينها بروابط لا نهاية لها ، وهذه الجدلية في التكوين هي التي تثري العمل الروائي وتقود الأسباب إلى دلالات مفهومه ومدركه .

ولا يتأثر وجود هذه الروابط بين العلاقات بالنتائج قدر ما يتأثر بحدة الأسباب وشدتها – الصراعات – فهي تشتد وتتولد وتتخلق حين يشتد المؤثر وتهبط بهبوطه وقلة فعاليته، ويبدو أن الصراع الخارجي الذي شهده (كريم) في رواية " الرجع البعيد". يدعم وجهة النظر هذه ، حين يقتل (فؤاد) أمام (كريم) ليعيش (كريم) بعدها صراعا داخليا وتأزما أفرز بعدها فشله في جوانب مختلفة – من حياته ، دراسته ، عواطفه ، عمله .

أن موت (فؤاد) هو أرادة قدرية يمكن أن تحدث في أي وقت ، صراع (كريم) جاء نتيجة الحساسية العالية التي تحكمه والتي أفرزت فيما بعد الصراع الخارجي :

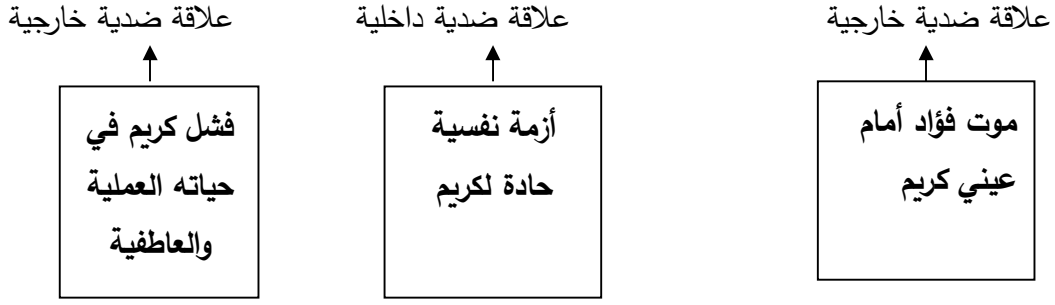

(شكل يوضح جدلية الصراعات الخارجية والداخلية)

أن هذه الجدلية تمنح العمل الروائي دلالات متعددة لان شدة التعرجات والتضادات والتشابكات لحركة الأحداث وتعقيداتها[1] هي التي تمنح للنسيج الروائي فعاليته وغناه ، والتوازي بين العلاقات الضدية الخارجية والداخلية هو الذي يحقق التكوين الفني للحبكة داخل العمل الروائي ولأن العلاقة الضدية الداخلية هي مرآة باطنية عاكسة لتأثير العلاقة الضدية الخارجية من هنا نتخلق الحركة الدرامية نتيجة انتقال الصراعات وتبادلها والجدلية القائمة بينها . أن العلاقات الضدية في العمل الروائي – بنوعيها – تخضع لمؤثرات تسهم في أقامتها وتكوينها ويسير إلى جانب ذلك علاقة نوعي التضاد ببعضها وهي علاقة لا نهاية لها في أغلب الأحوال في إطار الأحداث إذ يعمد الروائي الى أستلهام قيمة الجدلية القائمة بينهما من خلال قيمة الجدل القائم في الحياة وهنا تتشكل قيمة العمل الروائي نتيجة هذه الجدلية التي تحكم احداثه ، ولابد من الاشارة الى ان بدء التأثير الضدي الذي يعود للعلاقة الضدية الخارجية اولا غالبا ما يشكل نقطة بداية للصراع لذا لابد من البدء بعرض تأثيره في تولد العلاقة الضدية الداخلية ومن ثم عرض تأثير العلاقة الضدية الداخلية في تولد العلاقة الضدية الخارجية .

أولا – العلاقة الضدية الخارجية سبباً للعلاقة الضدية الداخلية :-

أن اختلاف المعتقدات والنظريات تجاه معنى الحياة ، وتراكمات الوقائع وتباين وجهات النظر هي التي أثرت الصراعات أو بمعنى أصح أوجدتها ، وهذا التباين تحدثه مؤثرات معروفة ، ومهمة الروائي مراقبة هذه المؤثرات وتوظفيها لأنه مسؤول عن تفحص الأشياء وإظهارها في صورها المختلفة ، وتصوير تفاعلها مع بعضها ، وخلق الظواهر الواقعية والبحث في أسرارها ، لذا فأن الروائي حين يظهر الصراع الخارجي المباشر مع الأسباب المنطقية لحدوثه ، يكون مسؤولا ايضا عن أظهار نتائج هذا النوع

([1]) ينظر ، الرواية والواقع ، محمد كامل الخطيب ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 ، 1981 ، ص 19 .

من الصراعات ، لا سيما في الرواية الحديثة التي حاول كتابها الإبتعاد عن مجرد التسجيل للمظاهر الخارجية والسطحية للصراعات ، والدخول في عالم الأسرار والخفايا المتعلقة بالنفس الإنسانية والكشف عنه ليوازي العالم الخارجي .

وفي ظاهرة الثنائيات الضدية يبدو أن العالمين الداخلي والخارجي لا يتوازيان فحسب بل أن وجود أحدهما هو نتيجة وجود الآخر، فالصراع الخارجي مؤثر بديهي لخلق الصراع الداخلي، بسبب ما يملكه من فعالية في التأثير الذي لا يكتفي بالتضاد والصدام الخارجي بل ينسحب إلى العوالم الداخلية ويثيرها من كوامنها لنتعرف عندها الأزمات النفسية والتضاد الداخلي والإجهادات الذهنية ولعل هذا يرجع بنا إلى الأصل القائل أن السعادة والشقاء هما اللذان يحكمان الحياة، ومهمة الروائي هنا الوصول إليهما من خلال شخصياته التي يمنحها أدوارها كما يمنحها الحياة ليشير إلى العوالم والصور المختلفة، ومنها العوالم الداخلية التي يشير إليها عبر تعريضها للصراع الخارجي ومن ثم يسبر أغوار هذا العالم والحياة السرية وعالم اللاوعي ومناجاة النفس وردات فعلها الدفينة، على نحو ما فعل (تولستوي) مع (أنا كارنينا)[1]بطلة روايته التي تحمل الاسم نفسه، حين عرضها للتضاد الخارجي عبر سلسلة فعالة تمثلت في تضادها مع مجتمعها والناس ثم ابتعادها عن ابنها، وفقدانها لوضعها الاجتماعي كإمرأة معروفة ثم المرحلة الأصعب في إحساسها فتور مشاعر حبيبها ليتسبب كل ذلك في خلق صراع نفسي شديد يؤدي إلى انتحارها، وينطبق الحال تماماً على (أيما بوفاري) في رواية(مدام بوفاري) [2] التي جعلها فلوبير تتحرك في عالم خارجي مليء بالتضادات والصدامات، انتقالها من عشيق إلى آخر، تراكمات الديون، فقدان احترام الناس لها، تحولها إلى امرأة مباحة من قبل عشاقها. كل هذه الصدامات توصلها إلى الذروة في صراعها الخارجي ليتردد صداه داخل نفسها على هيئة صراع داخلي، ولعل ثلاثية نجيب محفوظ يمكن أن تدعم وجهة النظر في هذا الموضوع، لأنها أنمازت بتشابك الأحداث وغزارتها وتباين الصراعات عبر ثلاثة أجيال، والصراع بين

([1]) ينظر، أنا كارنينا، ليوتولستوي، ترجمة أميل خليل بيدس، دار النشر للجامعيين، ط3، 1966.

([2]) ينظر (مدام بوفاري) غوستاف فلوبير، ترجمة منير بعلبكي، دار إحياء التراث العربي بيروت، (بدون تاريخ)

المتناقضات في الثلاثية يكاد يكون الإيقاع المتصل لحركة بنائها وهو الحدث الأكبر فيها وسر حركتها، وكل شخصية من شخصياتها عاشت تضاداً وصراعاً مع نفسها ومع غيرها، ومن هذه الشخصيات (عائشة) التي تعرضت للتضاد مع واقعها الخارجي حين توفي زوجها وولداها إثر المرض عندها تنتكس عائشة وتعيش صراعاً داخلياً مريراً.

أن وجود هذه الظاهرة في النتاج الروائي العراقي يقودنا إلى التساؤل: كيف نفهم الرواية العراقية؟

أن الإجابة تكمن في التسليم بارتباط النتاج الروائي بالعصر الذي يزامنه وبظروف هذا العصر إذ يبدو أن الرواية في العراق كان لها دور تسجيل الأحداث وإبراز المؤثرات المختلفة، وتسجيلها بصورة سريعة وفاعلة إلى جانب اتصافها بأنها رواية سياسية بالدرجة الأولى تمكنت من تمثيل الواقع السياسي بجوانبه المختلفة وأبعاده . والذي هو جزء من الواقع الكلي.

فمعطيات الواقع العراقي هي التي حددت سمات الرواية فيه والرؤية التي قدمتها الرواية العراقية تعبر عن رؤية الشخصيات نفسها لواقعها الذي تميز بقسوته في أغلب الأحوال، وهذا التحدي والتضاد الذي مارسته المؤثرات الخارجية ضد الأفراد هي التي أفرزت شخصيات مأزومة ومحبطة وسلبية تمارس مواقف سلبية وتشعر بنقصها وضآلتها أمام هذه القسوة التي مثلتها المؤثرات الخارجية والتي سبق البحث فيها في فصل سابق.فالرواية العراقية أظهرت الأزمات والصراعات النفسية بوصفها نتائج للصراعات الخارجية، كما أظهرت ردات فعل الشخصية تجاه هذه الصراعات، وأخضعتها لظروف قاسية وصعبة. ففي رواية (نافذة بسعة الحلم) للركابي نجد الشخصية المأزومة نتيجة للصراع الخارجي الفعال، فشخصية حازم هي من الشخصيات التي بقيت ترزح تحت وطأة القوى الخارجية التي غالباً ما تكون أقوى منه. فالأزمة التي عاشها كانت عبارة عن صدى للتأثير الضدي الخارجي أي أن العلاقة الضدية الخارجية ولدت هذه الأزمة والتي كونت العلاقة الضدية الداخلية، تضاد العالم الخارجي خلق أزمة العالم الداخلي مما كون العلاقة الضدية الداخلية فالسبب الظاهري كون نتيجة داخلية خلقت ذلك الصراع النفسي بفاعليه انتجها

التضاد الخارجي المتمثل بالهزيمة في حرب حزيران 67 لذا تبلورت هذه الأزمة الخارجية العامة لتتحول إلى أزمة داخلية خاصة بحازم حين أخذت تبعات التأثير الخارجي تتردد داخل نفسه لتشكل أزمة خانقة أثرت في حياته الخاصة، فتواضع إمكانيات الجيش قياسا إلى إمكانيات العدو والذي أدى إلى الهزيمة كانت العالم المرئي الذي رسم خيوط أزمته النفسية حين بقي يتأرجح بين الوضع الأول الذي شكل الماضي لديه وبين حياته المستقبلية والتي كان من المفروض أن يعيشها وهو الوضع الثاني، فالماضي مر يداهمه كلما حاول الابتعاد عنه، فيجره اليه من خلال عيني (مصطفى غريب) صديقه الذي استشهد بين يديه، هذا الحادث يعد جزءاً من التضاد الخارجي، فحازم كلما حاول الاندفاع في تيار الحياة والمستقبل يشده صراعه الداخلي:

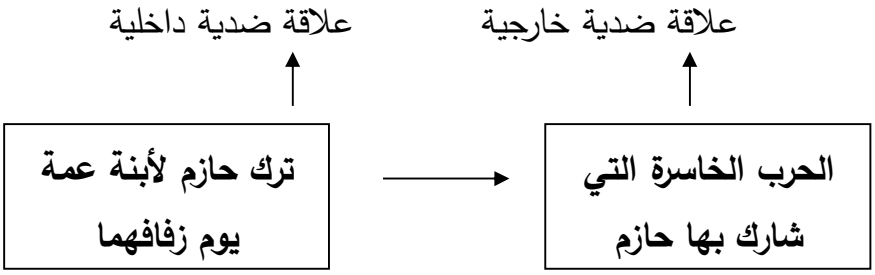

شكل يوضح تولد صراع حازم الداخلي نتيجة المؤثر الخارجي

أن وعي حازم الذي عاش حياة بسيطة وهادئة منذ طفولته يتعرض للارتباك نتيجة تأثير العالم الخارجي عليه فالهزيمة العسكرية أثرت في هذا الوعي الذي كان محدداً بحب الأرض والتفاني من أجل خدمتها وعندما يحين الوقت ويوضع حازم على المحك نجد عنده الاستعداد نفسه في الدفاع عنها إلا أنه يصدم بتقديمه هو ورفاقه لتضحيات لا اعتبار لها عند الآخرين فتفقد الأشياء هويتها عنده ويصبح كل شيء عنده غير حقيقي.

أن الواقع الخارجي (الهزيمة في الحرب) لم يحفل بإرادة حازم أو رفاقه في الجيش حين فرض على حازم معايشة هذا الوضع واجترار مآسيه ليتحول الصراع داخل

نفسه إلى نوع من الصخب والفوضى فيميل إلى الانطواء والهرب من العالم من حوله حتى من أمه وزوجته التي لم يتم زواجه بها:

"ولكني فكرت مع نفسي بأني غير ملزم بذلك. فقد كان بيني وبين (الزواج) .وبيني وبين أشياء عديدة أخرى .خنادق رطبة وخوذ تتلامع عليها شمس((حزيران))وعينا ((مصطفى غريب)) البريئتان لدرجة لا تطاق!.. وأن فكرت بالزواج فجميلة هي آخر من أفكر بها ... ألا تكاد جميلة تكون امتداداً لغيبتي[1]؟

وإمكانية تولد الصراع الداخلي نتيجة المؤثر الخارجي تبقى واحدة سواء كانت العلاقة الضدية الخارجية عبارة عن تضاد واحد أم سلسلة من المتضادات فالتأثير الأصلي يبقى التضاد بحد ذاته وليس لتعدده، فتعدد التضادات مؤثرة في شدة الصراع الداخلي وحدته وليس في إمكانية توليده، إذ يكفي حدوث الصراع الخارجي ليولد الصراع الداخلي . أعني عند الشخصيات التي يمكن أن تتعرض للصراع الداخلي وتتأثر به ويكون لديها الاستعداد للتأثير . فمدحت في رواية الرجع البعيد تعرض لتضاد خارجي واحد كان كفيلاً بأن يعيش صراعاً داخلياً تولد نتيجته، فاكتشاف مدحت عدم عذرية زوجته، كان سبباً في خلق أزمة نفسية حادة رزح تحت وطأتها فهو شاب يعيش في مجتمع تحكمه الأعراف والتقاليد التي لا حياد عنها، يتعرض لهزة عنيفة تفقده توازنه وتصرعه داخلياً .

مدحت تعرض للتضاد الخارجي مرغماً وفوجئ بوضع منيرة وصدم ليتردد صدى ذلك في نفسه فتتخلف أزمة فوق مستوى قدرته، فالتضاد الخارجي وضع مدحت على المحك ولأنه يرتبط بالشرف والتقاليد والأحكام الاجتماعية، باحترام الإنسانية لذاته وشعوره بالخديعة والغش، كل هذا فعل فعله في نفس مدحت ليهرب من صراعه ذاك الذي توهم مدحت هربه منه، إذ أن ابتعاده زاد في صراعه وجعله يطرح أسئلة يريد أجوبة عنها:

([1]) نافذة بسعة الحلم، الركابي ص124.

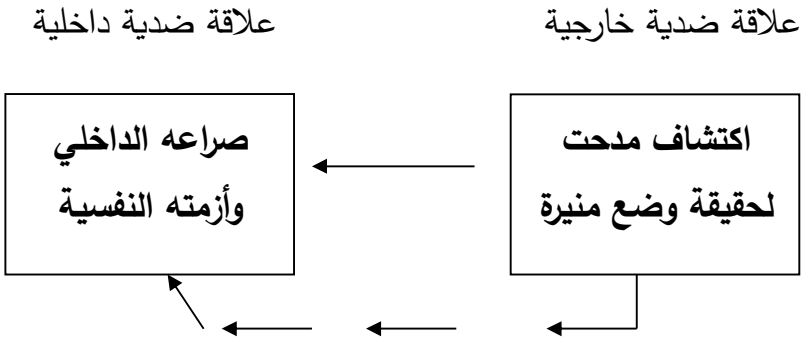

شكل يوضح التضاد الخارجي وانعكاسه في داخل الشخصية أن انتقال الفعل الخارجي (الصدمة) إلى حركة داخلية (صراع) سببه فعالية الضغط الخارجي الذي تمثل في صدمة مدحت بمنيرة:

"**لم يقل لها كلمة وهو يغلق الباب على حياتها ويتركها بمفردها. استطاع أن يهرب بذاته، ألم يستطع؟ والتزم الصمت وتسلل كاللص خارجاً. لم يتدهور، مع كل ترسباته القذرة، ولم يصرخ بها أو يعربد. فوجئ، فقط لأنها أرادت له ذلك فوجئ،وضرب على رأسه**".[1]

أن العلاقة الضدية هي ضغط مفروض ولذا فأن الصراع الداخلي المتولد عنها ينسحب عليه هذا الفرض أيضاً لا سيما في الظروف التي تحكم الشخصيات وتؤثر فيها وعلى سلوكها وأنماط حياتها، فالعلاقة الضدية الخارجية لا تحفل بإرادة الفرد وهي مؤثر يشكل عبء ومشكلة فعلية في مسيرة حياة الشخصية، لأنها تحمل مسؤولية التأثير السلبي عموماً، وإذا تتخطى العلاقة الضدية وجودها البحت تتحول إلى شخصية مقابل شخصية يتمثل تأثيرها في القسوة أو الاتهامات المتبادلة أو الاضطهاد أو الظلم أو الاستغلال أو القتل، وبغض النظر عن التأثير الخارجي المضاد في كونه أفراداً أو جماعة أو مؤسسة أو مجتمع فأن التأثير الذي يمارسه الصراع الخارجي ويولد الصراع الداخلي يخص حالة ذاتية، وهذا الصدام بين العنصرين هو الذي يولد الحركة الدرامية

([1]) الرجع البعيد، التكرلي ،ص307.

التي تحرك الأحداث وتصيرها، ويبدو أن (عبد الواحد) إحدى شخصيات (ظلال على النافذة) لغائب طعمة فرمان قد فرض عليه التأثير الخارجي المضاد لتتصارع ذاته طويلاً إثر هرب زوجة أبنة (حسيبة) فالصراع الداخلي الذي تولد في نفس عبد الواحد كان مراً تحكمه الأعراف الاجتماعية والسمعة والشرف، لأن (حسيبة) على الرغم من ضالة دورها تمكنت من فرض هربها الذي كان كافياً لخلق صراع داخلي عاشه كل أفـــراد البيـــت. علاقـــة ضـــدية خارجيـــة

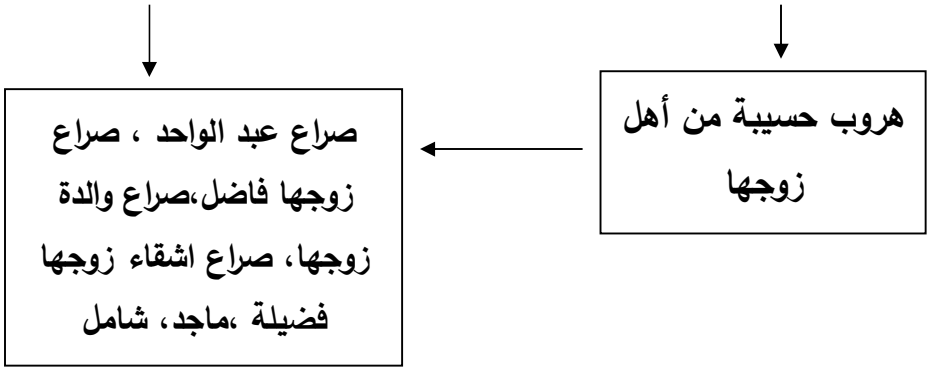

شكل يوضح تأثير هرب حسيبة على أهل زوجها .

عبد الواحد رجل عصامي وهو جزء من مجتمع محافظ يعد السمعة من أساسيات الحياة والشرف مما لا جدال فيه بنى بيته مادياً ومعنويا بجهد كبير وضحه لنا فرمان من خلال أحداث الرواية، وفجأة يصدم بهرب زوجة ابنه (حسيبة) من البيت ليأخذ الصراع النفسي مأخذه منه، حين يتردد صداه بين أسباب هربها ومكانها وبين خوفه من انتشار الخبر وما يترتب عليه من فضيحة تمسه وتمس عائلته.

العلاقة الضدية الخارجية تشل تفكير عبد الواحد وتجعله يتخبط في خضم المشاعر المختلفة التي تناوبت بين لوم زوجة أبنه وبين إيجاد العذر لها وبين التهديد والوعيد مع نفسه ويبدو أن هذا الصراع أعطى صورة عن موقف المجابهة الذي مارسه عبد الواحد ضد المؤثر الخارجي المتمثل بحادث الهرب فكل تصرفاته إثر الصراع الداخلي كانت تعبيراً عن رفضه للمؤثر الخارجي الضدي، فهو يأخذ بالبحث عنها، ثم يتخذ عن

طريق الدجل والشعوذة وسيلة لإيجادها بعد أن أسقط في يده، أو يتظاهر باللامبالاة أحياناً وأحياناً يثور ضد عائلته وقد يرجع الى التساؤل .

ان عنصر المفاجأة والفرض أذكيا هذا الصراع، خاصة أن حسيبة تنتمي إلى طبقة مسحوقة ولا أهل لها ولم يكن يوحي هذا بأنها تهرب يوماً تاركة بيت زوجها الميسور وعائلته المعروفة، لذا فأن هربها قد كشف لعبد الواحد أموراً كان غافلاً عنها أو بالأحرى كان يتجاهلها، وجعلته يشعر بخطأ ما في بيته، وهنا يبدو تأثير العلاقة الضدية الخارجية قد انسحب إلى ما وراء الصراع حين تتكشف الحقائق للشخصية إثر التضاد والصراع الداخلي، فتأثير التضاد الخارجي قد تجأوز توليد الصراع وأصبحت مهمته كشف الحقائق وتصحيح الرؤى:

"الفضيحة تنتشر مثل رائحة كريهة، مثل دخان حريق في بيت مكشوف بينما اذا فعلت خيراً لا تجد إلا القليل ممن يذكرونه[1] (.....) ويتخذ تفكير عبد الواحد مساراً أخر. لعلها حنت إلى بيتها القديم حقاً. كم مرة حنّ هو الأخر إلى بيته القديم، البيت الذي تربى فيه وتزوج، وأنجب، وزرع سني عمره في أرضه المتربة، رغم إنه يقضي سحابة نهاره في حي لا يختلف شخطة واحدة عن حيّه السابق فكيف هي التي لم تخرج مرّة واحدة خلال ثلاثة أعوام، ثم يعود فيقول لنفسه: ولكن إلى أي شيء تحن إلى خرابة ؟ حتى الخرابة يمكن أن تحن إليها، إذا تركت عزيزاً فيها. ولكن أي عزيز تركت حسيبة؟ تركت عمتها ... أو تلك تسميها عمة. كل شيء جائز في هذه الدنيا، ربما رغرغت روحها بعد هذه السنين الطويلة، ركبها الشوق إلى حياتها الأولى مثلما يركب جني أنساناً، وخرجت لشمة هوا. كل إنسان تمر فيه أوقات يزيد أن يتخلى فيها عن كل شيء، ويهجر كل شيء، ليهرب حتى من جلده، ليبقى هو ونفسه وجهاً لوجه "[2] .

([1]) ظلال على النافذة، فرمان، ص 10 .

([2]) ظلال على النافذة ، ص12 .

أن معاناة عبد الواحد نبعت بالأساس من خوفه على عائلته بعد أن تكشفت له أكثر من ثغرة في حياته وحياة عائلته، إذ أن العلاقة الضّدية الخارجية قد نجحت في أثارة الحقائق التي كانت متسترة عن عبد الواحد التي نتج عنها صراعه الداخلي .

أن العلاقة الضدية التي تولد الصراع الداخلي لا يكتفي تأثيرها أحياناً بخلق الأزمة الداخلية وترك الشخصية تتخبط في خضمها، بل يؤدي إلى نتيجة أكثر قوة تتخطى الصراع الداخلي والأزمة النفسية إلى الموت ف(حليمة) إحدى شخصيات رواية (الظامئون) التي أدى صراعها الداخلي إلى انتحارها، تعرضت لتضاد خارجي تمثل في استغلال حسين لها، حيث وجدت نفسها فجأة قد حملت منه سفاحاً وهي الأرملة التي تعيش وسط بيئة ريفية محافظة سرعان ما يكتشف فيها الخطأ. فأنهت حياتها لأنها عجزت عن الإحساس بالأمن وعن احترامها لذاتها بعد أن وقعت في براثن حسين الطائش، لذا كرهت الشعور بالخزي وبالإدانة وظلت نفسها تصارع الإحساس بالمهانة والوضاعة وفقدانها لشرفها الذي ضاع على يد حسين الذي هجرها ليتزوج من حسنة ويترك القرية وأهلها وفيها حليمة نهباً للصراع الداخلي:

سير التضاد الداخلي

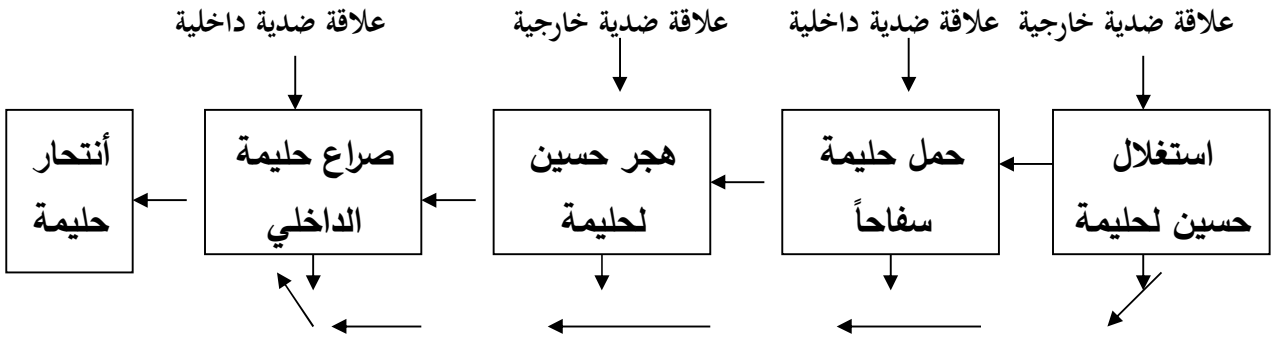

(شكل يوضح تأثير العلاقة الضدية الخارجية في الصراع الداخلي وإنهاءه بالموت)

يبدأ الصراع الداخلي منذ لحظة شعورها بالحمل ويزداد تدريجياً يذكيه شعور الخوف والهلع من واقعها الذي آلت اليه، إحساسها بأنها أستغلت أبشع استغلال، ندمها على تصديقها لحسين، سمعتها وسمعة ولديها، فقدان احترام الناس، وخيانتها لزوجها المتوفي.. كل هذا كان نصب عين حليمة وهي تبحث بجنون عن حسين، عندها بلغ صراعها الداخلي أوجه حين غرزت خنجر زوجها في صدرها لتنتحر .

حليمة تتأرجح بين الأمل واليأس، فهي تتوسل في داخلها أن تخرج من مأزقها ثم تهتاج فجأة لشيء خفي يخبرها بأن خلاصها محال وبأنها خدعت .

فتعود للرجاء:-

".. يا رب دخيلك يا ربي... لا أستطيع أن أدعه يفلت.. لن أجعله ينبذني أبداً... هذا الذي أعطيته كل شيء"[1] .

حليمة ترجو الخلاص مع تعنيفها لنفسها من خلال استعادتها للأثم الذي أرتكبته بحق نفسها:-

"حقاً لقد جلبت الدمار لنفسها.. لعن الله تلك الساعة التي ضعفت فيها فبماذا تنقذ نفسها وشرفها الذي وطئته بقدميها وقدمي حسين "[2].

وتزداد حليمة في لومها وتأنيبها لنفسها مع فداحة ما وصل اليه حالها وازدياد سوء وضعها فهي تتخبط بين التصديق وعدمه، بين وقعها الذي آلت اليه وما كانت تحلم به، والواقع أن حركة الفعل الداخلي سجلت نشاطاً كبيراً في صراع حليمة الداخلي:-

"غدت حليمة كتلة من خوف بعد أن غاصت كل آمالها في ظلام مطبق وغرق كل شيء حولها في أسف يأس تام...

حتى كانت ليلة..

([1]) الظامئون، المطلبي ، ص 181 .

([2]) المصدر نفسه، ص 188 .

تحركت كالمجنونة وهي ترى كل ما حولها يتجهم سافراً، وصفعت أبنها سالم بقوة حينما اقترب منها مغمغماً ثم أسرعت تنزوي في ركن مظلم من الخيمة وأجهشت بالبكاء...

وما لبث الصبيان أن ضجّا في عويلهما معها بخوف وألم... تلمست بطنها وسرت رعدة الفزع في ظهرها وجعلت الدم يهرب من وجهها، كيف صدقته وسلمت نفسي له؟ أنا المغفلة صدقته ورحت الهث وراء السراب الذي أشارت إصبعه لي.. ارحمني يا رب الرحمة.. احمني.. ساعدني... وأزداد نشيجها وعيون صغيرها تتعلق بها.. يشدها رعب غامض .. يساعدني الله.. أنا الآثمة المجرمة..زنيت وأريد أن يحميني الله .. لا.. أنه ينتقم مني... يريني عقابه كيف يكون.. يا رب خلصني هذه المرة فقط هذه المرة يا رب ..

أين أهرب.. ؟ أين أذهب؟[1] .

حليمة وجدت نفسها أمام واقع مفروض عليها أرغمت عليه على الرغم من إسهامها في هذا الواقع حين استسلمت لحسين ومعرفتها بنتائج واقعها هذا لم تقدها إلى حل بل زادها رغبة بالتواري والعودة إلى نقطة البداية قبل علاقتها بحسين واستسلامها له، فعالية المؤثر الخارجي الضدي هو الذي وجه الصراع نحو هذه النهاية، فالعلاقة الجنسية التي ربطت بين حليمة وحسين علاقة مستهجنة بديهياً لأنها غير شرعية إلا أن الوهم الذي سير حليمة أباح لها مواصلة هذه العلاقة وفجأة تكشفت الأمور بواسطة العلاقة الضدية الخارجية، أفاقت حليمة من الوهم الذي كان يراودها عندما هجرها حسين تاركاً لها أثراً لا يمحى من أثار العلاقة غير الشرعية التي ربطتها إلا بالحل الذي اختارته حليمة وهو الانتحار الذي عُد نتيجة مأساوية حتمية للصراع الداخلي الذي عاشته .

أن الأصداء وردود الأفعال تجاه المؤثرات الخارجية الضدية تختلف باختلاف شدّة تأثير التضاد الخارجي، فهناك صراع تخرج منه الشخصيات منتصرة لأنه يرتبط بقناعتها وثباتها وقوة الشخصيات نفسها، وأحياناً تبدو لنا الصراعات هي المنتصرة إذا ما أثرت

([1]) الظامئون ، المطلبي ، ص 227 .

بفعاليـة علـى الشخصـيات المنهـارة والمسـتلبة والسـلبية، وتحـدث تغييـراً فـي القناعـات وتحولها إلـى قناعـات زائفة وخاطئـة حين تلقـي العلاقـة الضـدية الخارجيـة بتأثيرها الحـاد والمـدمر، ويبـدو أن الغايـة مـن هـذه الحركـة والتـأثيرات هـو تحقيـق حركـة دراميـة داخـل البنـاء الروائــي الـذي يبـدأ غالبـاً بنقطـة لبدايـة الصـراع ثـم تحركـه العلاقـات الضـدية الخارجيـة تـارة، والعلاقـات الضـدية الداخليـة تـارة اخـرى ويتـداخل تـأثير نـوعي العلاقـات الضدية حسب الأحداث والوقائع التي يخطط لها الروائي .

ثانيا – العلاقة الضدية الداخلية سبباً للعلاقة الضدية الخارجية :-

أن الأحـداث التـي تكتنفهـا الحبكـة فـي العمـل الروائـي تسـير علـى وفـق نظـام وتسلسل يفرضـه عليها الصـراع الـذي يرغـب الروائـي بالإشـارة اليـه وتوظيفـه، ولأجـل أن تكـون هنـاك روايـة ولكـي تكـون مفهومـة لا بـد مـن تـوفر الأحـداث المنطقيـة، ولأجـل أن تكون هناك شخصية لها سماتها وسلوكها لا بد أن يجعلها الروائـي تحتكم إلـى مجموعـة من التأثيرات المختلفة ويعرضـها للصـراعات لتكتشـف لنـا ميزات الشخصـية وحالاتها لـذا فأن شبكة الأحداث تتكون عبر انطلاقه أو مؤثر يشكل نقطـة البدء ثـم تدور حولـه أو

تتفرع عنه حركة الأحداث التي غالباً ما تكون هي الصراعات نفسها التي تمتاز بأبعادها المختلفة ومعطياتها المتنوعة يدعمها الروائي بالعوائق والموانع ليشد من خيوط الحبكة الدرامية ويقويها، والعلاقات الضدية الخارجية صورة من صور تجسيد الصراع التي تشكل محركاً للأحداث عموماً ومن المسلم به أنها مولدة للصراع الداخلي (العلاقة الضدية الداخلية) بفعل تأثيرها، ألا أنه لأجل أن يصبح السرد متماسكاً ينتظم في داخله عدد وافر من الوقائع والأحداث والصراعات لا بد من تأثير للصراع الداخلي، فحين يقع الحدث أولاً يتردد صداه في النفس ليشكل الصراع الداخلي، عندما يولد هذا بدوره حدثاً ضدياً خارجياً، فدور الصراع الداخلي لا يقتصر على تمثيله لردة الفعل تجاه الصراع الخارجي إذ غالباً ما يتولد عن الصراع الداخلي صراع ضدي خارجي وحدث مادي وعلى هذا تكون الرواية أشبه بعالم ينبض بتلك الحركة الدائبة التي تمنح الأشياء والأحداث تغييرها ونموها وتحولها والتي يمثلها ذلك الصراع المرير الذي"يؤثر فيمحو ويبدل ويغيير لكي تظهر صراعات أخرى"[1]، فالصراع الداخلي لا ينفلت عن كونه مؤثراً اخر من ضمن المؤثرات التي تحكم البناء الروائي لا سيما بعد اتجاه الرواية الحديثة نحو العوالم الداخلية ولم تعد تكتفي بالعرض والوصف الخارجي فضلاً عن أن العالم الداخلي أصبح العالم الحقيقي والكون الأكبر والقوة الحقيقية التي تشكل الحياة وتنطوي على التهويم والأحلام والذكريات حتى أصبحت مادة ثرة تعبر عن صدى الأشياء في الأعماق الإنسانية. فأن ردّات الفعل الناتجة عن العلاقات الضدية الداخلية غالباً ما تكون أكثر قوة وتأثيراً من غيرها لأن صور اللاوعي تتواتر لتشكل العالم الداخلي .الذي يعد الزمن الحقيقي للظواهر ويبدو أن قوة التأثير تتخلق نتيجة حقيقة مفادها "أن الروائي لا يستطيع أن ينجز مهمة صنع عوالمه دون هذا الانشداد والافتراق بين الشخصيات والواقع والشخصيات فيما بينها"[2] .

ويبدو ايضا ان قوة تأثير العلاقة الضدية الداخلية في نتائجها يعود إلى الاتجاه نحو العوالم الذاتية بعدما أصاب العوالم الموضوعية ومرتكزاتها من تغيرات هائلة

([1]) ينظر الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة، سعد عبدالعزيز ، ص 16 .

([2]) ينظر، عصر الرواية، مقال في النوع الأدبي، محسن جاسم الموسوي،ص16 .

وتنقلات، لذا فالاتجاه نحو الذاتية والعالم الداخلي أثر في أحداث نتائج وردود أفعال خارجية (مادية) أشدّ تأثيراً وقوة والظاهر أن الداعي إلى ميل الروائي إلى صنع هذه الانتقالات التي تشكل الواحدة أساس الأخرى هو حاجته إلى تعددية الرؤى وتنويع النظرة إلى الحدث بشكل عام وإظهار ردّات فعل بصور متنوعة فضلاً عن فردية الشخصيات وتمايزها فيما بينها بأصول وثوابت تخص كل شخصية، والروائي الذي يسعى إلى أدراك وأحاطة كل هذه التنويعات لابد أن يوفر التوازن بين هذه الأضداد مع الاعتبارات الجمالية التي ينشدها في عمله الفني .

ومعروف إن الرواية العالمية قد سبقت الرواية عندنا في الاحتكام إلى أسس وظواهر البناء الفني في حبكتها لذا من البديهي أن نلمس أمثلة متعددة عن وجود الصراعات الخارجية المترتبة على الصراعات الداخلية، فالعلاقة الضدية الداخلية التي عاشتها (أنا) في رواية (أنا كارنينا)[1] لتولستوي أفرزت صراعاً خارجياً عنيفاً هو حادث أنتحارها، فالصراعات والضغوطات والقوى التي كانت أكثر فعالية من قدرة أنا، قادتها إلى صراعها الداخلي الشديد وأزمتها النفسية التي نتج عنها أنتحارها وهو حدث مادي خارجي شديد الفعالية، ونجد الظاهرة نفسها عند غوستاف فلوبير الذي عرض (أيما) في روايته (مدام بوفاري)[2] إلى صراع داخلي وجنون (وارن سمث) في (السيدة دالاوي)[3] لفرجينيا وولف هو صراع خارجي قادته اليه أهوال الصدام الكوني الذي عاصره بعد أن فقد انسجامه مع العالم الخارجي، ومرض (السيده كمبسن) التي آلمتها سوء سيرة أبنتها الشائنة في رواية (الصخب والعنف)[4] لوليم فولكنر، هو علاقة ضدية خارجية إثر صراع داخلي. أما ثلاثية[5] نجيب محفوظ فالصراعات الخارجية الناشئة عن صراع داخلي فيها تتعرض لها أغلب الشخصيات فيها، نلمس منها أقدام كمال على معاقرة الخمر وارتياد دور البغاء بعد صراعه الداخلي نتيجة الأحباطات المتعددة

([1])ينظر ، أناكارنينا، تولستوي .

([2]) ينظر، (مدام بوفاري)، غوستاف فلوبير .

([3]) ينظر، (السيد دالاوي)، فرجينيا وولف .

([4]) ينظر ،(الصخب والعنف)، وليم فولكنر .

([5]) ينظر ،ثلاثية نجيب محفوظ .

التـي أصـابته، صـراعه ضـد قسـوة والـده، وزواج محبوبتـه واكتشـافه لحقيقـة دوره بالنسـبة لهـا. أن تشـابك العلاقـات وتنوعهـا فـي الحبكـة الروائيـة هـو الـذي يحتـم وجـود ردات الفعـل خاصـة فـي الروايـة التـي تعتمـد علـحركـة الأحـداث الواقعيـة المسـتمرة، ويبـدو أن الروايـة العراقية كانت أمينة في نقل الأحداث الواقعية بصورتها المقنعة، وإستيعاب حركة الحياة الضاجة بالصراعات خاصة بعد ازدياد مستوى الإدراك الشخصي عند الأفراد لمختلف معطيات الواقع وأبعاده.أن الرواية العراقية تميزت بشدة حركة أحداثها وخلقت عالماً من الصراعات المتبادلة والمتولد بعضها عن بعض في شبكة من حلقات التضاد لانهاية لها إلا النهايات التي يضعها ...الروائي بمنطقية تحكمها فلسفته الخاصة التي تسير موضوعه. وهو في الوقت نفسه يمتلك زمام الحركة في توقف حركة الصراعات بالنهايات المنطقية ويغني تلك الحركة في أحداث رواية لنلتمس ردود الأفعال تجاه التضاد الخارجي والداخلي، لتتكون حلقات التضاد والاختلاف وعلى نحو ما كان للمؤثرات الخارجية الضدية من ردود وأصداء داخل العوالم النفسية الداخلية مكونة العلاقات الضدية الداخلية، كانت هذه بدورها مؤثرة إلى الحد الذي يعود فيولد حدثاً خارجياً ضدياً مكوناً علاقة ضدية خارجية مرة أخرى. أن هذا التولد والتخلق يتيحان للروائي التخلص من مشكلتين أولاهما التجربة المأزومة غير المحلولة، وثانيها التكرار الممل في المتابعة الزمنية لرصد حركة الشخصيات وأفعالها لذا فأن المقابلة والتعارض يساعدان الروائي على تجنب المباشرة والتقريرية فضلاً عن أن هذه العلاقات الضدية تجتمع لتكون رؤى متعددة تتناغم هذه الرؤى حياتياً فتمنح الانسجام للأحداث والمواقف داخل العمل الروائي[1] وهذا ما نلمسه فعلاً عند إسماعيل فهد إسماعيل الذي يتجه إلى هذا التولد والتخلق المتبادل للتضاد في أغلب نتاجاته[2] وردود الأفعال المختلفة التي لمسناها عند شخوصه لتتكون علاقات التضاد بنوعيها، وبعد ما طالعتنا به مساحات واسعة من رواياته التي أكتنفت وجود العلاقات الضدية الداخلية نتيجة

([1]) ينظر: عالم الرواية،ص166.

([2]) ينظر ،الرباعية لإسماعيل فهد اسماعيل ، كانت السماء زرقاء المستقعات الضوئية االضفاف الأخرى، الحبل، خطوة في الحلم.

للتضـاد الخارجي،نطـالع مـرة أخـرى وجـود التضـاد الخـارجي نتيجـة العلاقـات الضـدية الداخلية، فطلاق البطل لزوجته في رواية (خطوة في الحلم)، هي علاقة ضدية خارجية نتجـت عـن الأزمـة النفسـية الحـادة التـي : كـان يحياهـا البطـل. بطـل الروايـة انتقـل أنتقالات عديده نتيجة تأثره بالصراعات فبعد الصراع الخارجي المباشر الذي عاشه مع زوجته أولاً ومحيطة ثانياً تولدّت لديه حالة من الحصار النفسي الذي أخذ يتراكم إثر أزمات متعددة ومتلاحقة أذكاه التعارض بين وعي الشخصية نفسها وبين وعي الزوجة الذي كان مفروضاً على شخصية البطل، إلى أن حصل التحرر من هذا الحصار والصراع النفسي بواسطة حدث مادي تولد عنه صراع خارجي، وهو هجرة لزوجته وطلاقه لها، بعد سلسلة من التعارضات التي أكتنفت حياتهما، فالطلاق شكل علاقة ضدية خارجية افرزه الصراع الداخلي للبطل والواقع، أن الطلاق يحمل مغزى تحرر البطل ما كان يحاصره ومن صراعه الداخلي، لأن إحساسه بالحصار والمراقبة فضلاً عن شعوره بأنه مسير بقناعات الآخرين كان يشف عن تمرد خفي، أخذ يتصاعد مع سير الصراع الداخلي .إلى أن حدث الانقلاب فجأة بولادة العلاقة الضدية الخارجية:

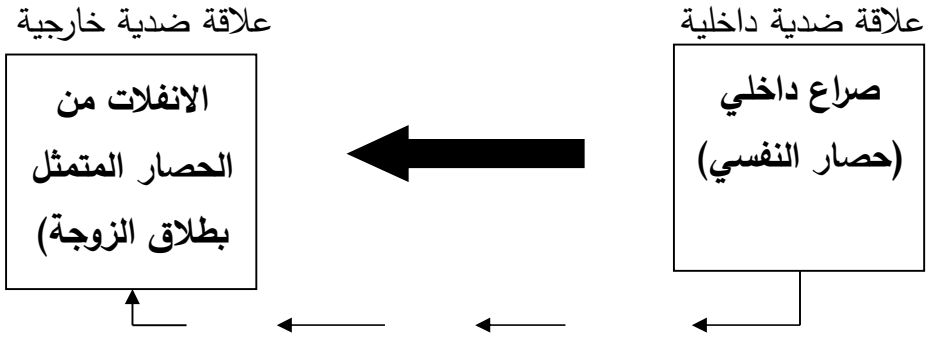

أن محاولة إبراز دور الصراع من خلال الحياة الزوجية أو المواقف بين الزوجين كان الغاية منه تصعيد الصراع الداخلي لنتخلق العلاقة الضدية الخارجية، ويبدو أن شدة الصراع الداخلي هو ما يبرر تولد الصراعات الضدية الخارجية، إذ أن الصراع الداخلي لا يكون كافياً أحياناً لأستقراء النماذج الإنسانية وصراعها، وتقديم ذهن الشخصية

للقارئ غير كاف أيضاً إذا لم يدعم بالصراعات الخارجية ولعل هذا هو ما يشكل الربط- الذي يجب أن يكون منطقياً- بين العالمين الداخلي والخارجي .

وفي ضوء هذا التصور أمكن الجمع بين هذه التضادات بنوعيها لأن بعضها يعمل على الإبقاء على البعض فالصراعات الخارجية المتعددة التي عاشها البطل من فشل في العمل الثوري وتناقضه مع محيطه ثم انحصاره في حياة زوجية تشده إليها وتقيدهُ اكثر من تحفيزه للتفاعل معها من خلال زوجة لعوب متقلبة تسد عليه منافذ الضوء الذي يمكن أن ينير حياته بأشراقات هو في أمس الحاجة إليها، فتولد الصراع الداخلي نتيجة الصّدام المستمر بين الرغبة في السيطرة على ذاته وعالمه وتحقيق مكانياته، وبين قدرته التي تخذله في أداء ذلك فيواجه الصّدام مع زوجته بتلك السخرية التي هي سخرية من ذاته أولاً وغلبة الواقع الداخلي الذي كان يستدعيه لبث صراعه في تلك المواقف والدفقات التي كان يحياها البطل حتى اللحظة الداخلية وارتباطها باللحظة الخارجية عند ذروة الصراع الداخلي يصاحبه رد الفعل وهو قرار المغادرة والتخلص من حصاره وترك زوجته لوحدها .

-" قلت وأنا أخطو بصدد الابتعاد. عندما استوقفني صوتها محملاً بتوقع مفزوع:

- إلى أين ؟

- فأقف ملتفتاً. عيناها بإحساس الخذلان .

- ستعود إلينا بعد قليل.. أليس كذلك ؟

قرار معين يتطامى في صدري.

- لا أظن

- أنت متعب ؟

تقول بمواساة صادقة وتضيف بطموح متلاشٍ:

-سأراك في البيت عند نهاية السهرة !

قرار معين يتطامى صدري .

- لا أظن .

- **هل معنى هذا**

قلت ولم تكمل. غصة مفاجئة تطبق على خنجرتها. فأجبتها بما لإيدع أي مجال للحلم:

-بالضبط

وأستدرت

لكن[1]

أن سلسلة الأزمات والتضادات التي شكلت صراعه الداخلي هي التي أملت عليه التخلص من جوه الخانق الذي فصله عن عالمه الأصلي، لذا كان عليه أن يكتشف . صورته الحقيقية وأن ينزع جلده الذي كان عليه "ليس من السهل على أنسان ما أن ينزع جلده"[2] ولم يتحقق ذلك الا بانبعاث جديد أو استثارة جديدة هي الحدث الخارجي الضدي المتمثل قراره هجر حياته وزوجته لأنه أصبح يرى أشرا قات النور التي كانت خافية عنه خارج باب القاعه التي كان يسهر فيها مع زوجته وأصدقائه، لذا فأن خروجه منها، يعطي الانطباع والمغزى عن خروجه الكلي من حياته الماضية **(شيء كبير ينهدم في داخلي وزوجتي تعاني من انهيار عصبي وعازف الجيتار بحيرة مثيرة للشفقة أن أي فك لارتباط عاطفي يعني خسارة حتمية لطرفي العلاقة)**[3] حين أخذ البطل يفقد دلالات حياته وشخصيته شيئاً فشيئاً بتمادي زوجته وتحول الواقع من حوله حتى أصبحت الفجوة بين رغبته وقسوة الخارجي فوق مستوى قدرته لينشأ صراعه الداخلي الذي يعبر عن تمرده ومن ثم نتج عنه أنقلابه. ويختلف الدافع والمؤثر في توليد هذا النوع من العلاقات الضدية- الخارجية – إلا أنها تصب في اتجاه رسوخ المبدأ والأيمان حتى وأن تعرض لأختلال التوازن- أثناء الصراع- فرد الفعل المتولد عن العلاقة الداخلية هو تعبير عن ثبات مبدأ أو تمرد على واقع أو تصحيح لمسار خاطئ غالباً، أو العكس ويرتبط هذا بتعدد الشخصيات وسماتها الفردية

([1]) خطوة في الحلم، اسماعيل فهد اسماعيل ، ص 155،ص 156 .

([2]) المصدر نفسه، ص 157 .

([3]) ينظر، خطوة في الحلم، اسماعيل فهد اسماعيل ، ص 155،ص156 .

من جهة، واختلاف المؤثرات والدوافع من جهة أخرى، فضلاً عن السمات النفسية والفسلجية المرتبطة بالملاحظة الشديدة للواقع والأحداث والأمور والظواهر. ويبدو أن ردات الفعل هذه تظهر لنا– فضلاً عن توفير الحركة والنشاط داخل البناء الروائي– النماذج الإنسانية المختلفة التي تتعرض لأشكالات، وتقع في تضادات وتناقضات، وتتيح لنا التأمل الكامل والصادق لمختلف الحالات، وهذا يعني أن العمل الروائي فضلاً عن وظيفته الفنية، يطرح لنا الحالات والنماذج الإنسانية وهذا ضروري لتعميق الوعي عند القارئ ورفع مستواه. فشخصية (حسين) في رواية (النخلة والجيران) التي تعرضت لصراع داخلي وأفرز هذا الصراع علاقة ضدية خارجية، تشكل أحد النماذج الإنسانية التي تتعرض لنقطة تحول تولد علاقة ضدية خارجية إثر صراع داخلي فيها فنقطة التحول التي ولدت علاقة ضدية خارجية تمثلت بقتله (محمود أبن الحولة)، وأحد شخصيات الرواية، (حسين) مع ما مارسه من سلبية وتضادات مع محيطية، يتعرض فجأة لصراع داخلي يقوده إلى حدث خارجي ضدي، ولو أن العلاقة ليست مباشرة بين موضوع صراعه والحدث الضدي الخارجي(حادث القتل).حسين بعد أن حصل على مبتغاه وهو بيع بيت والده أخذ يمني نفسه بحياة جديدة مع عشيقته تماظر وأخذ يهيئ لهذه الحياة ليصدم بهجرها له عندها يأخذه صراع عنيف وشديد يؤدي به إلى ارتكاب جريمة قتل بحق محمود أبن (الحولة)

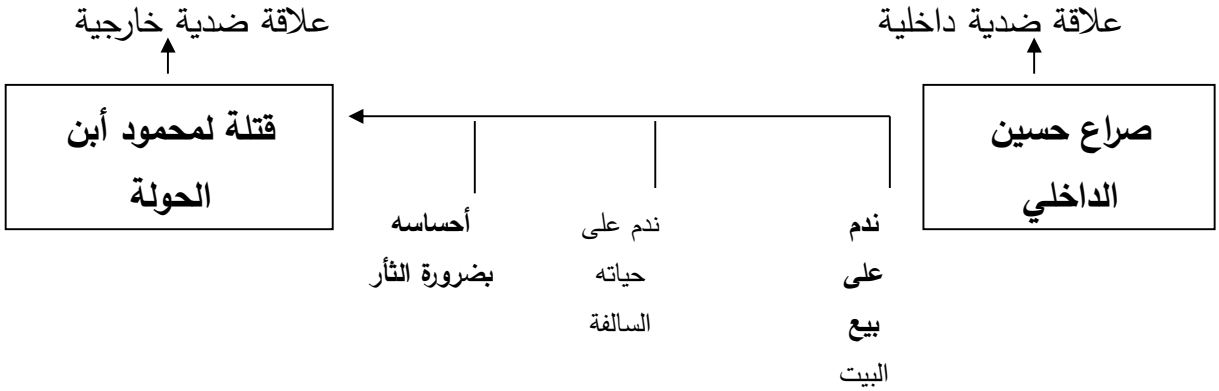

هجر تماظر أيقظ في نفس حسين تراكمات السلبية التي مارسها في حياته ضد من حوله، وفجأة تأجج صراع حسين الداخلي وأثيرت كوامن النفس الضغوط التي فعلت

فعلها وأفضت به إلى هذا الحدث. ففي حياة حسين كثير من التفاصيل متضادة مع واقعه المعاش لذا كان صراعه الداخلي بداية الثورة على هذه السلبيات– ليبدأ بتصحيح هذا المسار من وجهة نظره، فقتل (محمود) الذي كان قد قتل (صاحب) صديقة، ثم تراجع في موقفه تجاه زوجة والده، ومحاولته العودة في قرار بيع البيت، ويبدو أن حسين قد وجد نفسه في حالة من حالات المواجهة التي تتكشف للرؤية الإنسانية والتي تقترن بالعودة إلى الذات، وتصحيح هذه الرؤية لأب أن يسير عبر فعل مؤثر وهو في عرف حسين ما بدأ به (أعني قتله لمحمود). ويبدو أن خضوع حسين (للحظة) تسمى في لغة الأدب بلحظة التأمل والأكتشاف هي التي منحت دواخله هذا النهوض الذي حول حسين وفجر العلاقة الضدية الخارجية التي أفرزها صراعه الداخلي:

"حينذاك فقط أدرك أنه لا جدوى من الانتظار وأنه وحده في عالم هاجع تسربت منه كل حرارة الأمل التي كان يتدفأ بها. وكأنه أنقلب عارياً أمام برد الشتاء. فجعل يصطك عندما غادر زقاقها. وراح يركض كاللص الهارب، وترددت خطواته المخلخلة غير الموزونة في صمت الدروب مرسلة صدى أخن" .

أن صراع حسين الداخلي الذي ظهر فجأة أيقظ كثيراً من التساؤلات في نفسه ورجع به إلى تـــــرددات الماضـــــي إلـــــى هامشـــــيته وســـــطحيته:[1]

"اشتاق إلى بيته في حي الصافن هناك آمن وأدفأ، وبغصه مسحوقة فكر مع نفسه. أنه لن ينام أبداً في تلك الحجرة بعد (الآن) .لن يرى النخلة القميئة ولن يغتسل قربها، ولن.. لاحت زوجة أبيه في خياله مطبقة الجذع، منكبة على مخدتها تبكي بنفس الصورة التي رآها فيها يوم العيد. وهز رأسه.. أستعجل الذهاب إليها. ماذا تفعل الآن، ماذا تقول في قلبها عنه وناز عنه نفسها إلى محلته إلى بيته، إلى صاحب أبو البايسكلات، والشارع العريض وأحمد الجايجي ونهض مصمماً على أن يذهب إلى بيته[2] .

([1])النخلة والجيران،فرمان ، ص 248 .

([2]) المصدر نفسه، ص 250 .

صراع حسين أذكاه اختفاء تماظر الذي كان يبدو مؤثراً لدرجة جعلت حسين يصمم على الانقلاب على واقعة وحياته السابقة لذا فأن أول ما أفرزه هذا الصراع هو انتقام حسين من (محمود) وهو أحد الأشقياء الذين عانى منهم حسين وغيره، وصراعه هذا جعله يدرك ضآلة دوره في الحياة وانسحاقه أمام قدرات أقوى منه لذا ثار وأنقلب حتى شكل قتله لمحمود ردّ فعل تجاه ما عاناه من ضعف وسطحية وهكذا أتجه إلى رمز تلك القوى التي كانت اكبر من قدراته والتي كان يقع تحت وطأة تأثيرها هو وغيره:

"تقدم حسين خطوة: وكان يقبض على السكين وهو في حزامه، وأخرجه بحركة سريعة راعشة وسحب (الياي) وبحركة واحدة لا تدبير فيها دفع السكين وأنزله بقوة على الجسم المتكئ على الحائط في مكان ما اسفل الرقبة"[1] .

هذا الحدث الخارجي الضدي أبرز أن حسين لم يكن مأزوماً نفسياً بقدر ما كان متخبطاً وعشوائياً. لذا أقدم على القتل ليحقق قدراً من الرضى والقناعة (والتكفير) عن سلبيته التي مارسها تجاه محيطه، أن الصراع الداخلي متى ما أفضى إلى علاقة ضدية خارجية، بهذه العلاقة معطيات الصراع النفسي من جهة وطبيعة الشخصية وسماتها من جهة أخرى، فالشخصية قد يضعفها صراعها الداخلي فيسكنها أو يقويها فيثيرها او يسكنها ثم يثيرها .

وفي كل الأحوال لابد من حصول ردّة فعل خارجية تعبر عن هذا الصراع الداخلي– إذا ما أراد الروائي أن يعبر عن ذلك– فالصراع الخارجي يشكل جزءاً من التخلص من التراكمات النفسية التي تخلق الصراع الداخلي، فللتحول والثورة داخل النفس إصداء تمثل ردّات الفعل والتي غالبا ما تشكل مقاييس لفعالية الصراع الداخلي، ولو أن هذه القوى لا تتجسد دائما لدى جميع الشخصيات بل نجدها فقط عند الشخصيات القابلة للتحول والتغير والانتقال لذا فمن الطبيعي أن نلمس خمول الشخصيات التي تتمتع بمستوى ضعيف من الوعي يقابلها ثورة الشخصيات القوية بإدراكها ووعيها، ولهذا نرى (منيرة) في رواية الرجع البعيد تجابه مأساتها بهدوء شجاع وترد على صراعها الداخلي بعد ذلك بهجر محيطها ومكان .مأساتها، التي بقيت تدور وتتصارع داخل نفسها الجريحة، عندها يتولد عن ذلك قرارها بهجر كل شيء لتحيا حياة أخرى في مكان آخر، فتطلب نقلها من مدرستها وتهئ نفسها للرحيل مع والدتها، الأمر الذي شكل علاقة ضدية خارجية (لعدنان) وأهله أن صراع (منيرة) الداخلي لم يفقدها توازنها على الأقل ظاهرياً وأنما سار بتكتم وهدوء لأنها تدرك أن

([1]) المصدر نفسه، ص 284 .

استسلامها يحول دون اتصالها بالعالم فضلاً عن التقاليد الاجتماعية التي قد تدينها. لذا فأن قرار رحيلها قد جسد ما كانت تتمتع به من أمكانيات في تحطيم حلقة مأساتها التي خنقتها:

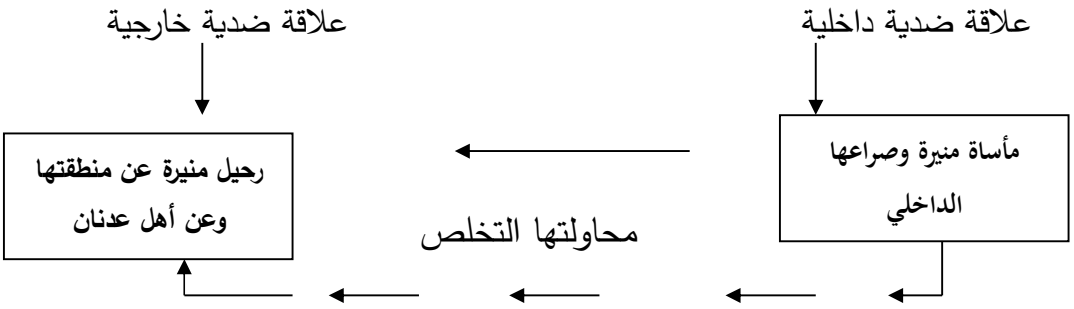

شكل يوضح صراع منيرة الداخلي، وقرار رحيلها إثره

ويبدو أن قرار الرحيل أظهر قوة شخصية منيرة التي جابهت مأساتها بهدوء ظاهر على الرغم من جيشان صدى المأساة في داخلها التي: فرضت عليها البحث عن عالم جديد وتتكتم على ما حدث وتغمض عينيها عنه وتتخطئ كل العقبات في طريقها ووجودها الذي دمر .

"لست ضحية كما تقتضي التقاليد ولا أنا ذبيحة مجهولة على جانب الطريق ولا ريشة كما يقولون في مهب الريح اني احس بأني اجمع طرفاً من كل معنى من هذه المعاني انا ضائعة بين تعاسات وقذارات يجب ان لا تعلم ، ولست أشكو لأني لا يجب أن أشكو، وأفضل ما أقوله لنفسي : أن ما تبقى مني كان يمكن أن يدمر أيضاً وهكذا تعلمت خلال وقت صغير جداً، وأن أفكر بما تبقى لي، وأن أعني به، ولذلك شطبت على بعض الصناديق الكبيرة في حياتي، وبدأت أجرجر أطرافي المهشمة كي الحق بذيل القافلة وأمكث هناك بين مثلومي النفس

ومطعوني القلب، يمكن أن تعيش دون كبرياء أو مجد ليس بينهم أي معنى لطموح البشر، للمستقبل.. هناك نجد السعادات الصغيرة الرائعة أحياناً .[1]

أن محاولة منيرة الوقوف على قدميها هي التي دفعتها إلى الرحيل وترك مخلفات المأساة وراء ظهرها، ورحيلها فاجأ شقيقتها التي تسكن معها منيرة، وعائلة شقيقتها وعدنان (صانع المأساة وبطلها) لذا نرى والدة منيرة المتسائلة دوماً عن سبب الرحيل، وعدنان الذي ما أنفك يلاحق منيرة وكأنه غير مستوعب لمشكلة خالته ولا مأساتها، والتي وصلت عند المنحدر قبل أن تتمالك منيرة نفسها وتعيد لمّ أجزائها المتشتتة، وهي بهذا تصارع من أجل الحياة ومن أجل البقاء فيها بهدوء منسية لا تتطلع نحوها الأعين ولا تشير إليها الآيدي هذا ما أرادته منيرة بنتيجة صراعها الداخلي .

وهذا يقودنا إلى استنتاج مفاده أن الشخصية قد تتعرض لكل مؤثر وأي مؤثر، خاصة عندما تتحول هذه المؤثرات تحويلاً درامياً فيتيح الفرصة للشخصيات داخل العمل الروائي للكشف عن نفسها وهي واقعة تحت تأثير هذه المؤثرات، وهذه مرونة يمتاز بها العمل الروائي الذي يحمل هاجس التعبير عن عناصر حياتيه لا تحصى لها أداؤها الرمزي ووظيفتها .

فالمؤثرات تباينت وتنوعت حركتها داخل العمل الروائي وهي قادرة على خلق التضاد في أحداثه ولا ينفصل عن ذلك كونها ذات تأثير مباشر أو غير مباشر لأن أساس العمل الروائي يكمن في خلق هذه التضادات والصراعات لبناء شبكة الأحداث.

ويمكن أن نلمس أنواعاً أخرى من المؤثرات التي تدفع إلى خلق مثل هذه التضادات، فالمؤثر السياسي في رواية (المسافة) ليوسف الصائغ ولد صراعاً خارجياً إثر صراع داخلي من خلال تضاد الشخصين (هو) و(القتيل) [2]. وهما ينتميان إلى حزب يعمل ضد السلطة الحاكمة، يحدث أن يلقى القبض عليهما، فيعترف (هو) خلافاً لـ(القتيل) الذي يصمد ولم يعترف، عندها يلجأ الجلادون إلى استخدام (هو) للضغط على (القتيل) للاعتراف فيحدث ذلك الصدام النفسي الرهيب لـ(هو) إثر ثبات وصلابة (القتيل) .

([1]) الرجع البعيد ، التكرلي ، ص 203 .

([2])لقد رمز يوسف الصائغ إلى الشخصية الأولى بـ(هو) والشخصية الثانية بـ(القتيل) .

حركة (هو) عبارة عن فعل ملموس، هو قيامه بتعذيب (القتيل)، تعذيباً وحشياً ليبرر سقوطه بخيانته لرفاقه واعترافه عليهم، عندها يستخدم أداة من قبل الجلادين ليضغط على (القتيل) وينتزع اعترافا منه، أن إيغال (هو) في تعذيب زميله كان يتزايد باطراد مع صراعه الداخلي، وكلما أشتد تأزم (هو) زاد في تعذيبه (للقتيل):

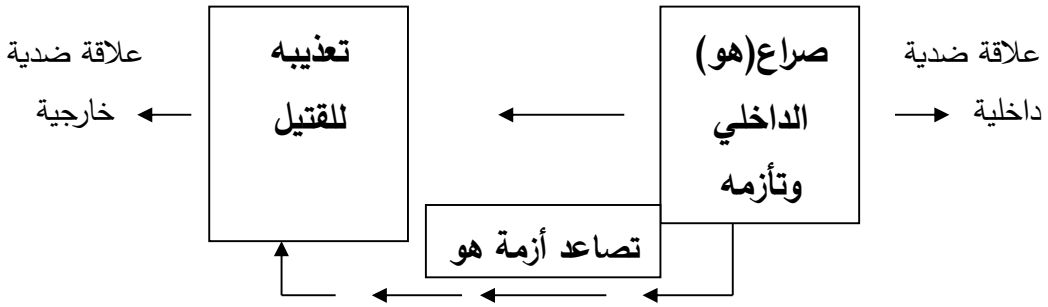

شكل يبين انتقال الصراع الداخلي إلى صراع خارجي

(هو) سقط سقوطاً ذريعاً باعترافه على زملائه، وهنا تماشى سقوطه النفسي مع هذا السقوط حين يشعر بضآلته وسمو زميله الذي لم يتراجع أمام التعذيب النفسي والجسدي، صراع (هو) النفسي يطفو على السطح حين يرتضى أن يمارس التنكيل بزميله وكأنه يرد على صراعه الداخلي بهذا الفعل الخارجي المضاد، الذي يزداد ضراوة بازدياد ثبات وصمود (القتيل)، ومحاولة (هو) التخلص من أزمته في الواقع تزيد منها، (هو) أعترف في لحظة ضعف في محاولة منه للتخلص مما قد ينتظره إلا أن صمود زميله كشف له ضعته وضعفه عندما تراءت لعينيه المقارنة بين الموقفين، وأملا منه في التخلص من الإحساس بالعذاب أخذ يعذب زميله بتحريض من الجلادين، إلا أنه في الواقع كان يعذب نفسه:

"أيها الغبي علامَ كل هذا؟... أنت تدري أنني سأهشم الساق الأخرى.. فأحذرني لست تدري كم يعتمل فيمن هم على شاكلتي من جنون .. يا صديقي أنني أعذبك وأتعذب... أفلا تحس هذا... هيا طاوعني.. تكلم..

وسمعت صوته دانياً يهتف:

- **لا..**
- **بل ستتكلم..**

همس:

- أبداً..

أي حلم كريه؟.. قلت لكم أنني كنت مجنوناً وفي غمرة من جنوني حملت المطرقة وأهويت بها على ساقي أنا هذه المرة.. هويت بها.. مرة مرتين..)[1] .

وفي النهاية يقوم بقتل (القتيل) وهو في الواقع ينهي نفسه هو ويقتلها، فالصراع الضدي الخارجي كان موجهاً ضده بالأساس وصراعه الداخلي أمتد إلى هذه النهاية التي خصته أكثر مما خصت (القتيل) الذي كان وسيلة كشفت (هو) وأنهته .

أن تولد الأضداد والصراعات وتبادل أدوراها لا غنى عنه في العمل الروائي لأنه يغني الأحداث التي تتطلب التعقيد والتصعيد لتعبر عن الحياة من زواياها القاسية، المختلفة، وعن تصارع جزيئاتها في كينونتها، وعن تعميق الرؤية للواقع والإحساس بالأفراد والمجتمع .

والرواية العراقية أستمدت صراعاتها كما هو معروف من واقعها الذي عانى كثيراً من التقلبات التي تعرضت لها جوانب الحياة المختلفة ، لذا نلمس حدّة الصراعات واختلافها وتنوعها في الرواية العراقية وعلى نحو مثير خاصة في الأعمال الحديثة منها التي اتجهت إلى تمثيل وتجسيد الصراعات بأنواعها، وردود الأفعال تجاهها .

([1]) المسافة، يوسف الصائغ ، ص 105 .

ثالثا:- تآزر العلاقتين الضدّيتين الخارجية والداخلية في البناء الروائي

تتجاوز الراوية تعريفاً محدداً أو تسمية واضحة لأنها جنس متطور له قوانينه وإبداعاته المرحلية ويترك بصماته في إبداعات العصور التاريخية. إلا إنه يعد في الوقت نفسه "جنساً أدبياً له قوانينه وأسسه المحددة بالاستهلال والثيمات والشخصيات والحوار والحبكة والفعل والصراع والتوازن والأسلوب[1]" فالرواية تفترض الفكرة والشخصيات وتفترض حواراتها وعواطفها ومصائرها، كما تفترض الصراع وتثيره وتضفي عليه مظهر الحياة إلى الحد الذي تستحوذ فيه الرواية على اهتمامنا وكأن الشخصيات الروائية مخلوقات من لحم ودم، والصراع وكأنه دائرة من دوائر الحياة [2] ، ويبدو أن استيعاب الرواية للهموم الإنسانية أتاح لها مهمة تصوير وتجسيد الصراعات بمعطيات مختلفة باختلاف الحوادث والأهواء الجارية في الزمن، فالصراع أصل من أصول الفن الروائي، "يتحرك" تحت وطأة بعض القوى المتباينة"[3] والتأثيرات المتنوعة التي تحقق للأحداث الوجود وللشخصيات التكوين، وهذه الأهواء والتأثيرات هي التي تدفع الشخصيات إلى الفعل والحركة وتزجهم في قلب الحياة ومعتركها وتعطي للروائي حق إبداع الأشياء والشخصيات وصور الحياة، وهو عندما

([1]) ينظر، التجريب في القصة والرواية/ سليمان البكري، ص 101 .

([2]) ينظر، عالم الرواية / ص 35 .

([3]) ينظر ، المصدر نفسه، ص 39 .

يخلق تلك الهيئات الحية أنما يسعى إلى التشبه بالحياة وأدراك كوامنها بواسطة انعكاسات التضاد الموجود في الحياة المتمثلة بالحركات المتناقضة للتصرفات والتصادمات والتي يبقى موضوعها البحث عن السعادة والامتلاء والحرية وصورها التي تشعرنا وتكشف لنا المتعة والألم، القيد والحرية، السعادة والشقاء، الموت والحياة بتلاحمها وانسجامها داخل البناء الروائي ويبدو أن الحبكة في العمل الروائي وقوة الفكرة تتطلبان التداخل والتآزر بين الصراعات وأنماط تجسيدها لتخلق تياراً متماسكاً من الأفكار والأحداث والحركات إلى جانب تيار الأحاسيس الإنسانية الخفية وجوهر الحقائق الداخلية للنفس البشرية، وهذا يحقق حركة الحياة المطلوبة داخل العمل الروائي الذي يتطلب بدوره تصوير الأفكار المتوازية والمتباينة والمتشابكة وأبراز النظرة المتعددة الزوايا التي ينظرها الفرد أو الناس تجاه عنصر أو موقف في فترات حياتية مختلفة والإشارة إلى رؤية الحياة والحركة في كل شيء .

فضلاً عن "أن السعي نحو الحقيقة السايكولوجية"[1] الكاملة والكشف عن القوانين الفردية المتنوعة وردات الأفعال الإنسانية، مما يبرر تحريك التضاد الخارجي والداخلي في أدوار متبادلة، وتلاحمها داخل نسيج العمل الروائي الذي يسعى إلى الكشف عن حقائق أخرى مضادّة لها في عملية جدلية يسببها ارتفاع وهبوط حدّة الصراع الذي تحكمه وتجسده قوتان، قوة العلاقة الضدّية الخارجية من جهة، وقوة العلاقة الضدّية الداخلية من جهة اخرى، وهنا يأتي دور الروائي في التوفيق بينهما وعكس معطياتها وأبعادهما، وتأثيرها داخل العمل الروائي. أن حدّة الصراع الذي تتنازعه العلاقتان الضدّيتان تأتي من "إمكانية وقوفها في صف منتظم"[2] داخل الحبكة عن طريق مبدأ السبب والمسبب الذي يحقق تماسكاً للعمل الروائي وأحداثه ينتج أساساً من الاتحاد والتآزر بين الأضداد وهذا بدوره يمكن أن يمنح الوحدة الداخلية للبناء العام للأحداث،

([1]) ينظر، الأفكار والأسلوب ،أ.ف. تشتيرن، ت،د. حياة شرارة، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ص 283 .

([2]) ينظر، فن الأدب الروائي عند تولستوي .ف.غ.أد يتكوف. ترجمة محمد يونس، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1986، ص220 .

وهذه الوحدة تعتمد في الأساس على (الفعل) وانعكاساته خارج الشخصية أولاً وفي داخلها ثانياً وبالعكس .

ولعل لتباين وتشعب العالمين الخارجي والداخلي أثراً كبيراً في خلق هذه الجدلية بين نوعي التضاد حتى أضحت اسلوباً للروائي في منح عمله الوحدة والتماسك للسرد والبناء، فضلاً عن أن حاجته إلى تجسيد الصراعات وشمولها بصور مقبولة حتمت عليه أظهار صورتي التضاد الداخلي والخارجي بشكل متلازم في أغلب الأحوال تحقيقاً للترابط المنطقي للأحداث، وتوفير أكبر قدر من الإقناع بجدة الصورة المأخوذة من الواقع الحياتي .

فالروائي أخذ يسير العالمين الخارجي والداخلي وفق فلسفة تقتضي جمع حقائق مختلفة عن العالمين عبر سلسلة من الأحداث أخذت الرواية تعبر عنها بصورة محسومة خاصة في روايات (تيار الوعي الداخلي) التي أخذت على عاتقها الكشف عن مدلولات الأحداث وحركتها داخلياً وخارجياً وربطها بالصراعات وتأثيراتها من خلال أدوار متآزرة رغم تباينها لإظهار صورة الصراع مكتملة ومنطقية.

ولا تكتفي العلاقتان الضديتان بتلاحمهما داخل البنية الروائية لسيرهما المتوازي أو المتعاكس أو المتشابك، بل أن أحداهما تصبح مدغومة [1] بالأخرى بصورة لا تسمح بعزلة إحداهما عن الأخرى خاصة في الأحداث والصراعات التي تدفع الشخصية إلى القيام بردود أفعال وانعكاسات أخرى، عندها يبلغ تآزر العلاقتين الضدّيتين قمته حين تتعرض الشخصية للوقائع الخارجية (التضادات الخارجية) فترد عليها بالوقائع الداخلية (التضادات الداخلية) وبالعكس.[2] فالتضاد الخارجي يتميز غالباً بإعطاء الفرصة للرد عليه، والتضاد الداخلي يفضي إلى استعدادات ومواقف تفضي بدورها إلى جولة أخرى من الصراع هذه المرونة أختص بها البناء الروائي لأن الرواية نمط من الأنماط الأدبية

([1]) ينظر: الرواية العربية في رحلة العذاب، ص 252 .

([2])يقودنا هذا إلى موضوع جدلية العلاقة والتي هي صورة من صور تآزر العلاقتين الضديّتين داخل العمل الروائي .

الذي يتجاوب ويتطابق كثيراً مع الواقع والمألوف وهذه المرونة تتطلب وعياً خاصاً من أجل أبراز الإنساق المتضادّه والصراعات .

أن تفاوت وتباين الأهواء والرغبات تتحول عند الروائي إلى أساسات وخيوط داخل شبكة التضادّ التي يكتنفها عمله الروائي محورها الصراع نفسه وهذه التقنية لا تتم إلا بأتحاد هذه المتضادّات بحيث تقودنا إلى أدراك الوقائع المادية من جهة والوقائع المعنوية من جهة أخرى، ولعل أتحاد وتآزر العلاقات الضدّية داخل شبكة الصراع يفضي إلى التماسك والأحكام المطلوبين لأحداث الأعمال الروائية إذ إن التضاد الخارجي إلى جانب التضاد الداخلي في صورة واحدة يشير إلى التقنية العالية التي تحسب لصالح العمل الروائي من حيث نجاح الحبكة التي يشكل تآزر العلاقتين

الضدّيتين جزءاً منها، فالصراعات الخارجية التي أكتنفت رواية (أنا كارنينا)[1] كان يساندها ويكملها الصراع الداخلي للشخصيات والتبادل في أدوار حركات الأحداث قد أغنى نسيج الرواية والبناء العام لها، فقد بدأت الأحداث عند نقطة خارجية مثلت الصراع الخارجي ثم تردد صداه وأنعكس إلى العالم الداخلية للشخصية، ليسير متوازياً مع الصراع الخارجي، هذا التوازي هو في الأصل تلاحم وتآزر لأن أهمية رصد الحدث الخارجي لا تنفصل عن الحركات الداخلية لمتغيرات الحياة وهي طريقة تقود إلى أدراك الواقع المتضمن للحركات الخارجية والداخلية .

والأمر نفسه عند فولكنر في رواية (الصخب والعنف)[2] حين شكلت العلاقات الضدّية الداخلية اصداءاً للعلاقات الضدّية الخارجية لذا نلمس الركن الفكري المنطقي فيها وهو يقدم أسباب ونتائج منطقية لحوادث وحركات مختلفة ، فالتضاد الخارجي كان أسباباً ومؤثرات والتضادّ الداخلي شكل نتائج وبالعكس وهذا ما حقق التوازن وسيطرة الروائي على الأسباب والنتائج التي منحته خاصية التقرير المسبق .[3]

([1]) ينظر، أنا كارنينا ، تولستوي .

([2]) ينظر، الصخب والعنف، وليم فولكنر .

([3]) ينظر، اركان الرواية، أ.م. فورستر، ترجمة موسى عاصي، جروسر بروس، لبنان، الطبعة الأولى، 1994، ص74 .

أما السيدة (دالاوي)[1] لفرجينيا وولف، فأنها تتمتع بتوحيد لعناصر العمل الفني والنظام الدرامي المكتمل[2] الذي أحياء تآزر اللحظات الخارجية وصراعاتها مع اللحظة الداخلية وردّات فعلها فالزمن الميكانيكي الحقيقي في رواية السيدة دالاوي يسير إلى جانب الزمن الداخلي ويلتقي به من خلال التكثيف الذي قامت به الروائيه، فالزمن المادي القى بتأثيره على الشخوص وفي الوقت نفسه نجد سيطرة الزمن الداخلي على كل ما يجري في ذهن الشخصيات[3] ، هذا التآزر بين الزمنين وما يجري فيهما من صراعات هو أساس التكامل في البناء العام للعمل الروائي وفي الأفكار وواقعيتها، ويبدو أن هذا ما ينم على نضج للرواية– رواية تيار الوعي الداخلي– قياساً إلى غيرها .

والرواية العربية الحديثة جاءت أستجابه لتحولات معروفة في المجتمع لذا أتسمت بتنويعاتها القائمة على ثنائيات ضدّية وصراعية[4] والتي وظفت العالمين الداخلي والخارجي في بنائها الروائي لأن من الواضح أن الروائيين العرب كانوا في بؤرة تناقضات العالم وصراعاته لذا فأنهم قدموا الوضع البشري بكل صراعاته وتضاداته[5] وأظهروا الشخصية في قمة تأزمها وأنفعالاتها وهي تتعرض لظروف ومؤثرات متباينة وصوروا تضادّات العالم الخارجي والداخلي خاصة عندما أتجهت الرواية العربية نحو الفرد ومشكلاته، على نحو ما فعل نجيب محفوظ في أعماله ومنها الثلاثية التي طمحت أكثر من غيرها إلى استحضار جزئيات المجتمع بكل ابعاده وتشابك علاقاته وتجسيد الصراعات الخارجي والداخلية، فكل صورة هي نتيجة لغيرها وبالعكس، فهناك قوى تتصارع وتصطدم سراً وعلانية وهناك مصالح وعقبات وعراقيل وهناك أحداث وأفعال والردود عليها، فكل التضادّات الخارجية التي تعرضت لها الشخصيات كانت

([1])ينظر، السيدة دالاوي، فرجينيا وولف .

([2])ينظر، الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة، ص83 .

([3]) المصدر نفسه ، ص 84 .

([4]) ينظر، الرواية النسائية العربية، سعيد يقطين، دراسة ، مجلة الاقلام، العدد الثالث ، حزيران، تموز ، 1998، ص 17 .

([5])ينظر، خصوصية الرواية العربية، إبراهيم فتحي، ص13 .

توازيها الصراعات الداخلية وتلتحم معها مكونة الحبكة والنسيج المحكم للثلاثية[1] فشخصية كمال أثرت فيها الظروف الاجتماعية وتحكمت في مسارها وطريقة تفكيرها وهو ما جاء على هيئة صراعات خارجية عبرت عن قسوة العالم الخارجي لكمال يكملها الصراع النفسي أو الشك الفلسفي والأزمة العاطفية[2] التي كانت عبارة عن ردود أفعال للمؤثرات الخارجية، فالأنسجام والتلاؤم بين الأحداث حققته تلك الصراعات بنوعيها في أدوار متبادلة مكنت الحدث من ممارسة دوره بفاعليته وبثقة خارج الشخصية أولاً ومن ثم داخلها فأصبح التفاعل بين التضاد الخارجي وأحداثه وبين التضاد الداخلي خلاقاً باعثاً على إخراج الرواية بما فيها من أحداث وشخصيات من سمة التقليدية والنمطية [3] أما الرواية العراقية فقد أستوعبت الهموم الإنسانية في ضوء معطيات البيئات التي عاشتها والواقع الذي عاصرته، وأظهرت هذه المشاكل والهموم ليس عن طريق الوصف والسرد فحسب بل أنها أبرزت نظرة كلية تحيط بالشخصية وتحدد جوانبها واظهرت التصاعد الدرامي والزمن الذي لم يعد زمنا آليا ، ووصفت لنا اللحظة الآنية في أحتدامها[4]، ورصدت وتغلغلت في الأحداث الداخليه وصراع النفس ووقفت بها إلى جانب الأحداث الخارجية وتضاداتها لتنتقل الرواية العراقية إلى مرحلة جديدة في مسيرة نشوتها تجاوزت فيها المآخذ التي خصت بناءها وفنياتها في بداياتها التي لم تكن تحمل هذا المستوى من النضج وهي مرحلة الحداثة والتجريب والتجدد الذي بدأه غائب طعمة فرمان في روايته (النخلة والجيران) حين وظف الروائي العراقي صراعات النفس والتضادات الداخلية إلى جانب التضادات الخارجية لكي يمنح أكتمالاً ومعنى لأحداث روايته وأذكى مسار الأحداث بالمواقف المتباينة والقضايا الساخنة، وصور عالم الوعي الحقيقي كما صور عالم اللاوعي (العالم الداخلي) الزمن الآلي

([1])ينظر، ثلاثية نجيب محفوظ .

([2]) ينظر، إبراهيم الهواري، البطل المعاصر في الرواية المصرية، ص 285 .

([3]) ينظر، عصر الرواية ، ص142 .

([4]) ينظر، التجريب في القصة والرواية، سليمان البكري ، ص 117 .

عنده إلى جانب الزمن الداخلي، مبتعداً عن الايغال في الوصف والسرد والأحداث المتطوره تطوراً أفقياً[1].

لذا فقد سجلت الرواية العراقية نضجاً يحسب لها من خلال احتكامها للعلاقات الضدّية بنوعيها لتجسيد الصراع وفق منطلق الحداثة الذي اتجهت اليه الرواية عموماً وهي بذلك تساير التجديد الذي طرأ على العمل الروائي .

ففي رواية (ظلال على النافذة) لغائب طعمة فرمان نلمح للطابع الفكري- الذي اتخذ قالباً فنياً ناضجاً- وجوداً حيث عالجت الرواية العوالم الداخلية للشخصيات وأبرزت ذهنيتها بحافز هو الصراع الخارجي، فالفوضى في العالم الخارجي تحولت إلى فوضى في العالم الداخلي فشكلت هذه بدورها تكميلاً لتصوير الصراع البشري ضد عناصر ومؤثرات مختلفة، فالصراع الخارجي الذي يتجسد بالعلاقة الضدّية الخارجية هو في الواقع وسيلة فعّالة لأستحضار العوالم الداخلية وصراعاتها التي تتجسد بالعلاقات الضدّية الداخلية فالعلاقة الضدّية التي عاشها ماجد خارجياً وداخلياً كانت عبارة عن صورة محكمة حين تداخلت الأزمنة وتآزرت الحوادث الخارجية والداخلية لتصب بأتجاه واحد يقود إلى نظرة شاملة لمستوى الأحداث[2]وفاعليتها، فالتضاد الخارجي الذي يمثله فشل ماجد النضالي ثم فشله في أيجاد وظيفة بشهادة الهندسة التي عاد بها من الخارج .وأحساسه بتأنيب الضمير إثر هرب زوجة أخيه كل هذه المؤثرات عبارة عن صورة أولى أقترنت بصورة ثانية فأكملها. لأن استمرار الحركة الضدّية الخارجية إلى جانب المناجاة النفسية والصراع النفسي وجمعها بالعلاقتين الضديتين الداخلية والخارجية أفضى إلى رسم صورة الحدث والحركة بوجهيها: التأثير الخارجي المتمثل بفشل ماجد في حياته السياسية والعملية، والتأثير الداخلي الذي مثله صراع ماجد النفسي وهنا يمكن أن نصل إلى درجة من الإحساس بنوعي الصراع بواسطة انفتاح العلاقة الضدية الخارجية على العلاقة الضدية الداخلية، فحبكة المشهد الروائي الخاص بصراع ماجد

([1]) المصدر نفسه .

([2]) الصيانية والتدميرية في رواية ظلال على النافذة، ياسين النصير، دراسة، مجلة الاقلام العدد 7-8 تموز، آب- 1992، ص55 .

تكونت من الأحداث الضدية الخارجية يؤازرها هواجس ماجد وتأملاته وتصوراته وتمرده الداخلي الذي أظهره وكشف عنه هروب زوجة أخيه من البيت:

"كم أقطع من وعود ! وأنا أبدو كسلحفاة مقلوبة على ظهرها قرب شاطيء الحياة، أرفس بأرجلي في فراغ الهواء يقابلني وجه السماء الجامد، وأتزحزح ببأس، على رمل شاطئ، عسى أن أعود إلى وضعي الطبيعي... متى... متى سأعود مالكاً إرادة التحرك، وانغمر في رجرجة الأمواج، وأتلذذ بملمس الرمل الهش المترع بالحياة؟وعدت أبي، ومن قبل وعدت أخي بأن أساعده في البحث عمن أبحث؟ عن أي ضحية؟ ضحيته أم ضحيتي؟ كلانا كانت له ضحية، بشكل أو بآخر.كلانا حاكت له الظروف قصة غامضة لم يعرف نتائجها. كلانا استجاب لوجدانه الذي تشكل بمعزل عن إرادته، في غفلة من الزمن.. أم كيف؟كلانا استسلم لصوت طاغ متعجرف ملح يظل يطن في أذنيه طوال العمر ...آه، لو وجدت واحدة من الضحيتين، على الأقل. إذن لأرحت شيئاً من ضميري المعذب. كلنا ذوو ضمائر معذبة. ألم يعترف أبي بذلك؟ ليتني أساهم في زحزحة الثقل الذي يبهظ كاهلي، أو أي واحدة منا..."[1]

ففي تيار الوعي الداخلي لماجد إشارة إلى الحدث الخارجي الضدّي الذي اجتمع مع الصراع الداخلي ليكون الرؤية الفنية للصراع الخارجي ومؤثراته، وللصراع الداخلي وتنويعاته داخل نفس ماجد، أن أبعاد الأزمة وردة الفعل عليها في وجدان ماجد وثنايا الأحداث قد توزعت إلى أدوار خارجية وداخلية وقفت عند هدف معين هو هدف اجتماعي بحت حقق قيمة على المستوى الاجتماعي نفسه ولا يختلف الأمر عند فؤاد التكرلي في روايته الرجع البعيد في تآزر العلاقات الضدية بنوعيها وسيطرتها على أحداث روايته، فشخصيات الرواية تعيش في عالم خارجي مفعم بالأزمات والفوضى واختلال القيم الفكرية السياسية ونجد إلى جانب ذلك أن العالم الداخلي للشخصيات مشبع هو الآخر بالصراعات والأزمات يساند الصورة الخارجية الأولى ويكملها بتقنية عالية كونت سمة الرواية وطابعها في إيراد الصراعات وتشكيلها وتنويعها، فالحدث في

([1]) ظلال على النافذة،فرمان ،ص182.

الرواية ارتقى بواسطة إبرازه من الخارج ومن ثم من الداخل، مكوناً صورة فنية ذات تقنية عالية أوضحتها علاقة الشخصيات بالعالم الخارجي وتعارضها مع ما حولها الأمر الذي كان ضرورياً لبناء العوالم الداخلية وبشكل مقنع،[1]فلجوء الروائي إلى حافزين خارجي وداخلي أيقظ الصراعات التي أراد أن يغني بها التضاد في الأحداث، حين بقيت الموجودات والأحداث في العالم الخارجي ملازمة للتيار النفسي الداخلي، فالعالم الخارجي شكل خلفية للعام الداخلي الذي نتج عنه، وهو ما يعد تجاوبا بين العالمين وأحداثهما وحركة الأفعال فيهما، فالشخصيات متواجهة مع محيطها وفيما بينها ومتواجهة مع أنفسها،مواجهةً وتضاداً في الزمن الحقيقي مثلته العلاقات الضدية الخارجية، ومواجهة في زمن اللأوعي مثلته العلاقات الضدية الداخلية، وعلى الرغم من استقلالية كل حدث واختلاف مؤثرة إلا أنه يرتبط بعضه بالبعض الآخر لأحكام السرد والبناء الروائي عموماً، فضلاً عن أن الأحداث تحتاج إلى مبدأ عام يوحدها ليضمن الحركة المنطقية للأحداث ويربط بين الأسباب والنتائج، فتعرض منيرة للاغتصاب وهو حدث خارجي عنيف أكمله الصراع النفسي المرير لها بل انسحب إلى أكثر من ذلك في صدمة مدحت بزوجته ثم صراعه النفسي هو الآخر إثر ذلك، هذه السلسلة من التضادات ظهرت لنا وهي عبارة عن سرد وأحداث منطقة ترتبط فيما بينها:

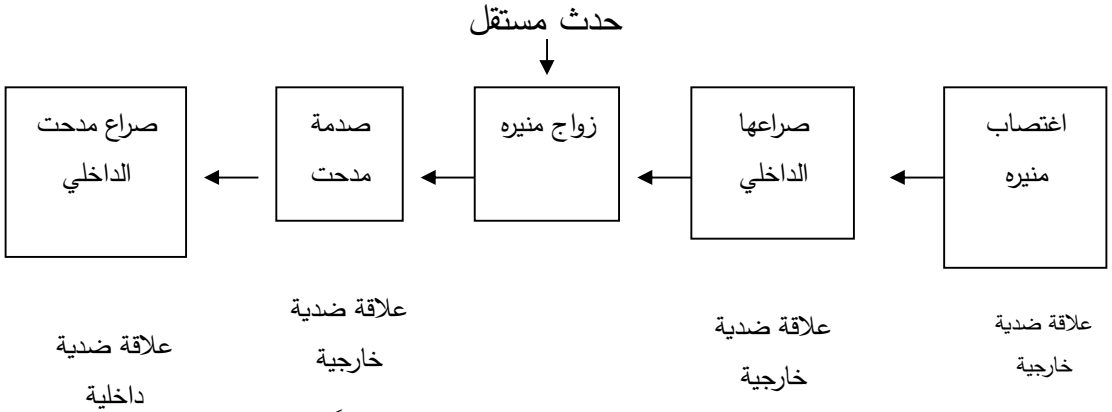

شكل يوضح تآزر العلاقات الضدية في رواية الرجع البعيد متمثلاً في علاقة منيرة بـــــ التي تعرضت لها وتبعاتها.

([1]) ينظر الرواية بين استقرار الأمكنة وأرتحال الشخصيات،د. مهند يونس، دراسة، مجلة الأقلام، آيار _ حزيران _ 2000ص40.

"كنت موقنة أن حادثة البستان لن تتركني أعيش فترة طويلة وأن شيئاً ما سيقضي علي بغتة".[1]

تشير منيرة إلى الحدث الخارجي الضدي وهو حادث الاغتصاب مع إشارتها إلى صراعها النفسي المرير:

"وكنت أحس إني على وشك أن أفقد عقلي، حين أعود من المدرسة لأجلس في عتمة الغرفة، متكومة على جانب من السرير، أتنفس عرقاً وأتوجس من كل حركة في الخارج ".[2]

مناجاة منيرة توضح الصراعين الخارجي والداخلي وتربطهما ربط السبب بالنتيجة، فالصراع الداخلي نتيجة منطقية لفداحة الحدث الخارجي الضدي (حادث الاغتصاب)، لذا فأن صورة الصراعين حققت وحدة بنائية وفنية للحدث الروائي دعمها وإسندها صراع مدحت الخارجي إثر اكتشافه حقيقة زوجته ثم صراعه الداخلي إثر هذه الصدمة **(أنها المعضلة التي تتصل بصلب حياته والتي لا يريد أن يواجهها ولكن هل بمقدوره ذلك؟ هل بوسعه الاختيار .... ليس من المعقول أن تكون كل عذاباته تلك وارتجافاته نفسه وأصطدامه مع الذات والواقع هي من أجل المتعة الصرفة.**[3]

فالحدث الخارجي الضدي الأول (الاغتصاب) أكمل صورة التضاد فيه الصراع الداخلي ثم ينسحب تأثيره إلى مدحت فيولد الحدث الخارجي (الصدمة بواقع منيرة) ليقود مرة اخرى إلى صراع داخلي عاشه مدحت، هذا التواتر الذي تحدثه الصدمات ونتائجها خلق نوعاً من التواصل الذي يخدم البناء والفكرة خاصة أن منيرة ومدحت هما الشخصيتان المحوريتان في الرواية، لذا فأن التضاد الذي عاشاه والعلاقات الضدية التي جسدته شكلاً الهيكل العام لأحداث الرواية.

ويبدو أن الطابع الفكري يزيد من إمكانية تآزر العلاقتين الضديتين ويقويها لأنه يعبر عن قوة إحساس الشخصية بالمحيط ومن ثم يولد قوة رد الفعل تجاه المؤثرات، وهذا ما يخلق شكلاً فنياً جراء تعدد الرؤى، ولعل الأعمال الروائية لإسماعيل فهد إسماعيل قد أوضحت

([1]) الرجع البعيد ، التكرلي ، ص212.

([2]) المصدرنفسه ،ص212.

([3]) المصدر نفسه ص306.

ذلك بشكل واسع في أغلبها، حيث شكلت المواقف الفلسفية والطابع الفكري حافزاً لتآزر العلاقتين الضديتين في أعماله الروائية مما أعطى أبعاداً خاصة لمستوى الدلالة التي هدف إليها الروائي في هذه الأعمال وهو استمرار التناقض أو الصراعات في الحياة بمختلف جوانبها، واستمرار الوجود الإنساني المحاصر نتيجة مؤثرات متنوعة، فاتخذت رواياته اتجاه التكاثف الشديد بين الصراع الخارجي والداخلي من خلال تكثيف الأحداث نفسها الذي تم عن طريق إبراز العالم الخارجي أولاً واتخاذه مادة لصياغة المواجهة الخارجية وإظهار شدتها وتأثيرها ثم إبراز العالم الداخلي وحركته التي تضج بالصراعات،ثانياً، أو العكس. ويبدو أن هذا التكثيف في الحدثين الخارجي والداخلي هو الوجه الآخر لتآزر العلاقتين الضديتين في إظهار صورة الحدث في العمل الروائي، ففي روايته (المستنقعات الضوئية)، أسهمت الأحداث الخارجية التي كانت عبارة عن (لمع) أو ومضات ترد ذاكرة البطل في إبراز الصراع الخارجي إلى جانب التيار الداخلي وما تضمنه من رفض وصراع، فالارتداد إلى الماضي مثّل الإشارة إلى الصراع الخارجي ودل عليه وعرف بمسبباته، وسرد الحاضر مثل عرضاً للصراع الداخلي للبطل وإبراز ردة فعله تجاه المواجهة الخارجية التي تعرض لها، فحميدة بطل الرواية يعاني صراعات مريرة يبثها ويلحق في طيات صراعاته الداخلية تلك مقتطفات من مواجهته الخارجية: **"أنا مجنون. وحق السجن والمساجين مجنون.."مالي ومال الأعمار" أنا خلفته هناك...تركته لها تتصرف به كما تشاء .فتصرفت بتعقل وحسن تدبير. هي تزوجت أخلص صديق لي. الأرض تدور حتماً. ستبقى تدور. رضيت أم أبيت. أنت هنا مع المعول، وهي هناك تعب اللذة.. باللذة.. (..).أنت قاتل قتلت رجلين .. أنت بعد الرأفة شاقة مؤبدة ما هي الجدوى من الوجود أذن؟**

وما هي الجدوى من حفر الأرض هنا لنردم الحفرة التي هناك، وبعد أيام نعود لنحفر هناك ونردم هنا .[1]

فالعمق الرمزي الذي أراد الروائي أن يحققه نتج عن هذا التآزر بين العلاقة الضدية الخارجية والتي تمثلت بأصل المشكلة وهو حادث القتل الذي تورط فيه حميدة عن طريق المصادفة

([1]) المستنقعات الضوئية، اسماعيل فهد اسماعيل ص10.

وما ترتب عليه من سلسلة العلاقات الضدية الخارجية:دخوله السجن، طلاقه لزوجته، والعلاقة الضدية الداخلية التي مثلها صراعه الداخلي:

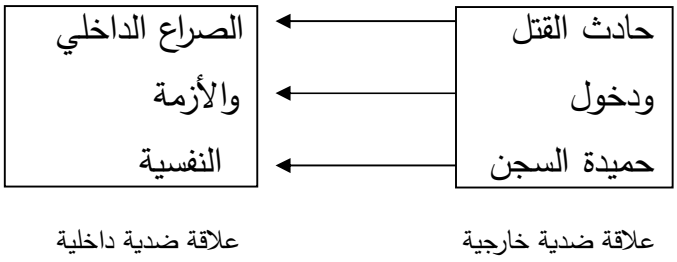

شكل يمثل الحركتين الضديتين الداخلية والخارجية

فقد استطاع الروائي أن ينقلنا من المحيط الخارجي إلى العمق الداخلي للكيان البشري في اللحظة عينها حين ربط بين الحركتين في مشهد واحد، فالحدث الخارجي (حادث القتل) حدث منتقى من المحيط الخارجي تابعنا من خلال الحدث الداخلي، وبتكثيف وتداخل يعكس قدرة الروائي على تحقيق فنية عالية لمشهد الصراع استطعنا معه أن نتفاعل مع الحركتين الضديتين،ويبدو أن كل أعمال إسماعيل فهد إسماعيل الروائية تعكس هذا الأسلوب في طريقة عرض الأحداث [1] حين يجمع بين العالم الخارجي الذي تعيشه الشخصية بكل تناقضات وصراعاته وبين العالم الداخلي وما يعتمل فيه من أحداث نفسية وتداعيات وصراعات داخلية .

ونجد التآزر نفسه يجمع العلاقتين الضدّيتين عند يوسف الصائغ في روايته (المسافة)، حين تظهر صورة التضاد وهي تجمع العلاقتين الضدّتين من خلال الموقف بين (المناضل الصامد) و(المناضل المنهار)، فالمناضل المنهار يتضاد خارجياً مع المناضل الصامد بثبات وصلابة ففي حين يمعن المناضل المنهار في

([1]) ينظر ، كانت السماء زرقاء، الحبل، الضفاف الأخرى، خطوة في الحلم.

تعذيب المناضل الصامد يقابل هذا الأخير التعذيب بصلابه وصمود وكلما أوغل الأول في تعذيب الثاني يزداد الثاني بصموده ضد الأول عندها يتردد تأثير هذه العلاقة الضدّية الخارجية إلى داخل نفس المناضل المنهار ليعيش صراعاً داخلياً مريراً أثر سمو غريمه وسقوطه هو فنتيجة التضاد الخارجي ولدت الصراع الداخلي وهذا نجده كله في صورة واحدة جمعت العلاقتين الضدّتين .

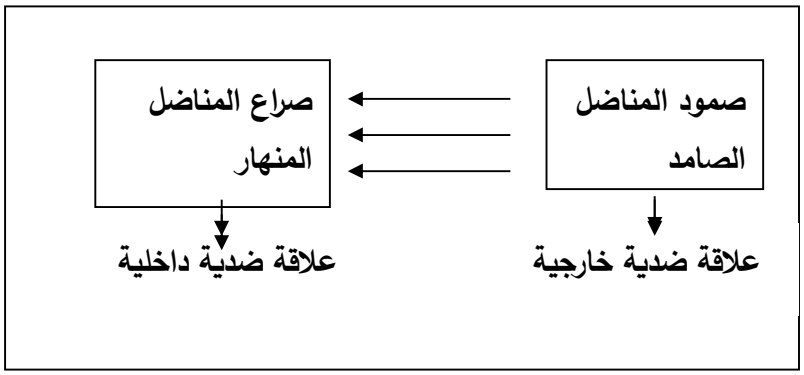

(صورة الصراع الذي يجمع العلاقتين الضدّتين الداخلية والخارجية في رواية المسافة)أن المحيط الخارجي لهذا الموقف تميز بالعنف والتحطيم حين عمد المناضل المنهار إلى تحطيم المناضل الصامد ليبرر سقوطه فتتولد ازمه يتردد صداها في نفسه وتنمو مع أستمرار ثبات المناضل الصامد هذا الامتزاج بين الصراعين حقق مستوى فنياً عالياً جسد الحركة الظاهرة إلى جانب الحركة الخفية ، فالصلة القائمة بين الحركتين عبرت عن الرموز الممثلة للأبعاد الكلية دون الحاجة إلى وصف كل شيء أو الإغراق بالتفصيلات، والتكثيف في الأحداث قارب بين العلاقتين الضدّيتين فتوازت الحركة الخارجية إلى جانب الحركة الداخلية لتؤدي دوراً موحداً في إعطاء الهيئة النهائية للصراع:

"هو:(إلى الناس) وجاءوا بماء مغلي ما أن رأيته حتى أحسست بالخوف وأقشعر جسمي.. قلت وأنا أرتجف:

-أستعد أفتح عينيك...

وأنصاع لي بشكل آلي. فتح عينيه. فرآيت الخوف فيهما إنسانياً إلى أبعد الحدود. فترددت . وخيل إلى أنني سأقوم له! هيأ فلننه هذه المهزلة ... دعنا نستيقظ من هذا الحلم الكريه، ولكني لم أقل شيئاً كنت أرقب وجهه وهو يتابع حركتي، ورأيت عضلات جسمه تتحفز، . أحسستها في أصابع قدميه وهي تتطلع الي مثل حيوانات أليفة ... وظل ذهني وأنا أقترب من الأرض يسألني: لماذا.. لماذا.. وهتفت به من أعماق الرعب الذي أعانيه:

-أيها المجنون ؟ماذا تقول ؟

زادت عيناه أتساعاً. وأيقنت أنه سيقول شيئاً . شيئاً ما يجعلني أنهار، فأهرع إليه وأعانقه .. لم يقل.. ظل يتطلع ألي بترقب مخبول صامت.. فيه أدانة.. ورفض مريعين.. صرخت بوحشية:

-خذ !!

-وسكبت الماء وسمعت صرخته المكضومة تتردد في حنجرتي بل أحسبني صرخت معه(...).. فخجلتُ... خجلتُ من فعلتي.. وخجلتُ من ضعفي.. ورحت أدق الجدار وأنا أردد في أعماقي: لماذا ؟لماذا"[1] .

يقول عبد الجبار عباس في كتابه(في النقد القصصي): (ولأن الفن أستخدام اقل حجم ممكن من الحياة الخارجية من أجل بعث أعنف حركة ممكنة في الحياة الداخلية، فليس مهمة الروائي أن يقص علينا أحداثاً عظيمة بل أن يجعل الأحداث الصغيرة ذات مغزى وحيوية مثيرة للاهتمام).[2]ولعل في هذا إشارة إلى تآزر الصراعين الخارجي والداخلي وتجسيدهما بالعلاقات الضدية، ودور هذا التآزر في مستوى العمل الروائي الفني أن الجمع بين العلاقتين في صورة واحدة لتمثل الصراع في أبعاد مختلفة الغاية منه هو الإشارة إلى القيم المختلفة التي تحكم المجتمع والذي تقدم الرواية صوراً منه، ولأبراز الحالات الإنسانية المتنوعة وتقديم

([1]) المسافة ، يوسف الصائغ ، ص96،ص97 .

([2])في النقد القصصي، عبد الجبار عباس ، دار الرشيد النشر، 1980،ص9.

نماذج بشرية تعيش هذه الحالات، وتقدم مواقف وسلوكاً نتيجة مؤثرات مختلفة هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن التآزر بين العلاقتين يحقق الفنية والتكامل للحبكة التي تحكم الصراع وتسيره وتطوره أو تضعفه وهذا ما حققته رواية المسافة في أحداثها المكثفة والصراعات التي حكمتها، وغيرها من الأعمال الروائية العراقية .

الخاتمة والنتائج

لقد استطاعت الرواية العراقية أن تدخل مرحلة التجريب وأن تتخطى العقبات التي أعترضتها لأنها تمثلت أغلب الظواهر الحياتية أولا والأدبية ثانيا ، وظاهرة العلاقات الضدية واحدة من اهم الظواهر التي تشكل أساس تكوين العمل الروائي كونها تجسد الصراع الأزلي بين الأنسان ومحيطه ويبدو أنها ظاهرة قد خضعت للتطور لتتخذ مستويات متفاوتة في التوظيف إذ لم تسجل الأعمال الأولى وجودا للعلاقات الضدية الا بصورة بدائية مثلت الصراعات المباشرة الظاهرية ، الا انها – الرواية العراقية – سارت حثيثا لتصور الصدامات والتناقضات وتوظفها بتقنية متقدمة كلما صورت الفعل الإنساني وحركة الأحداث وهي تخضع لقوى اكبر منها كما انها قدمت تبريرات للفعل الإنساني وللضغوط والتحديات وابرزت ردود الأفعال تجاهها وكل هذا تمثل في حلقات صراعية شكلت صور العلاقات الضدية بنوعيها الداخلي والخارجي خاصة في العقد الستيني الذي جاء محملا بأفكار ورؤى جديدة فتحت آفاقا واسعة أمام الروائي العراقي ليتناول محاور جديدة في عالم التضاد والصدام الأزلي وتوظف معضلة الوجود البشري مما يدعو الى التفاؤل إن بإمكان الرواية العراقية أن تصل الى مراحل متطورة أكثر خاصة مع وجود بيئة خصبة وغنية بالمؤثرات والتغييرات كالبيئة العراقية ، ويبدو ان العلاقات الضدية المجسدة للصراع من أولى المسوغات لتأييد الرأي السابق إذ أنها ظاهرة تشكل أصلا من أصول البناء الروائي ووجودها يعتمد على أساسات متعددة لتوليدها منها : طبيعة الصراع والمؤثرات فيه ومدة تأثيره وفاعليته فضلا عن طبيعة الشخصيات نفسها في التأثير والتأثر بهذه التصادمات ومقدرة الروائي على تحريك الشبكة الصراعية في أدوار متبادلة .

أن ظاهرة العلاقات الضدية تعبر عن قيمة ومستوى العمل الروائي لمالها من دور في تجسيد الصراعات بمختلف أشكالها وتقديمها برؤى متعددة وتأثيرات متبادلة تحقق جدلية في العلاقات الإنسانية بوجهيها الظاهري والباطني ، فضلا عن ان الروائي العراقي قد استوعب المفاهيم الصحيحة والتمثيل الحقيقي للصراعات الحياتية

أولا وطبق الأصول المفروضة في العمل الروائي وساير النتاج العلمي ثانيا، لذا فقد جاءت ظاهرة العلاقات الضدية في النتاج الروائي معبرة عن أنفتاح الأدب الروائي العراقي على الآداب العالمية من جهة وتفاعل الروائي العراقي مع بيئته من جهة أخرى فقد وظف صراع الإنسان مع نفسه ومع محيطه بصورة واقعية مثلتها صورة العلاقات الضدية التي يمكن أن نلمس ملاحظات على وجودها في النتاج الروائي العراقي أهمها :

- أن ظاهرة العلاقات الضدية قد وجدت بشكل بدائي في الرواية العراقية وهي تخطو خطواتها الأولى إذ يمكن عد الصراع الخارجي والظاهري الذي أمتازت به الرواية العراقية في بداياتها بتوظيفه علاقات ضدية خارجية نظرا لحمله سمات العلاقة الضدية الخارجية من صدام خارجي ومباشر وهذا يعني أن هذه الظاهرة تشكل أصلا من أصول البناء الروائي .
- أن ضعف وجود هذه الظاهرة في بداية نشأة الرواية العراقية يمكن ان يعزى الى تركيز الروائي في هذه الحقبة على الهدف الذي كان في أغلب الأحوال أصلاحيا نظرا للظروف الصعبة التي كان يعيشها الفرد العراقي :- وربما التقليد أيضا أوقعه في مشكلة الابتعاد عن الأصول الفنية الكاملة فضلا عن الترويج الصحافي الخاطئ ، إذ أن كل ما يكتب يدرج تحت إطار القصة وان كانت تنقصها العناصر الفنية المطلوبة للعمل القصصي فضلا عن تقليدية المواضيع والأفكار التي كانت تدور في محور واحد لا يتعدى المواضيع الأجتماعية المألوفة .
- أصبحت ظاهرة العلاقات الضدية تحتل جزءا اكبر ومجالا أوسع في حقبة الستينات التي شكلت أنتقالة كبيرة بالرواية العراقية ، فقد ظهرت رؤى وأفكار جديدة مع ظروف أجتماعية وسياسية وفكرية بالغة التعقيد لتظهر أول رواية عراقية فنية هي النخلة والجيران ، التي كانت بداية لأحتكام الرواية العراقية الى الأصول الفنية عندها بدأت بتمثيلها للظواهر والصراعات ومواكبة بذلك سير الرواية الحديثة واتجاهاتها ، عندها بدأت ملامحها تتحدد وأدوارها تصبح أكثر فاعلية وتأثيرا خاصة بعد ان اصبح الفرد موضوعها الأول واستيعابها واعيا للأمثلة الواقعية وبرز عامل

الاكتشاف النفسي عند الروائي العراقي على المستوى الذاتي والجماعي حين وظف الصراع الداخلي الى جانب الصراع الخارجي وأظهر صور تجسيدها بالعلاقات الضدية التي أخذت الرواية العراقية تزخر بها ، وعلى الرغم من اختلاف مستويات توظيفها للصراعات عن النتاج الروائي العالمي عموما ، إلا أن الروائي العراقي بقي محافظا على البيئة العراقية التي أتخذها بانوراما كبيرة تعبر عن تشابك المصائر وصراع الارادات وقد أخذ موضوعاتها من حركة الواقع أولا ومن سلوك الأفراد والشخصيات ثانيا، وهو بهذا قد أبتعد عن الوصف والتسجيل الخارجي وأخذت مفهوماته الخاصة تتجه نحو الحدث بكل هيئاته وصوره وتأثيراته الخارجية والداخلية وتشكيله للصراع بكل أبعاده عن طريق هيأة العلاقات الضدية الخارجية والداخلية التي أخذت الرواية العراقية تكتنفها وشكلت أساسا من أساسات بنائها الروائي بعدما الفناه وجودها في النتاج الروائي العالمي والعربي أخذ النتاج الروائي العراقي بتمثيلها وباطراد يتناسب مع التطور الفكري والاجتماعي والسياسي الذي أصاب المجتمع العراقي .

- أن وجود العلاقات الضدية ومستوياتها مرتبط بالمنحى الفكري والفلسفي اللذين يعدان بيئة خصبة لوجود العلاقات الضدية وتناميها وتزايد تأثيرهما ، فضلا عن ارتباطهما بالشخصيات المثقفة عموما التي تكون اكثر عرضة لتأثير العلاقات الضدية واكثر تفاعلا معها وهذا يفسر الفاعلية والحركة للعلاقات الضدية التي تلقي بتأثيرها على الشخصيات المثقفة والتي يسبغ الروائي عليها الطابع الفكري .
- هناك جملة من المؤثرات الخارجية والداخلية التي تلعب أدوارا مباشرة في خلق وتوليد العلاقات الضدية بنوعيها ومهمة الروائي هو تحريك هذه المؤثرات لخلق الصدام والتضاد وقد تضمنت الرواية العراقية عموما مؤثرات فعالة ومختلفة في خلق العلاقات الضدية ، مؤثرات اختصت بالبيئة الخارجية ، واخرى اختتمت بالعالم الداخلي للشخصيات خاصة بعد أن أخذ الروائي العراقي يميل الى سبر أغوار النفس الإنسانية وبيان تأثير العالم الخارجي عليها وهذه المؤثرات تتخذ أشكالا متعددة قد تكون أفعالا إنسانية او تأثيرات فوق مستوى مقدرة الشخصيات

كـالموت او الكـوارث البيئيـة والطبيعيـة او تكـون مواقـف او اعتراضـات تشـكل فـي أغلب الأحوال عقبات في طريق الشخصيات .

- تحكم بعض الأعمال الروائية علاقة ضدية كلية تتفرع عنها علاقات ضدية جزئية او يكون البناء الروائي عبارة عن علاقات ضدية تكون شبكة صراعية لكن أغلب العلاقات الضدية ومهما كان تأثيرها وفاعليتها لابد أن تجنح نحو حل من الحلول ينهيها وينهي حالة التضاد والصدام . .
- لقد وضحت معالم العلاقات الضدية وتنوعت وازدادت بازدياد معقدات الحياة لذا فأن تمثلها من قبل الروائي جاء تمثلا للواقعية التي تعد المنهل الأساس للصراعات والصدامات والتضادات وبالتالي العلاقات الضدية المجسدة لصور هذه الصراعات .

قائمة المصادر والمراجع العربية والمترجمة

القران الكريم

1. الأتجاه الواقعي في الرواية العراقية ، د. عمر الطالب ، دار العودة ، بيروت، 1977.
2. اركان الرواية ، إ . م . فورستر ، ت ، موسى عاصي ، المراجعة اللغوية د. سمر روحي الفيصل ، طرابلس ، لبنان ، الطبعة الاولى ، 1994.
3. الأدب القصصي في العراق منذ الحرب العالمية الثانية ، د. عبدالاله احمد ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1977 ، الجزء الاول ، الجزء الثاني .
4. الاحتجاج والصراع في الآدب الافريقي ، تحرير كوزمو بيترس و دون الدمونرو ، ت ، كاظم سعد الدين ، دار الرشيد للنشر ، 1979 .
5. الأفكار والأسلوب ، أ ، ف . تشيتشرين ، ت .د. حياة شراره . دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد.
6. البطل المعاصر في الرواية المصرية ، احمد ابراهيم الهواري ، وزارة الاعلام ، بغداد1976.
7. البناء الفني في الرواية العربية في العراق ، د. شجاع مسلم العاني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والاعلام . بغداد، 1994 .
8. البناء الفني لرواية الحرب في العراق ، دراسة لنظم السرد والبناءفي الرواية العراقية المعاصرة ، عبدالله ابراهيم ، دار الشؤون الثقافية العامة، 1986.
9. التجربة الروائية في العراق في نصف قرن ، متابعة تاريخية وتحليل الموجز لأبرز المحاولات الروائية من 1919 ، الى 1965 . الدكتور نجم عبدالله كاظم، الموسوعة الصغيرة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد، 1986.
10. التجريب في القصة والرواية ، سليمان البكري ، الموسوعة الصغيرة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والاعلام ، 2000 .

11. التوظيف الفني للطبيعة في ادب نجيب محفوظ ، الدكتور صالح هويدي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، 1992 .
12. الجهود الروائية من سليم البستاني الى نجيب محفوظ ، عبدالرحمن باغي ، دار العودة ، بيروت الطبعة الاولى 1972.
13. الدراما والدرامي ، س ط. دبليو ، دوسن ، ترجمة عبدالواحد لؤلؤة ، موسوعة المصطلح النقدي ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الرشيد للنشر ، 1981.
14. الرواية الحديثة . تأليف بول يست ، ترجمة عبدالواحد محمد ، دار الرشيد للنشر ، 1981.
15. الرواية الروسية في القرن التاسع عشر د. مكارم الغمري ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، الكويت ، 1981 .
16. الرواية السياسية ، دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية ، احمد محمد العطية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، بدون تاريخ .
17. الرواية العراقية ، دراسات نقدية ،د. عمر الطالب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 2000 .
18. الرواية العربية في رحلة العذاب ، غالي شكري ، الناشر عالم الكتب ، ط1 ، 1971.
19. الرواية العربية النشأة والتحول . د.محسن جاسم الموسوي ، منشورات مكتبة التحرير ، بغداد،ط1 ، 1986.
20. الرواية العربية المعاصرة ، من المغامرة الى التأسيس . تأليف ماجد أسد ، الموسوعة الصغيرة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، 1988.
21. الرواية في العراق ، 1965 ، 1980 وتأثير الرواية الامريكية فيها (مع اهتمام خاص برواية وليم فولكنر " الصخب والعنف " ، دراسة مقارنة د. نجم عبدالله كاظم ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ط1 ، 1987.
22. الرواية في العراق وتطورها وأثر الفكر فيها د. يوسف عزالدين ، قسم البحوث والدراسات الادبية واللغوية 1973.

23. الرواية والمكان ، ياسين النصير ، الموسوعة الصغيرة دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1986 .
24. الرواية والواقع ، محمد كامل الخطيب ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 ، 1981.
25. الريف في الرواية العربية ،د. محمد حسن عبدالله ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، الكويت ، تشرين الثاني 1989 .
26. الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة ، سعد عبدالعزيزم ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ، 1970 .
27. الزمن والرواية أ.أ. مندولا ، ترجمة بكر عباس مراجعة احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ط1 ، 1997 .
28. السجن السياسي في الرواية العربية ، د. سمر روحي الفيصل ، دراسة ، جروس برس ، طرابلس ، لبنان ط2 ، 1994 .
29. الشاطئ الجديد . قراءة في كتاب القصة العربية . عبدالرحمن مجيد الربيعي،1977.
30. الشكلانية الروسية ، فيكتور أبرلينج ، ت ، الولي محمد ، المركز الثقافي العربي ط،1 ، 2000، نسخة مصورة .
31. الطفل نموه وشخصيته ، ج،أ . تعريب دحام الكيال ، ط.1 ، 1988 .
32. القراءة التجريبية (أصضول التعريب في الخطاب الروائي في المغرب)، سعيد يقطين ، المغرب 1985.
33. القصص في الادب العراقي الحديث ، تأليف عبدالقادر حسن امين ، مطبعة المعارف ، ط1 .
34. القصة السايكولوجية ، دراسة في علاقة علم النفس بفن القصة ، ليون إيدك ، ترجمة محمود اسمرة ، المكتبة الاهلية ، بيروت ، لبنان ، 1959 .
35. المغامرة الروائية ، دراسات في الرواية العربية ، جورج سالم ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1973 .

36. المغامرة المعقدة ، محمد كامل الخطيب ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ، 1976 .
37. المنطق ، تأليف الشيخ محمد رضا المظفر ، مطبعة النعمان ، النجف ، ط4،1972.
38. الموقف الثوري في الرواية العربية المعاصرة ، محسن جاسم الموسوي ، الجمهورية العراقية ، وزارة الاعلام ، 1975.
39. الواقعية الاجتماعية النقدية في القصة العراقية ، مؤيد الطلال، دار العودة ، 1982 .
40. بناء الرواية ، ادوين موير ، ترجمة ابراهيم الصيرفي ، مراجعة الدكتور عبدالقادر القط ، دار الجيل للطباعة . الفجالة ، 1965.
41. تولستوي ، تحرير . رالف .ئي . ماتلو ، ت ، نجيب المانع ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، 2000 .
42. تيار الوعي في الرواية الحديثة ، روبرت همفري ، ت . الدكتور محمود الربيعي ، دار المعارف بمصر ، 1974 .
43. ثلاثية الراووق ، الرؤيا والبناء ، " دراسة في الادب الدوائي عند عبدالخالق الركابي " تأليف قيس كاظم الجنابي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، 2000.
44. دراسات في القصة القصيرة والرواية ، تحرير احمد خلف وعائد خصباك ، (1980،1985) كتاب الاقلام ، دار الشؤون الثقافية العامة ، مجلةى الاقلام ، 1986.
45. دراسات في الواقعية الاوربية (مسح أجمالي لاعمال بلزاك ، ستاندال ، زولا، تولستوي ، جوركي ، واخرين) تأليف جورج لوكاتس ، ت . أمير اسكندر، مراجعة الدكتور عبدالغفار مكاوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1972 .
46. دراسة في ادب نجيب محفوظ ، تحليل ونقد ، د. رجاء عيد ، الاسكندرية،1984

47. رحلة مع القصة العراقية ، باسم عبدالحميد حمودي ، وزارة الثقافة والأعلام، دار الرشيد للنشر ، 1980 .
48. صنعة الرواية ، بيرسي لوبوك ، ت ، عبدالستار جواد ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، 1981 .
49. عالم الرواية ، رولان بورنوف وريال او ئيلة ت ، نهاد التكرلي ، مراجعة فؤاد التكرلي والدكتور محسن الموسوي . دار الشؤون الثقافية العامة ، سلسلة المائة كتاب الثانية . وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، ط1 ، 1991 .
50. عصر الرواية ، مقال في النوع الأدبي ، الدكتور محسن جاسم الموسوي منشورات مكتبة التحرير ، مطبعة الديواني ، بغداد، 1986.
51. علم النفس التطبيقي . اندرية مورلي ، دانينو ، ت الدكتور نظمي لوقا وصوفي عبدالله ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، 1979.
52. علم النفس والأدب ، معرفة الأنسان بين بحوث علم النفس وبصيرة الأديب والفنان ، تأليف الدكتور ، سامي الدروبي ، دار المعارف ، منشورات جماعة علم النفس التكافلي ، باشراف يوسف مراد ،ط2 .
53. علم نفس المراهقة والطفولة ، اميمة علي خان ، جمال حسين الآلوسي ، بغداد ، 1983 .
54. فن الادب الروائي عند تولستوي ، ف.غ . أدينو كوف ، ترجمة الدكتور محمد يونس ، دار الشؤون الثقافية العامة 1986 .
55. فن الرواية ، كولن ولسن ، ترجمة محمد درويش ، دار المامون للترجمة والنشر ، بغداد ، 1986.
56. فن الرواية عند يوسف السباعي ، نبيل راغب ، منشورات مكتبة الخانمي ، مصر بدون تاريخ .
57. فن كتابة الرواية ، تأليف ديان دوات فاير ، ترجمة الدكتور عبدالستار جواد، مراجعة عبدالوهاب الوكيل ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط1 ، 1988.

58. فنارات في القصة والرواية ، حسب الله يحيى ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الاولى 1997.
59. في الايقاع الروائي ، نحو منهج جديد في دراسة البنية الروائية ، الدكتور احمد الزعبي ، دار الامل ، 1986.
60. في الرواية الاخلاقية ، جون كاروز ، ت ، ابشو الياس يوسف ، مراجعة الدكتور ، سلمان داود الواسطي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والاعلام ،ط1 بغداد، 1986.
61. في النقد القصصي ، عبدالجبار عباس ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الرشيد للنشر ، 1980 .
62. قراءة الرواية ، نماذج من نجيب محفوظ ، محمود الربيعي ، دار مصر للطباعة 1973.
63. قصص عراقية معاصرة ، دراسة ونقد ، فاضل ثامر ، ياسين النصير ، مطبعة دار السلام ، بغداد 1971.
64. قضايا الرواية الحديثة ، جان ريكاردو ، ترجمة صباح الجهيم مطبعة ومنشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق 1977.
65. قضايا الرواية العربية ، في نهاية القرن العشرين ، د. مصطفى عبدالغني ، الدار المصرية اللبنانية ، ط1 ، 1999 .
66. قضايا الفن الابداعي عند ديستوفسكي ، م.ب . باختين ، ترجمة الدكتور جميل نصيف التكريتي ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية ط،1 ، 1986.
67. قضايا الفن القصصي ، المذاهب ، اللغة ، النجاح البشرية ، الدكتور يوسف نوفل ، ط1 ، 1977.
68. قضايا القصة العراقية المعاصرة ، عباس عبد جاسم ، دار الرشيد للنشر ، وزارة الثقافة والاعلام ، 1982 .
69.كتابة الرواية ، جون برين ، ترجمة مجيد ياسين ، مراجعة الدكتور محي الدوري ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ط1 ، 1993 .

70.مدخل لدراسة الرواية ، تأليف جيرمي هوثورن ، ترجمة غازي دروليش عطية ، مراقبة د. سلمان داوود الواسطي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1996 .
71.مشكلات المرأة وكاتبات القصة في العراق ،د. عمر محمد الطالب، دار الشؤون الثقافية العامة ، 1984 .
72.مع نجيب محفوظ ، أحمد محمد العطية ، دار الجيل ، بيروت ، 1977.
73.مقالات في الرواية العربية المعاصرة ، أمينة العدوان ، 1976.
74.ملتقى القصة الأول ، اعداد دائرة الشؤون الثقافية ، منشورات وزارة الثقافة والفنون ، الجمهورية العراقية ، 1978 .
75. نجيب محفوظ ،دراسة تحليلية لأصوله الفنية والجمالية ، نبيل راغب ، القاهرة ، 1967.
76. نحو رواية جديدة ، آلان روب جرييه ، ترجمة مصطفى ابراهيم مصطفى ، دار المعارف بمصر ، بدون تاريخ .
77.نشأة القصة وتطورها في العراق ، 1908–1939 ، د. عبدالاله أحمد ، مطبعة شفيق ، بغداد ، ط1 ، 1969 .
78.نظرية الادب ، تأليف عدد من الباحثين السوفيت المختصين بنظرية الادب والادب العالمي ، ترجمة الدكتور جميل نصيف التكريتي ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد للنشر ، 1980 .
79.نظرية المنهج الشكلي ، نصوص الشكلانيون الروس ، ترجمة ابراهيم الخطيب ، الشركة المغربية للناشرين المتعددين ، مؤسسة الابحاث العربية ،ط1 العربية ، 1982 ، نسخة مصورة .
80.نقد الرواية العراقية ، محاولة في تحديث المنهج ، تأليف د. علي عباس علوان ، الموسوعة الصغيرة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والاعلام ، 1988.
81. واقعية الادب في رواية آنا كارنينا ، بقلم د. ياسين الايوبي ، الدار النموذجية، صيدا ، بيروت ، 2001 .

الروايات والمجاميع القصصية

1. ابتسام عبدالله :

- فجر نهار وحشي ، شركة مطبعة الاديب ،ط1985،1.
- ممر الى الليل ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ،ط1، 1988.

2. إسماعيل فهد إسماعيل :

-الضفاف الأخرى ، دار العودة ، بيروت ، 1973 .

-ملف المحادثة 67 ، دار العودة ، بيروت ، 1974 .

-الحبل ، دار العودة ، بيروت ، ط2 ، 1978.

-كانت السماء زرقاء ، دار العودة ، بيروت ،ط2 ، 1978.

-المستنقعات الضوئية ، دار العودة ، بيروت ، ط3، 1979 .

-خطوة في الحلم ، دار العودة ، بيروت ، ط1، 1980.

3. جاسم الرصيف :

- حجابات الجحيم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ط1، 1990.

4. جهاد مجيد :

- الهشيم ، مطبعة الغري ، ط1 ، 1974.

5. ذنون ايوب :

- الاعمال الكاملة ، دار الحرية للطباعة ، ط3 ، 1978 .

6. عبدالحق فاضل :

الاعمال القصصية الكاملة ،دار الرشيد للنشر ، 1979 .

7. عبدالخالق الركابي :

- نافذة بسعة الحلم ، وزارة الاعلام ، 1977 .
- من يفتح باب الطلسم ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، دار الرشيد ، 1982.
- الراووق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، 1986 ،ط1 .
- قبل ان يحلق الباشق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط1990،1.
- سابع أيام الخلق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1994.

مكابـدات عبـدالله العاشـق ، منشـورات وزارة الثقافـة والاعـلام ، دار الرشـيد للنشـر ، 1982.

8. عبدالرحمن مجيد الربيعي :

–القمر والاسوار ، منشورات وزارة الاعلام ، 1976.

- الوشم ، دار الطليعة ، بيروت ، ط1 ، 1978.
- الأفواه ، مجموعة قصصية ، دار الاداب ، ط1 ، 1979 .
- الوكر ، دار الطليعة ، بيروت ، ط1 ، 1980 .
- الانهار ، الدار العربية للموسوعات ، ط3 ، 1984 .
- صـولة فـي ميـدان قاحـل، مجموعـة قصصـية ، الـدار العربيـة للموسـوعات ،ط1984،1.

9. عبدالرزاق المطلبي :

- الظامئون ، وزارة الثقافة والارشاد ، دار الجمهورية ، بغداد، 1967.
- الاشجار والريح ، مطبعة الامة ، ط1 ، 1971.

10. غائب طعمة فرمان :

- النخلة والجيران ، دار الرواد للطباعة ، بغداد ، 1978.
- خمسة أصوات ، منشورات دار الاداب ، بيروت، ط1، 1967.
- المخاض، منشورات مكتبة التحرير ، بغداد ، 1974.
- القربان ،مطبعة الاديب البغدادية ، ط1، 1975 .
- ظلال على النافذة ، دار الاداب ، بيروت ،ط1 ، 1979.

11. فؤاد التكرلي :

- الوجـه الاخـر ، مجموعـة قصصـية ، وزارة الثقافـة والاعـلام ، دار الرشـيد للنشـر ، 1986.
- الرجع البعيد ، دار ابن رشد للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1980،1 .

12. لطفية الدليمي :

- من يرث الفردوس ، الهيئة المصرية للكتاب ، نسخة مصورة ، 1987 .

13. محمود أحمد السيد :

- المجموعة الكاملة لقصص محمود احمد السيد ، اعداد وتقديم د. علي جواد الطاهر ود. عبدالاله احمد ، منشورات وزارة الثقافة والفنون ، بغداد ، 1978وتشمل المجموعة فضلا عن القصص القصيرة الروايات الاتية :
- في سبيل الزواج ،ط1، 1921 .
- مصير الضعفاء ، ط1، 1922.
- جلال خالد ،ط1، 1928 .

14. موفق خضر :

- الاعمال الكاملة (1. الروايات) ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد، 1981 وتشمل الروايتين :-
- الاغتيال والغضب ،ط1975،1.

15. يوسف الصائغ :

- اللعبة ، مطبعة الاديب البغدادية ،ط2 ، 1983.
- المسافة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1974 .

- نجيب محفوظ :

- بين القصرين ، دار القلم ، بيروت ،ط1، 1973 .
- قصر الشوق ، دار مصر للطباعة ، بدون تاريخ .
- السكرية ، دار مصر للطباعة ، بدون تاريخ .

الروايات الاجنبية المترجمة

1. جيمس جويس :

- صورة الفنان في شبابه ، ترجمة ماهر البطوطي ، دار الاداب ، بيروت ، ط، 1973.

2. غوستاف فلوبير :

- مدام بوفاري ، ترجمة منير بعلبكي ، دار أحياء التراث العربي ، بدون تاريخ .

3. فرجينيا وولف :

- السيدة دالاوي ، ترجمة عطا عبدالوهاب ، دار المأمون ، 1985.

4. ليوتولستوي :

–آنا كارنينا ، تعريب ، أميل خليل بيدس ، دار النشر للجامعيين ، ط3 ، 1966.

5. وليم فولكنر :

- الصخب والعنف ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ، دار الآداب ، بيروت ، بدون تاريخ .

الدوريات

1. الرواية والموسيقى ، عبدالغفور نعمة ،مجلة الاقلام ، العدد الرابع ، نيسان ، 1990.
2. الصيانية والتدميرية لظلال على النافذة ، ياسين النصير ،مجلة الاقلام ، العدد 1982،708.
3. ابطال الرجع البعيد بين الاحباط والاغتراب ، صبري مسلم ،مجلة الاقلام ، العدد الثاني ، شبط ، 1983 .
4. الادب الملحمي والرواية ، في منهجية دراسة الرواية ، ميخائيل باختين ، ترجمة د. جميل نصيف ، مجلة الثقافة الاجنبية ، العدد الثاني ، 1989 .
5. البطل المتضاد في رواية الانهار ،د. افنان القاسم ، مجلة الاقلام ، العدد الثاني ، اذار، 1982.
6. البطل المغترب في الرواية العراقية ، د. صبري مسلم ، مجلة الاقلام ، العدد التاسع ، ايلول ، 1988.
7. الحبل بين تطرف البطل وتعرية الواقع ، محمد الجزائري ، مجلة الاقلام ، العدد الرابع ، 1972 .
8. الرواية العراقية بعد ثورة 17 تموز ووعي الحاضر ، رزاق ابراهيم حسن ، مجلة الاقلام ، العدد العاشر ، تموز 1978.
9. باختين والزمان والسرد الحديث ، ستيسي بيرتن ، ترجمة د. محمد درويش ، مجلة الاقلام ، العدد السادس ، 1999.
10. جدلية القراءة الثالثة ، دراسة في رواية الراووق ، ياسين النصير ، مجلة الاقلام ، العدد الثالث ، 1988.
11. حكاية شهرزاد الاخيرة ودراما الثنائيات الضدية ، د. جميل نصيف جاسم ، مجلة افاق عربية ، العدد (11،12) 2001 .
12. خصوصية الرواية العربية ، ابراهيم فتحي،مجلة الاقلام ، العدد الثاني ، نيسان – آيار، 1998.

Abstract

The Iraqi novel cooled enter the stage of experiment and pass the obstacles which confront it because it represent the phenomenon the living first and the literal second , and phenomenon of one controversial relationship from the most important phenomenon which form abase for forming the novel work as being represent the eternal conflict between the man and his environment and it seems that it is a phenomenon submit for development to take different stages in employing because it didn't record the first works because there are controversial relationship exist is a primitive way represent the appeared direct conflicts , but – the Iraqi novel- walked to imagine the crashes and opposites and employ it in a technical progressive way also imagine the human action and events movement and it submit for powers bigger than it also it present excuses for human action and pressure and challenges and showed the reactions towards it all this represented in a conflict circles formed the images of controversial relationship in it's two kinds the internal and external especially on the six decade which came loaded with thoughts and new visions opened expanded ways in front of the Iraqi novelist to handle a new subjects in the world of controversial and internal crashes and employ the crisis of human existence this call for optimism that the Iraqi novel could reach to a developed stages especially with the existence of fertile and rich environment with effects and changes like the Iraqi environment , it is seems that the controversial relation ship that achieved the conflict from the first things to support the previous opinion because it is a phenomenon that form a principle from the principles of novel structuring and it's existence depend on many bases to formulate it like , the nature of the conflict and effects in and the extent of it's influence in addition to the nature of the characters itself in effecting and affecting in these conflicts and

the ability of the novelist to move the conflict net in a substitutable roles.

The phenomenon of controversial relationships express the value and level of novel work to what it have in doing the conflicts in different shapes and present it in various substitutable effects achieved the argumentative in human relationships in apparent and bottom sides, in addition to the Iraqi novelist comprehend the correct concepts and real acting for living conflicts first and according to the imposed principles in the novel work and walk with world product secondly, so the phenomenon of controversial relationships in the novel product express the openness of Iraqi novel literature on world literatures from one side and influence of Iraqi novelist with his environment from the other side because the conflict of man used with itself and with it's environment in a realistic way represent the way of controversial relationship which could be touch the notes of it's existence in the Iraqi novelist product and the most important of it is :

- *The phenomenon of controversial relationships which found in a primitive way in the Iraqi novel and it takes it's first step so we can consider the external and apparent conflict which the Iraqi novel distinguished in it in the beginning of starting the external controversial relationship from external crush and direct this means that this phenomenon formed a principle from the principles of novel structure.*
- *The weakness of this phenomenon in the beginning of the start of Iraqi novel could be on the novelist concentration in this period on the aim which was repairing considering the difficult circumstances which the Iraqi member live in it :-*

And may be descriptions also made him fall in the problem of getting away from the complete technical principles in addition to the wrong Journalist spreading, all what written is under the frame of the stony even if It need the technical required elements for the story work in addition to the traditional subjects and thoughts which circulated in one circle that doesn't exceed the social familiar subjects.

- *the phenomenon of the controversial relationships occupies a great part and great field in the sixties which formed a big transmission in the Iraqi novel , because it showed a new visions and thoughts with social and political and intellectual circumstances complicated to show the first Iraq Artistically novel is the palm tree and the neighbors, which was the start for the control of Iraqi novel to the technical principals in it started to represent the phenomenon and conflicts and walking with the modern novel and it's directions , then the description begin to limited and it's roles became more effective especially after the man became it's first subject and it's comprehension more influential for realistic examples and appeared the element of psychological discovery for Iraqi novelist on self and group level in employing the internal conflict beside the external conflict and showed the way of identify it in the controversial relationships which took the Iraqi novel that filled of it , although it differs in levels of employment for the conflict on the world novel in general , but the Iraqi novelist kept the Iraqi environment which took a big panorama express the interference of destinies and will conflicts and it's subjects from reality movement first and from the behavior of members and characters secondly , by this way he get far from the description and external registering and took it's special concepts towards the events in all it's shapes and it's internal and external shapes and farms for the conflict in all it's dimensions by the external and internal controversial relationships which took the Iraqi novel and formed abase from the bases of it's novel structure after we saw it's presence in the world and Arab novel product which took the Iraqi novel in presenting it with the Intellectual and social and political development which happened to the Iraqi society.*
- *The existence of controversial relationship and it's levels connected with the intellectual and philosophical way which considered a fertile environment for the existence of the controversial relationships and growing and increasing it's effect, in addition to there connection with the cultured*

characters generally which effected by the controversial relationships and more effective with it this explain the effectiveness and movement for the controversial relationships which received in it's effect on the cultured characters which the novelist cover it which the intellectual habit .

- *There are many internal and external effects which played a direct roles in creating and generating the controversial relationships in it's two kinds and the mission of the novelist is to move these effects to create crush and collusion the Iraqi novel included generally and effective activities and different in creating the controversial relationships, effects specialized in the external environment, and other specialized in the internal world for the characters especially after the Iraqi novelist took the human soul and clarify the effect of the external world on it these effects took various shapes and it might be a human actions or effects above the ability of personalities like death are environment or nature disasters or it might be attitudes or oppositions which form most of the time an obstacles in the ways of characters.*
- *In some novel works the total controversial relationships may control it and there are branches from it a controversial relationships will be a conflict net but most of the controversial relationships and whatever it's effect was it must refer to solutions which stop the collusion and crunches.*
- *The description of the controversial relationship and increased by the increased in the complexes of life so in presenting it by the novelist came as a presentation for the reality which considered the basic source for the conflicts and collisions consequently the controversial relationships identifies the images of these conflicts.*

Controversial relationships in The Iraqi novel 1965-1990

A thesis submitted by

Carnavall Aeob Muhsen

To the council of college of Arts – University of Baghdad as a partial fulfillment to the requirements of master degree in the Art of Arabic language.

Supervised by

Prof. Dr. Jamil Nasif Jasim

1425 A.H **2004 A.D**